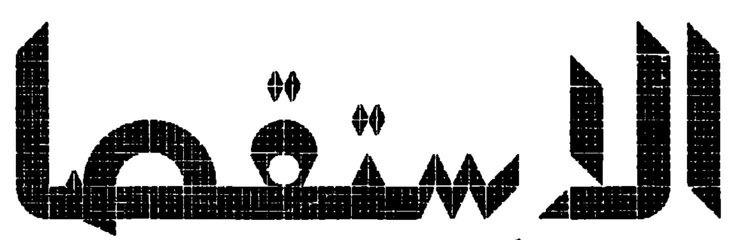
الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصرى



الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولة العلوية

القسم الثانى

الجزء الثامن



تحقيق وتعليق ولدى المؤلف :
الاستاذ جعفر الناصرى — والاستاذ محمد الناصرى

دار الكتاب
الدار البيضاء
١٩٥٦

الدولة العلوية

القسم الثانى

الخبر عن دولة أمير المومنين سيدى محمد بن عبدالله رحمه الله

لما توفى أمير المؤمنين المولى عبد الله بن اسمعيل فى التاريخ المتقدم أعنى السابع والعشرين من صفر الخير سنة احدى وسبعين ومائة وألف ، كان الناس قد سئموا الهرج والفتن ، وأعياهم التفاقم والاضطراب ، وملوا الحرب وملتهم ، اذ كانت أيامه لاسيما أخرياتها كأيام الفترة التى ليس فيها سلطان ، وكانت حال الرعية معه مثل الفوضى الذين لا وازع لهم ، فكان ذلك من أقوى الاسباب التى صرفت وجوه أهل المغرب كله الى بيعة السلطان سيدى محمد رحمه الله ، وجمعت كلمتهم عليه ، لاسيما مع ما كان قد ظهر منه أيام خلافته من حسن السياسة ، وكمال النجدة ، وجودة الرأى ، وتمام المعرفة بادارة الامور على وجهها ، واجرائها على مقتضى صوابها ، حتى أحبته القلوب وعلقت به الآمال ، وعرفت له من بين بنى أبيه تلك الشنشنة ، وتضافرت على ولائه ونصره القلوب والالسنة، فلما قضى الله بوفاة والده بادر أهل فاس الى عقد البيعة له من غير توقف ولا تريث .

قال ولده الفقيه أبو محمد المولى عبد السلام بن محمد بن عبد الله فى كتابه المسمى «بدرة السلوك» : بويع لمولانا الوالد السلطان الاعظم سيدى محمد بن عبد الله البيعة العامة الصحيحة التامة وحضرها جماعة من أعيان العلماء مثل قاضى الجماعة بمكناسة السيد سعيد العميرى وقاضى الجماعة بفاس السيد عبد القادر أبى خريص وشيخ الجماعة بها السيد محمد بن قاسم جسوس ، والامام المحقق حامل لواء المعقول والمنقول الشيخ أبى حفص عمر الفاسى ، وابن عمه السيد ابى مدين الفاسى ، وهو الذى تولى كتابة

البيعة بيده ، وامام جامع الشرفاء بفاس الاستاذ المولى عبد الرحمن المنجرة، والشيخ العلامة السيد التاودى ابن سودة المرى ، وامام المسجد الكبير بفاس الجديد السيد عبد الله السوسى ، والامام الحافظ السيد أبى العلاء ادريس العراقى ، وغيرهم ممن لا يحصى كثرة .

وقوله فى قاضى مكناسة ، السيد سعيد العميرى ، صوابه ابنه أبو القاسم العميرى .

ووصل الخبر بموت السلطان المولى عبد الله الى ابنه سيدى محمد وهو بمراكش ، فأقام مأتمه وازدحم على بيعته أهل مراكش ، وقبائل الحوز والدير ، وقدمت عليه وفود السوس وحاحة بهداياهم ، ثم قدم عليه العبيد والودايا وأهل فاس من العلماء والاشراف وسائر الاعيان ، وقبائل العرب والبربر والجبال وأهل الثغور كل ببيعته وهديته ، لم يتخلف عنه أحد من أهل المغرب ، فجلس للوفود الى أن فرغ من شأنهم وأجازهم ، وزاد العبيد بأن أعطاهم خيلا كثيرة وسلاحا كثيرا عرفوا بها محلهم من الدولة وانقلبوا مسرورين مغتبطين .

مجيء السلطان سيدى محمد بن عبد الله عقب البيعة من مراكش الى فاس وما اتفق له في ذلك

لما فرغ أمير المؤمنين المولى محمد رحمه الله من أمر الوفود أخذ فى الاستعداد للنهوض الى الغرب ، فخرج من مراكش فى عسكر الحوز ووجوهه ، حتى انتهى الى مكناسة ، فدخل دار الملك بها وفرق على العبيد الخيل والسلاح والمال ، وكانوا على غاية من سوء الحال والاستكانة لغلبة البربر ، اذ كانوا يتخطفون أولادهم من البحائر والجنات ، ويبيعونهم فى قبائلهم كما قلنا ، فجبر الله صدعهم بولاية هذا السلطان الجليل .

ثم لما قضى اربه من مكناسة ارتحل الى فاس ، ولما نزل فى عساكره بالصفاقة خرج لملاقاته الوداية وأهل فاس ، فهش للناس وألان جانبه لهم، واختلط بهم ، فكانوا يطوفون به ويقبلون أطرافه ، ولا يمنعهم أحد ، وفرق المال والكسوة والسلاح فى الوداية وعبيد السلوقية، وأعطى الفقهاء والاشراف وطلبة العلم وأهل المدارس والمكتبيين والائمة والمؤذنين والفقراء والمساكين، وأزاح علل الجميع ، ولم يحرم أحدا ، ولما حضرت الجمعة جاء من المحلة فى ترتيب حسن ، وزى عجيب ، فخرج أهل البلدين لرؤيته وامتلأت الارض من العساكر والنظارة ، ودخل فاسا الجديد فصلى به الجمعة ، ثم جلس لفقهاء الوقت وسأل عنهم واحدا واحدا حتى عرفهم ، ثم خرج الى تربة والده فزارها ، وأمر بتفريق الصدقات عندها ، وترتيب القراء بها ، ثم دخل الى دار الحرم فوقف على من بها من أخواته ، وعزاهن فى مصاب والدهن ، وطيب نفوسهن ، ثم رجع عشية النهار الى المحلة فبات بها ، ومن الغد جاء الى دار الدبيغ ، فدخلها ووقف على متخلف والده ، من مال وأثاث وسلاح وخيل ، الى أن عاينه وأحصاه ، وأبقى ذلك بيد من كان بيده من أصحاب والده ، وأوصاهم بالاحتفاظ به بعد أن جعل الجميع نظر الحاجب أبى محمد عبد الوهاب اليمورى ، وعامل أصحاب أبيه بالجميل وخفض لهم الجناح ، وألان لهم القول ، ووصلهم بمال اقتسموه فيما بينهم ، ثم بعد ذلك حاز منهم ما كان بأيديهم من مال والده ، فكان أكثره ذهبا ، من ذلك ألف خرج وتسميه المغاربة السماط من الجلد الفيلالى بأقفالها ، فى كل واحد ألفا دينار بالتثنية من ضربه ، وكانت تكون على سروج خيله فى السفر ، فاذا نزل الجيش وضربت الاخبية رفعها الموكلون بها ، كل واحد باسمه وعينه الى القبة السلطانية ، وعند الرحيل كذلك تدفع لهم بالاحصاء والتقييد ، ومن ذلك مائة رحى من الذهب الخالص كقرص التسمع ، فى كل رحى وزن أربعة آلاف ريال ، وكانت تكون محمولة على البغال ، فى أعدالها مغطاة بالقطائف المسماة عند المغاربة بالحنابل ، مشدودا عليها بالحبال ، أربع أرحاء فى كل عدلين ، فالمجموع خمس وعشرون بغلة تسير

أمامه فاذا نزل الجيش رفعت الى القبة السلطانية كالذى قبلها .

وكان السلطان المولى عبد الله رحمه الله يرى ذلك من الحزم حيث يحمل ماله معه أينما سار لا يفارقه ، ومما وجده سيدى محمد من مال والده أيضا ثلاثمائة ألف ريال الا خمسة عشر ألفا ، ووجد نحو العشرين ألفا من الموزونات الدقيقة من ضرب سكته ، هذا ما خلفه رحمه الله من المال الصامت ، وكان يكون على يد القائد علال بن مسعود من وصفانه ، فحاز ذلك كله أمير المؤمنين سيدى محمد ونقله الى محلته ، ووكل به وزعته ، وتقدم الى أصحابه بان يعاملوا أصحاب أبيه بالتوقير والاحترام ، ونظمهم فى سلك خدمته ، فمن ظهرت نجابته أدناه ، ومن لاعبرة به أقصاه .

ثم وفد عليه بفاس عامة قبائل الغرب وازدلفوا اليه بالهدايا والتحف فاكرم كلا بما يناسبه ، وكان فى ابتداء أمره سهل الحجاب ، رفيقا لم يعزل أحدا من قواد القبائل ، وعمال الحواضر الذين كانوا فى دولة أبيه فى حكم الاستبداد ، بل أبقى ما كان على ما كان ، ولم ينكب احدا الا بعد الاستبراء والاختبار ، غير أن أهل تطاوين كان قائدهم أبو عبد الله محمد بن عمر الوقاش منحرفا عنه أيام خلافته بمراكش ، فكان اذا كتب اليه بأمر نبذه وراء ظهره ، وربما قال للرسول : «المرأة لا تتزوج برجلين» أو كلاما يشبه هذا ، يعنى أنه مجبور لطاعة السلطان المولى عبد الله .

فلما بويع السلطان سيدى محمد وقدم حضرة فاس انقبض عنه الوقاش المذكور ، وعاذ بضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش بماله وولده خوفا على نفسه من السلطان لسوء ما قدم ، ثم قدم عليه أهل تطاوين طائعين متنصلين من فعل عاملهم المذكور ومخبرين بشأنه ، فولى السلطان عليهم الفقيه أبا محمد عبد الكريم بن زاكور أحد كتابه ، كان بعثه من مراكش الى العرائش واليا عليها ، فلما وفد عليه أهل تطاوين ولاه عليهم لكونه حضريا مثلهم ، واقام السلطان سيدى محمد رحمه الله بفاس شهرين ، وعاد الى مكناسة والله أعلم .

٧

احداث المكس بفاس وبسائر امصار المغرب وماقيل فى ذلك

لما بويع السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله وقدم حضرة فاس رفع اليه اهلها ما كانوا يؤدونه الى والده المولى عبد الله مما كان موظفا على الموازين ، كميزان سيدى فرج، وميزان قاعة السمن ، وميزان قاعة الزيت، وغير ذلك ، وقدره ثلاثمائة مثقال في كل شهر ، يجب فيها لكل سنة ثلاثة آلاف مثقال وستمائة مثقال .

فلما حضر فقهاء فاس عند السلطان سيدى محمد كلمهم فى شأنها حتى يكون الامر فيها مسندا الى فتوى الفقهاء ، فقالوا : اذا لم يكن للسلطان مال جاز له ان يقبض من الرعية ما يستخدم به الجند ، فأمرهم أن يكتبوا له في ذلك ، فكتبوا له تأليفا اعتمده السلطان ووظف على الابواب والغلات والسلع، وكان ممن كتب له في ذلك العلامة الشيخ التاودى ابن سودة ، والعلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس ، والامام أبو حفص عمر الفاسي ، والفقيه الشريف أبو زيد عبد الرحمن المنجرة ، والفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الصادق الطرابلسي ، والفقيه القاضي أبو محمد عبد القادر أبو خريص وغيرهم ، فاعتمد السلطان على فتواهم ووظف ما ذكرناه آنفا .

واعلم ان امر المكس مما عمت به البلوى في سائر الاقطار والدول منذ الاعصار المتطاولة ، والسنين الاول ، فلا بأس ان نذكر ما حرره العلماء في ذلك فنقول : قد تكلم على ذلك الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالي رضى الله عنه فى كتابه «شفاء الغليل» بما نصه : «فان قال قائل توظيف الخراج على الارض ووجوب الارتفاقات مصلحة ظاهرة لا تنتظم أمور الولاة فى رعاية الجند والاستظهار بكثرتهم وتحصيل شوكة الاسلام الا به ، ولذلك لم يلف عصر خاليا عنه والملوك على تفاوت سيرهم ، واختلاف أخلاقهم ، تطابقوا عليه ولم يستغنوا عنه ، فلا تنتظم مصلحة الدين والدنيا الا بامام مطاع ،

ووال متبع يجمع شتات الايمان ، ويحمي حوزة الدين وبيضـة الاسلام ، ويرعى مصلحة المسلمين وغبطة الانام ، ولا يستتب ذلك الا بنجدته وشوكته وجنوده وعدته فيهم مجاهدة الكفار ، وحماية الثغور ، وكف أيـدي الطغاة المارقين ، ومنعهم من مد الايدي الى الاموال والحرم والازواج ، فهم الحراس للدين عن أن تنحل دعائمه ، وتتخاذل قواه ، بتوغل الكفار فـي بلاد المسلمين ، وهم الحماة للدنيا عن أن يختـل نظامها بالتغالب والتسالب والتواثب من طغام الناس ، بفضل الصرامة والباس ، ولا يخفى عليكم كثـرة مؤنهم واستيعاب حاجاتهم في نفوسهم وعيالهم ، والمرصد لهم خمس الخمس من الغنائم والفيء ، وذلك مما يضيق في غالب الامر عن الوفاء بخراجاتهـم والكفاية لحاجاتهم ، وليس يعم ذلك الا بتوظيف الخراج على الاغنيـاء ، فان كنتم تتبعون المصالح فلا بد من الترخيص في ذلك مع ظهور المصلحة .

قلنا : الذي نراه جواز ذلك عند ظهور المصلحة ، وانمـا النظر فـي بيان وجه المصلحة فنقول أولا : التوظيف في عصرنا هذا مزاجه ومنهاجه ظلم محض لا رخصة فيه ، فان آحاد الجند لـو استوفيت جراياتهم ، ووزعت على الكافة لكفتهم برهة من الدهر ، وقدرا صالحا من الوقت ، وقد شمخوا بتنعمهم وترفههم في العيش واسرافهم في افاضة الاموال على العمارة ووجوه التجمل على سائر الاكـاسرة ، فكيف يقدر احتياجهـم الى توظيف خراج لامدادهم وارفاقهم ، وكافة أغنياء الدهر فقراء بالاضافة اليهم ، فأما لو قدرنا اماما مطاعا مفتقرا الى تكثير الجند لسد الثغور ، وحماية الملك بعـد اتساع رقعته ، وانبساط خطته ، وقد خلا بيت المال عن المال ، وأرهقت حاجة الجند الى ما يكفيهم وخلت عن مقدار كفايتهم أيديهم ، فللامـام أن يوظف عـلى الاغنياء ما يراه كافيا لهم في الحال الى أن يظهر مـال في بيت المال ، ثم اليه النظر في توظيف ذلك على وجوه الغلات والارتفاقـات ، بحيث لا يؤدي تخصيص بعض الناس به الى ايغار الصدور ، وايحاش القلوب ، ويقع ذلـك قليلا من كثير ، ولا يجحف بهم ، ويحصل به الغرض .» ثم استدل الشيخ أبو حامد رضي الله عنه لذلك من النقل والعقل بما يطول جلبه .

وقال في كتابه «المستصفى» ما نصه : « ان قيل توظيف الخراج من المصالح فهل اليه من سبيل ؟ قلنا : لاسبيل اليه مع كثرة الاموال في أيدي الاجناد ، أما اذا خلت الايدي ولم يكن في بيت المال ما يفي بخراجات العسكر ولو تفرقوا واشتغلوا بالكسب لخيف دخول الكفار بلاد الاسلام ، فيجوز للامام أن يوظف على الاغنياء مقدار كفاية الجند ، ثم أن رأى في طريق التوزيع التخصيص بالاراضي فلا حرج ، لانا نعلم انه اذا تعارض شران وضرران وجب دفع أشد الضررين وأعظم الشرين ، وما يؤديه كل واحد منهم قليل بالاضافة الى ما يخاطر به من نفسه وماله ، ولو خلت خطة الاسلام عن ذي شوكة يحفظ نظام الامور ويقطع مادة الشرور لفسدت الارض ومن عليها .» وقوله على الاغنياء يريد من له قدرة وطاقة على دفع شيء لا يجحف به ، ووقع في جواب للقاضي أبي عمر بن منظور رحمه الله «ان لضرب الخراج وتوظيفه على المرافق شروطا ، الاول منها : أن يعجز بيت المال وتتعين حاجة الجند ، فلو كان في بيت المال ما يقوم به لم يجز أن يفرض على الرعية شيء ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة صاحب مكس» ، وهو اغرام المال ظلما . ثانيها : ان الامام يتصرف فيه بالعدل ، فلا يجوز له أن يستأثر به دون المسلمين ، ولا أن ينفقه في سرف ، ولا أن يعطي من لايستحق ، ولا أن يعطي أحدا أكثر مما يستحق . ثالثها : أن يصرفه في مصروفه بحسب المصلحة والحاجة ، لا بحسب الشهوة والغرض ، وهذا يرجع الى الثاني . رابعها : أن يكون الغرم على من يكون قادرا عليه من غير ضرر ولا اجحاف ، ومن لاشيء له أو له شيء قليل فلا يغرم شيئا. خامسها : ان الامام يتفقد هذا في كل وقت ، فربما جاء وقت لا يفتقر فيه الى زيادة على مافي بيت المال ، وكذلك اذا تعينت المصلحة في المعونة بالابدان ولم يكف المال فان الناس يجبرون على التعاون بأبدانهم على الامر الداعي للمعونة بشرط القدرة ، وتعين المصلحة والافتقار الى ذلك » انتهى المقصود منه والله تعالى أعلم .

١٠

مقتل ابى الصخور الخمسى وما كان من امره

لما رجع السلطان محمد بن عبد الله من فاس الى مكناسة أقام بها يسيرا ثم خرج الى جبال غمارة بسبب ما بلغه عن المرابط أبى عبد الله محمد العربى الخمسى المعروف بأبى الصخور ، وكان له صيت وشهرة بقبائل الجبل وكان يظهر التنسك والعبادة ويزعم : أنه يستخدم الجن ، فكان العامة فيه اعتقاد كبير ، ثم صار يقول للناس : « هذا السلطان لا تطول مدته » فأخذه السلطان وقتله وبعث برأسه الى فاس ، وولى على قبائل غمارة والاخماس وتلك النواحى الباشا العياشى ، وأنزله بمدينة شفشاون ، وقفل الى مكناسة فدخلها مريضا فاتح محرم سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف ، فقال المرجفون: ما أصابه المرض الا من قتله لابى الصخور ، وقالوا : انه قد صدق فى قوله لا تطول مدته ، فعافى الله السلطان ، وأكذب ظن الشيطان ، وأقام السلطان بمكناسة الى أن انسلخ المحرم ودخل صفر ، فعاد الى مراكش بعد أن أمر بنقل عبيد السلوقية الى مكناسة ، وضمهم الى اخوانهم ، واستصحب معه الى مراكش من رجالتهم ألفا ، فلما دخلها أعطاهم الخيل والسلاح والكسى ، وعادوا الى مكناسة ، ثم قدم عليه منهم ألف آخر فاركبهم وكساهم ، واستمر حاله معهم على هذا الى أن استوفوا خيلهم وسلاحهم وكساهم ، ولم يسألهم عما كان فى أيديهم أيام الفترة .



١١

خروج السلطان سيدى محمد بن عبد الله الى الثغور و تفقده أحوالها

ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف فيها خرج امير المؤمنين المولى محمد بن عبد الله من مراكش ، نقدم مكناسة وفرق الراتب على العبيد بها ، وبعث الى الودايا راتبهم وأمرهم بالنهوض معه للتطواف على الثغور البحرية من بلاد المغرب .

فخرج من مكناسة حتى أتى مدينة تطاوين فنزل بها ، وأمر ببناء برج مرتيل الذى بها ، وفرق المال على العبيد المقيمين به منذ أيام السلطان المولى اسمعيل ، وهم بقية عبيد سبتة أعنى الذين كانوا يرابطون عليها ، فانه لما انحل نظام الملك بموت المولى اسمعيل وتفرق العبيد المرابطون على سبتة فلحقت كل طائفة منهم بقبيلتها التى جلبت منها بقى هذا الالف الذى لا قبيلة له هنالك ، فنقلهم أبو حفص الوقاش الى مرتيل ، وأحسن اليهم وصار يدفع بهم فى نحر من يريده بمكروه من القبائل المجاورة له .

ثم رحل السلطان من تطاوين الى طنجة ، وجعل طريقه على سبتة ، فمر بها ووقف عليها ونظر الى حصانتها ومناعتها ، وتحقق أن لا مطمع فيها الا بالجد ، وأمر العسكر الذين حوله باخراج دفعة من البارود ، وتسميها العامة حاضرونا ففعلوا ، واجابهم النصارى بمثل ذلك بالمدافع والكور حتى تزلزلت الجبال ، فعجب السلطان من ذلك ، وما كان قصده بهذه السفرة الا الوقوف على سبتة واختبار حالها لانه لم ينظر اليها بعين التأمل والاختبار فى المرة الاولى ، فلما تبين له حالها أرجأ أمرها الى يوم ما ، وأوصى أهل آنجرة بتعيين حصة من الرماة لحراسة نواحيها والوقوف على حدودها ، وبذل لهم مالا يستعينون به على ذلك ، ثم سار الى طنجة فنزل قريبا منها ، وخرج اليه أعيانها ورؤساؤها من أهل الريف بقضهم وقضيضهم يتقدمهم باشاهم عبد الصادق بن أحمد بن على الريفى ، كان قد قدم عليه بمراكش أيام خلافته بها ، فلما مثلوا بين يدى السلطان فى هذه المرة أكرمهم وفرق

المال والكسى فيهم ، وأمر الباشا عبد الصادق أن يبعث أخـاه عبد الهادى للوقوف على انشاء الغلائط بتطاوين .

ثم سار السلطان رحمه الله الى العرائش فألفاها خالية ليس بها الا نحو المائتين من أهل الريف تحت كنف أهل الغـرب ، فولى علـيها عبد السلام بن على وعدى ، ثم أنزل بها مائة من عبيد مكناسة .

ثم سار الى سلا فعبر الوادى ونزل برباط الفتح وأقام بـه أياما وأمر قائده أبا الحسن عليا مارسيل أن يبنى صقالة أى برجا كبيرا على البحر، وأمر قائد سلا عبد الحق فنيش أن يبنى مثلها بسلا على البحر مقابلتها ، ثم أمـر بانشاء سفينتين احداهما لاهل سلا والاخرى لاهل رباط الفتح، وكانت عندهم سفينة واحدة مشتركة بينهم أنشأوها أيام الفترة ، وفيها كانوا قـد خرجوا الى حصن آكادير، ومنه بعثوا وفدهم الى سيدى محمد بن عبد الله وهو يومئذ خليفة بمراكش،فأكرم الرسل وبعث معهم مالاكثيرا الى المجاهدين بالعدوتين، وفى مدة مقامه برباط الفتح هذه المـرة صرف جيش العبيد والودايا الى بلادهم ، وسار هو الى مراكش ، ولمـا احتل بها كتب الى تجار النصارى بآسفى ، يأمرهم أن يشتروا لـه اقامـة المراكب القرصانية مـن صوارى ونطاقات ، وقمن ، ومخاطيف ، وحبال ، وقلوع ، وبتاتى ، وغير ذلك ؛ فتنافسوا فى شراء ذلك وازدلفوا الى السلطان بجلبه وانتخابه ، ثـم استقدم حراطين الصحراء الذين بالرتب ، وتافيلالت ، وهم الجبابرة والمعاركة وأولاد أبى أحمد ، لما بلغه عنهم من أنهم يعينون عمه المولى الحسن عـلى محاربـة الاشراف الذين هنالك ، فنقلهـم الى مكناسة وأعطاهم الكسوة والسلاح، وكتبهم فى ديوان الجيش .

وفى هذه السنة وصل الخبر بموت المولى المستضىء بن اسمعيل بتافيلالت كمـا مر .

١٣

أيقاع السلطان سيدى محمد بن عبد الله بالودايا والسبب في ذلك

كان هؤلاء الودايا أحد اركان العسكر الاسماعيلى حسبما تقدم ، وكان المولى اسمعيل رحمه الله قد اعتنى بشأنهم وأخذ بضبعهم وجمعهم بعد الفرقة وأغناهم بعد العيلة ، وأسكنهم فاسا الجديد وأعماله ، فاستوطنوه وألفوه ، وصاروا هم اهله بين سائر الجند ، فكان لهم فى الدولة الغناء الكبير ، واتخذوا الدور والقصور ، وتوالت عليهم بالعز وإباية الضيم السنون والشهور .

ولما توفى رحمه الله كانوا بفاس الجديد على غاية من تمام الشوكة وكمال العصبية ، وقد ملكوا أمر انفسهم على الدولة ، وغلظت قناتهم على من يريد غمزها من أهلها ، فكانت آحكام الملوك من أولاد المولى اسمعيل لا تمضى عليهم ، سيما مع ما حازوه من شرف الخؤلة للسلطان المولى عبد الله الذى هو أكبرهم قدرا واعظمهم صيتا ، وكان شأنه معهم أن يستكثر بهم تارة وعليهم أخرى . والفتن فيما بين ذلك قائمة حسبما مر شرح ذلك مستوفى .

فلما كانت اواخر دولة السلطان المولى عبد الله وهلك محمد واعزيز كبير البربر افترق آيت ادراسن ، وجروان، ووقعت الحرب بينهم مرتين أعان فيها الودايا جروان ، وألحوا على آيت ادراسن بالنهب والقتل حتى أجلوهم من تلك البلاد .

ثم لما بويع السلطان سيدى محمد انحاز اليه آيت ادراسن ، اذ هم شيعة أبيه أيام محمد واعزيز ، فولى عليهم ولد محمد واعزيز وانزلهم باحواز مكناسة اذ كان عالما بما ناله من جروان . والودايا وتظاهرهم عليهم، واشتغالهم مع ذلك بافساد السابلة وقبض الخفارات عليها ، وكان رئيسهم لذلك العهد رجلا يقال له : جبور لطا ميرا ،فآخى السلطان سيدى محمد بين آيت ادراسن وآيت يمور ، وحالف بينهم واوصى عامله على مكناسة بهم ، وتقدم الى جروان بالكف عن اذايتهم فلم يرجعوا ولم يقلعوا بل

تمادوا على حرب آيت ادراسن وظاهرهم الودايـا على عادتهم ، وأرادوا أن يسيروا فيهم بالسيرة التى كانوا عليها أيام السلطان المولى عبد الله ظنا منهـم أن ذلك يتم لهم مع ابنه سيدى محمد وهيهات :

اذا رأيت نيـوب الليث بارزة * فلا تظنن ان الليث مبتســم

ولما اتصل الخبر بالسلطان أمر قائد العبيد وقائد آيت يمـور أن يشدوا عضد آيت ادراسن ، وينهضوا لنصرتهم على اعدائهم جروان ، حيث انتصرت لهم الودايا ، فهاجت الحرب وكشرت عن أنيابها ، وشمرت عن ساقها ، فبرز الودايا بجموعهم ونزلوا بوادى فاس ، فى أول يوم مـن رمضان ، وأقاموا هنالك مفطرين منتهكين لحرمة الصيام بسفرهم الحرام ، ثـم اجتمعوا هـم وجروان وساروا الى جهة مكناسة ، وأقبل آيت ادراسن نحوهم بمن لانهم من العبيد وآيت يمور ، فكان اللقـاء على وادى ويسلن ، فوقعت الحـرب فانتصر آيت ادراسن عليهم ، وهزموهم وانتهبوا محلة جروان ومحلة الودايا وقتلوا منهم نحـو الخمسمائة ، وحزوا رؤوس أعيانهم فعلقوها عـلى الباب الجديد من مكناسة ، ورجع الودايا الى فاس مفلولين لم يتقدم لهم مثلها .

ولما اتصل خبر ذلك بالسلطان اغتاظ على الودايا بسبب افتياتهم عليه ، وانتهاكهم حرمة جواره ، فعزم على المكر بهم وأسرها فى نفسه ولـم يبدها لهم ، واستمر مقيما بمراكش الى ان دخلت سنة أربع وسبعين ومائة والف .

فخرج من مراكش قاصدا مكناسة ومضمرا الايقاع بالودايا ، وأحس الودايا بذلك منه ، فلما وصل الى مكناسة بعثـوا اليـه عجائزهم متشفعات ومعتذرات عما فرط منهم ، فاجتمعن به أثناء الطريق وتوسلن اليه بالرحـم والقرابة ، فرق لهن واعطاهن كسى ودراهم وعدن صحبته الى فاس فنـزل بالصفصافة وخيمت بها عساكره ، وخرج أهـل فاس والودايا لملاقاته فألان لهم القول وأظهر البشر ، ومن الغد أمر بعمارة المشور بدار الدبيبغ ، وقدم أهل فاس طعام الضيافة على العادة ، فأمر السلطان بادخاله الى دار الدبيبغ ، ولما صلى العصر خرج على الناس بالمشور فوقف لهم وقدم الوفود هداياهـم على العادة ، ولما فرغ من ذلك كلـه أمر العبيد والودايـا بالدخول الى دار

الدبيغ لاكل طعام الضيافة ، وكان قد اعد بها الفا من المسخرين للقبض على أعيان الودايا أفردهم فى ناحية ، فلما دخلوا وغلقت الابواب وثبوا عليهم وجردوهم من السلاح ، وكتفوهم والقوهم على الارض .

ولما طعم الجيش وسائر الناس أمر السلطان الخيل بالركوب وشن الغارات على حلة الودايا والمغافرة بلمطة ، فركبت الخيول وتقدمت المهم وسار السلطان فى موكبه خلفهم ، ولما شرق شارق فاسا الجديد رماه الودايا من أبراجه بالكور فلم تغن شيئا ، وتقدم السلطان حتى وقف بالموضع المعروف بدار الرخاء ، فلم يكن الا هنيئة حتى اقبلت العساكر بالسبى والاثاث والخيام ، وانتسفوا الحلة نسفا ، ولما جن الليل خرج من كان بقى من أعيانهم بفاس الجديد وتفرقوا شذر مذر ، فذهب بعضهم الى ضريح الشيخ أبى العباس احمد الشاوى ، وبعضهم الى زاوية الشيخ اليوسى ، وبعضهم الى ضريح سيدى أبى سرغين بصفرو وغير ذلك ، وبقى الضعفاء على الاسوار يطلبون الامان فعطفته عليهم الرحم ورق لهم فأمنهم وأخرجهم الى فاس القديم ، وادال منهم بفاس الجديد بألف كانون من العبيد ، فنزلوه وعمروه واقفر من الودايا بعد ان كانوا اهاه مدة طويلة كما علمت .

ثم أمر السلطان رحمه الله باربعة من مساجين الودايا فسرحوا ، أحدهم القائد قدور بن الخضر الشهير الذكر ، وامرهم أن يقفوا على اخوانهم المسجونين حتى يعينوا أهل الفساد من غيرهم ، ويأتوه بزمامهم ، ويتحروا الصدق فى ذلك ، فعينوا له خمسين من عتاتهم أهل زيغ وفساد فأمر بان تضرب على أرجلهم الكبول ويقرن كل اثنين منهم فى سلسلة ، ثم بعث منهم الى مراكش اثنان على الجمل ، فسجنوا بها وطهرت الارض من شيطنتهم ، ثم أمر السلطان رحمه الله القائد قدور بن الخضر أن يسرح الباقين من اخوانه ويضم اليهم من الودايا والمغافرة تكملة الف ويشرد من عداهم الى قبائلهم وحللهم ، ثم عين السلطان رحمه الله لاولئك الالف اصطبل مكناسة ينزلون به ويكون قصبة لهم ، فحملوا أولادهم الى مكناسة واستوطنوها مع العبيد ، غير أنهم قد انفردوا بالاصطبل كما قلنا ،

وولى عليهم السلطان القائد قدور بن الخضر ، وكان اصغرهم سنا واكملهم عقلا واصدقهم خدمة ، وأمره بتأديبهم واجراء الاحكام عليهم حتى رئموا ملكة الدولة وسكنوا تحت تصريفها وخضعوا لامرها ونهيها ، واخذ السلطان فى دفع الخيل والسلاح والكسى لهم شيئا فشيئا الى أن اركبهم كلهم ، فصلحت أحوالهم ونمت فروعهم ، واستمروا بمكناسة الى ان ردهم الى فاس الجديد المولى يزيد بن محمد لاول ولايته كما سياتى ان شاء الله .

وفى هذه السنة أعنى سنة اربع وسبعين ومائة والف باع السلطان أمكاس فاس لعاملها الحاج محمد الصفار باثنى عشر ألف مثقال فى السنة ثم ارتحل الى مراكش فاحتل بها الى أن كان من أمره ما نذكره .

مجيء السلطان سيدي محمد بن عبد الله من مراكش الى الغرب مرة اخرى وما اتفق له فى ذلك

ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة والف فيها خرج السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله من مراكش يريد بلاد الغرب وعرج فى طريقه على جملة من القبائل الذين كانوا مشتغلين بالفساد فاوقع بهم وشرد بهم من خلفهم ، وذلك انه وصل الى بلاد الشاوية فنهبهم وانتسف أموالهم وقتلهم وقبض على عدد كثير منهم بعثهم فى السلاسل الى مراكش ، ثم عدل الى جهة تادلا فمر على برابرة شقيرين من آيت ومالو فنهب أموالهم وقتل من ظفر به منهم ، ثم سار الى بلاد الغرب عازما على الايقاع بعرب الحياينة لافسادهم وتمردهم ، فابتدأ أولا بنهب آيت سكاتو ، وثنى ببنى سادان ، وثلث بالحياينة ، ففروا الى جبال غياثة وتحصنوا بها فترك الجيوش ببلادهم تأكل زروعهم ، وتقدم هو الى تازا ، ثم اقتحم على الحياينة جبال غياثة فأبادهم قتلا وتشريدا ، والعساكر ببلادهم تنتسف الزروع وتحرق

العمائر وتستخرج الدفائن الى ان تركتها أنقى مـن الراحة ، وعـاد الى مكناسـة .

وفى مقامه بها قبض على الشيخ محمود الشنكيطى المتصوف النابغ بفاس كان قد قدم من بلاده ونزل بمسنودع القرويين وأظهـر التنسك فصـار يجتمع عليه الاعيان والتجار من أهل فاس ويعتقدونه . قال فى البستان : فلم يقتصر على ما هو شأنه من اقبال الخلق عليه ، بل صار يتكلـم فى الدولـة ويكاتب البربر ويزعم ان سلطان الوقت جائر ولم يوافق عليه مـن الاولياء أحد ، فنما ذلك الى السلطان فأمر بالقبض عليه وبعث بـه الى مراكش ، فسجن بها ثم امتحن الى ان مات ، ولم تبكه أرض ولا سماء .

وقال أكنسوس : انه كان يقول ان السلطان يموت الى شهـر ، فنشأ ذلك فى العامة وتسابقوا الى شراء الفحم والحطب وادخار الاقوات وحصلت فتنة بفاس ، فأنهى ذلك الى السلطان فكتب الى عامـل فاس بالقبض عليـه وتوجيهه الى مراكش . ثم أمر السلطان أيضا ، وهو بمكناسة ، بالقبض على الامين الحاج الخياط عديل واخوته فسجنوا فى مال كان عليهم بعضـه لـه وبعضه لوالده من قبله ، وفى تمام السنة أمـر بتسريحهم ، وبعث الحـاج الخياط منهم والسيد الطاهر بنانى الرباطى سفيرين عنه الى السلطان مصطفى ابن احمد العثمانى صاحب القسطنطينية العظمـى ، وفيها ايضـا استخلف السلطان رحمه الله ابن عمه المولى ادريس بـن المنتصر بفاس وولاه عـلى قبائل الجبل كلها ، وفيها أمر بتحبيس الكتب الاسماعيلية التـى كانت بدويرة الكتب بمكناسة ، وعددها اثنـا عشر ألـف مجلد وزيادة ، فحبسها عـلى مساجد المغرب كله ولا زالت خزائنها مشحونة بها الى الآن مكتوبا عليهـا رسم التحبيس باسم السلطان المذكور ، ثم ارتحل الى مراكش وفيهـا أيضا تولى الحاج محمد الصفار مكس فاس باثنين وعشرين الف مثقال فى السنة .

١٨

ايقاع السلطان سيدى محمد بن عبد الله بقبيلة مسفيوة والسبب في ذلك

كان هؤلاء مسفيوة شيعة للمولى المستضىء حسبما تقدم ، ولما زحف السلطان المولى عبد الله الى بلاد الحوز وشرد أخاه المولى المستضىء عن مسفيوة وأوقع بهم الوقعة التى تقدم الخبر عنها أذعنوا الى طاعته فى الظاهر، وبقيت الحسائف كامنة فى صدورهم ، فكانت تلك الطاعة التى أظهروها له هدنة على دخن ، واستمر حالهم على ذلك الى أيام السلطان سيدى محمد رحمه الله فشرى فسادهم . وقال فى «البستان» : « كان هؤلاء مسفيوة من الطغيان والاستخفاف من الدولة على غاية لم تكن لاحد ، من يوم استخلف سيدى محمد بمراكش وهو يعالج داءهم فما نفع فيه ترياق الى أن قدم مراكش قدمته هذه ، فوفد عليه بها مائة وخمسون من أعيانهم ، فانتهز فيهم الفرصة وقتلهم كلهم سوى القاضى ، ثم سرب الخيول للغارة على حلتهم فانتسفوها وابلغوا فى النكاية ، فانخضدت بذلك شوكتهم واستقامت طاعتهم وصلحت أحوالهم فيما بعد ذلك » .

ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة وألف فيها جاء السلطان من مراكش الى الغرب ونهب فى طريقه آيت سيبر من زمور الشلح وبددهم ، ولما وصل الى مكناسة أمر القبائل بدفع الزكوات والاعشار فكانت الحياينة وشراقة وسائر الحوزية يدفعون واجبهم بهرى فاس ، وكان أهل الغرب وبنو حسن والبربر يدفعون بهرى مكناسة ، ثم نهض السلطان الى غزو مرموشة فهزمهم ونهب أموالهم واستولى على معاقلهم وقتل منهم عددا وافرا ، وذلك بعد أن انتصروا على عسكر السلطان أولا وظهروا عليه ، فتقدم اليهم رحمه الله بنفسه وعبيده المسخرين . فأوقع بهم وشردهم، ثم صار الى تازا فاصلح شؤونها وثقف أطرافها وعاد سالما مظفرا .

وفى هذه السنة توفى قائد القواد الذى كان من السلطان بمنزلة الوزير أبو عبد الله محمد بن حدو الدكالى الذى كان ولاه على دكالة لاول ولايته،

ثم أضاف اليه تامسنا وتادلا مكان البوزرارى الجابرى عمود الدولة المحمدية رحمه الله ، ولما توفى ولى السلطان مكانــــه ابن عمه القائــد أبــا عبد الله محمد بن أحمــد .

ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة وألف فيها أمر السلطان بناء قبــــة الشيخ أبى الحسن على بن حرزهم بفاس ، وفيها ثـــار رجل اسمه أحمــد الخضر بصحراء فجيج فكان يزعم أنه المولى عبد الملك ، ثم صار يزعم أنـــه داعيته ، وفتن الناس بتلك الجهات وجرت على يديه حروب وخطوب ، فبعث السلطان الى عرب تلك البلاد فقتلوه وبعثوا برأسه اليه ، وهو بمكنــاسة ، وكان السلطان يومئذ مريضا فعافاه الله وسافر الى مراكش .

ولما اجتاز برباط الفتح بعث منه الرئيس الحاج التهامى مدور الرباطى باشدورا الى بلاد السويد ليأتيه باقامــــة المراكب والبارود ، وبعث أيضـــا الرئيس أبا عبد الله محمد العربى المستيرى الرباطى باشدورا الى بــــلاد النجليز ليصلح بها قرصانه ويجعل له اقامـــــة جديدة ، فقدمها وجدد قرصانه واستصحب معه اقامة مركبين ومدافع نحاسية وغير ذلك وعاد لتمام السنة .

ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة وألف فيها كـــانت وليمـــــة عرس ولد السلطان المولى على بن محمد بمراكش على ابنة عمه المولى أحمد بـــن عبد الله وعرس ابن أخيه سيدى محمد بن أحمد على ابنة السلطان ، وكانت وليمة عظيمة حضرها عامــــة أهل المغرب بهداياهـــم وأبهاتهم وشاراتهــم واستقامت الامور للسلطان رحمه الله .

بـناء مدينة الصويرة حرسها الله

لما فرغ السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله من وليمة عرس أولاده سار الى ناحية الصويرة بقصد بنائها وعمارتها ، فوقف على اختطاطها وتأسيسها وترك البنائين والعملة بها وأمر عماله وقواده ببناء دورهم بها وعاد الى مراكش .

وقال الكاتب أبو العباس أحمد بن المهدى الغزال فى رحلته ما ملخصه: ان السبب فى بناء مدينة الصويرة هو : أن السلطان سيدى محمد بن عبد الله كان له ولوع بالجهاد فى البحر ، واتخذ لذلك قراصين حربية تكون فى غالب الاوقات بمرسى العدوتين ومرسى العرائش ، وكان سفرها فى البحر مقصورا على شهرين فى السنة زمان الشتاء لان المراسى متصلة بالاودية ، وفى غير ابان الشتاء يقل الماء ويعلو الرمل بأفواه المراسى فيمنع من اجتياز القراصين بها ويتعذر السفر ، ففكر السلطان رحمه الله فى حيلة يتأتى بها سفر قراصينه فى سائر أيام السنة ، فبنى ثغر الصويرة واعتنى به لسلامة مرساه من الآفة المذكورة .

وذكر غير الغزال : أن الباعث للسلطان المذكور على بناء الصويرة هو أن حصن آكادير كانت تتداوله الثوار من أهل السوس مثل : الطالب صالح وغيره ، ويسرحون وسق السلع منه إفتياتا ويستبدون بأرباحها ، فرأى أن حسم تلك المادة لا يتأتى الا باحداث مرسى آخر أقرب الى تلك الناحية وأدخل فى وسط المملكة من آكادير حتى تتعطل على أولئك الثوار منفعته فلا يتشوف أحد اليه، فاختط مدينة الصويرة وأتقن وضعها وتأنق فى بنائها وشحن الجزيرتين الدائرتين بمرساها كبرى وصغرى بالمدافع ، وشيد برجا على صخرة داخل البحر وشحنه كذلك ، فصار القاصد للمرسى لا يدخلها الا تحت رمى المدافع من البرج والجزيرة معا .

ولما تم امرها جلب اليها تجار النصارى بقصد التجارة بها وأسقط عنهم

وظيف الاعشار ترغيبا لهم فيها فأهرعوا اليها من كل أوب ، وانحدروا الى مرساها من كل صوب ، فعمرت فى الحين واستمر الترخيص لهم فيها مدة من السنين ، ثم رد أمرها الى ماعليه حال المراسى من أداء الصاكة وغيرها من اللوازم وهى الآن بهذا الحال ، والله تعالى أعلم .

هجوم الفرنسيس على ثغر سلا والعرائش ورجوعه عنهما بالخيبة

قد قدمنا ما كان للسلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله من الولوع بأمر البحر والجهاد فيه فلم تزل قراصينه تتردد فى أكناف البحر وتجوس خلال ثغور الكفر فتقتل وتأسر وتغنم وتسبى الى أن ضاق بهم رحب الفضاء ، وكاد يستأصل جمهورهم حكم القضاء ، فمنهم من فزع الى طلب المهادنة وحسن الجوار ، ومنهم من كذبته نفسه فتطاول الى الاخذ بالثار.

ومن هذا القسم الثانى جنس الفرنسيس فان قراصين السلطان رحمه الله كانت قد غنمت منه مركبا ساقته الى مرسى العرائش وغنمت منه غير ذلك فى مرات متعددة فدعاه ذلك الىأن هجم على ثغر سلا أواخر سنة ثمان وسبعين ومائة وألف . قال الغزال فى رحلته : « رمى الفرنسيس بمرسى سلا من الانفاض والبنب ما ظن انه يحصل به على طائل فاجيب منها بضعف ذلك ، فلم يلبث الا وأجفانه هاربة تقفو أواخرها الاوائل وفر هاربا مهزوما ساقط الالوية مذموما ، اه ورأيت بخط الفقيه العلامة أبى العباس أحمد بن المكى السدراتى السلاوى رحمه الله ما صورته : هجم الفرنسيس على مدينة سلا يوم الجمعة الحادى عشر من ذى الحجة متم سنة ثمان وسبعين ومائة وألف فأقاموا يوم الجمعة ويوم السبت بظاهر البحر لم يفعلوا شيئا ، وفى يوم الاحد تقدمت سفنهم فرموا من البنب مائة وسبعا وسبعين وهدمت الدور وفر النساء والصبيان خارج البلد ولم يبق بها الا القليل . وكان يوما مشهودا ، وفى صبيحة يوم الاثنين أرسل الله عليهم الريح ففرقت مراكبهم

ونفس الله عن المسلمين . وفي يوم السبت الآتي بعده رجعوا فرموا مائة وعشرين . وفي يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من الشهر المذكور رموا مائة ونيفا وثلاثين ولم يستشهد من المسلمين في تلك المدة سوى رجل واحد اهـ. قال الغزال : ثم « ان الفرنسيس عالج ما انصدع من أجفانه في حرب سلا ثم هجم على ثغر العرائش» قال السدراتي : فرمى عليها فيما ذكروا أربعة آلاف نفض ونيفا وثلاثين نفضا وخربوها وهدموا دورها ومسجدها . قال : وذلك مفتتح سنة تسع وسبعين ومائة والف» . وفي يوم الخميس الثاني من المحرم وقيل التاسع منه ليلة عاشوراء اقتحموا المرسى في خمسة عشر قاربا مشحونة من العسكر بنحو الالف وفيها من الشلطاظ والفسيان عدد كثير ، وتصاعدوا مع مجرى الوادي الى مراكب السلطان التي كانت هنالك فحرقوا سفينة منها وهي التي غنمها المسلمون منهم ، وعمدوا الى اخرى فكسروها بالمعاول والفؤس ، ثم تكاثر عليهم المسلمون وقاتلهم بنو جرفط وأهل الساحل حتى ردوهم على أعقابهم .

ولما انقلبوا راجعين الى مراكبهم وجدوا عرب الغرب مع قائدهم حبيب المالكي قد أخذوا بمخنقهم على فم المرسى وانبثوا لهم على الحجر الذي هنالك ، وبعث الله ريحا من جهة البحر عظمت بها امواجه ومنعتهم من الخروج ، فكانوا اذا توسطوا الوادي ليخرجوا ردتهم الريح ، واذا انحازوا الى أحد الشطين رماهم المسلمون بالرصاص حتى استأصلوا جمهورهم ، ثم سبحوا اليهم حتى خالطوهم في قواربهم فاستاقوا أحد عشر قاربا ونجا أربعة، وتقسمهم المسلمون بين قتيل واسير ، وتفرقوا في الاعراب والبادية أيدي سبا ثم امر السلطان بجمعهم واعطى كل من أتى باسير منهم مالا وكسوة ، فاجتمع منهم نحو الخمسين فبقوا في الاسر الى ان توسط في فدائهم طاغية الاصنيول ففدوا بمال له بال .

وأما رؤوس القتلى فقد امر السلطان رحمه الله بتوجيه نحو الثمانين منها الى سلا فعلقت بالصقالة القريبة من ضريح الشيخ ابن عاشر رضي الله عنه ، وبعد هذا وقع الصلح مع جنس الفرنسيس وانعقدت الشروط معه

كما سيأتى .

ثم ان السلطان رحمه الله قدم العرائش عقب الوقعة وأقام بها شهرا واعتنى بشأنها فبنى بها الصقائل والابراج حتى صارت من أعمر الثغور . وبيد الله تصاريف الامور .

مراسلة السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله لطاغية الاصبنيول وما اتفق في ذلك

كان السبب الذى اوجب مراسلة السلطان سيدى محمد بن عبد الله لطاغية الاصبنيول . أن جماعة من أسرى المسلمين الذين كانوا باصبانيا كتبوا مكاتيب عديدة الى السلطان رحمه الله يعلمونه بما هم فيه من ضيق الاسر وثقل الاصر ، وما نالهم من الكفار من الامتهان والصغار ، وكان فيهم من ينتمى للعلم ومن يقرأ القرآن وغير ذلك ، فلما وصلت كتبهم الى السلطان وقرئت عليه تأثر لذلك ووقعت منه موقعا كبيرا ، وأمر فى الحين بالكتب الى طاغية الاصبنيول يقول له . «إنه لا يسعنا فى ديننا اهمال الاسارى وتركهم فى قيد الاسر ، ولا حجة فى التغافل عنهم لمن ولاه الله الامر ، وفيما نظن أنه لا يسعكم ذلك فى دينكم أيضا » . واوصاه أن يعتنى بخواص المسلمين الذين هنالك من أهل العلم وحملة القرآن ، وان لا يسلك بهم مسلك غيرهم من عامة الاسارى ، قال : «مثل ما نفعل نحن باساراكم من القرايلية فانا لا نكلفهم بخدمة ولا نخفر لهم ذمة » .

فلما وصل هذا الكتاب الى الطاغية أعظمه وكاد يطير سرورا به ، وللحين أمر باطلاق الاسارى الذين بحضرته ، وبعث بهم الى السلطان ووعده أن يلحق بهم غيرهم من الذين بقوا بسائر اياالته ، فوقع ذلك من السلطان رحمه الله الموقع وعظم فى عينيه ، وكان كريم الطبع يحب المفخر

ويعنى به ، فأطلق لطاغية الاصبنيول جميع من كان تحت يده من أسارى جنسه وعززهم بأسرى غير جنسه أيضا لتكون للطاغية بذلك مزية على سائر الاجناس ، وبعث معهم بهدية فيها عدد من الاسود على يد قائد سبتة . فاتصل ذلك كله بالطاغية فطارت نفسه شعاعا من شدة الفرح ، وشمر عن ساعد الجد وهيأ هدية استوفى فيها غاية مقدوره ، وبعثها مع كبراء القسيسين والفسيان ، واصحبهم كتابا أفصح به عما بين جنبيه للسلطان من المحبة والاعتراف بالفضل والمنة ، وطلب منه مع ذلك أن يتفضل عليه ببعث أحد أرباب دولته وكبرائها لتتشرف أرضه بمقدمه ، وتشتهر هذه المواصلة والملاطفة عند أجناس الفرنج فيعظم بذلك قدره ويكمل فخره، فأسعفه السلطان رحمه الله بذلك ، وبعث اليه خاليه الرئيسين أبا يعلى عمارة ابن موسى ، وابا عبد الله محمد بن ناصر ، وكلاهما من الودايا ، ومعهما كاتبه أبو العباس أحمد الغزال بعثه كاتبا لهما لا غير ، فلما وصلوا الى جبل طارق كتب الغزال الى بعض وزراء السلطان يقول له : انى أريد منك أن تعرف أمير المؤمنين أن هذين الرجلين لامعرفة لهما بقوانين النصارى ، وانى قد خفت عاقبة الامر فيما ينشأ عن رأيهما فلا يؤاخذنى أمير المؤمنين بشىء من ذلك ان كان ، فأخبر الوزير السلطان فقال : صدق ، وقد ندمت على تقديمهما عليه وما راعيت الا منزلتهما ، والآن فاكتب الى الطاغية وقل له انى قد بعثت اليك بكاتبى أحمد الغزال باشدورا وابعث بالكتاب الى الغزال، فاذا بلغه فليستمسك به وليحز الكتاب الاول الذى عندهما ويلى الامر دونهما ، فلما بلغه كتاب السلطان امتثل وقضى الغرض على الوجه المطلوب ، وأبقى ذكرا جميلا رحمه الله .

وفى هذه السنة أعنى سنة تسع وسبعين ومائة والف ، ألزم السلطان أهل فاس ببعث الادالة منهم الى الصويرة وهى خمسون راميا بقائدها وفقيه مدرس ومؤقت ومؤذن وشاهدان ، وأسقط عنهم البعث الذى كانوا يفرضونه للملوك قبله ، وهى : خمسمائة رام ، فعينوا الادالة المذكورة بعد التى واللتيا وبعثوهم اليه بمراكش ، فبعثهم السلطان الى الصويرة ورتب لهم المؤن

والمرافق فكانوا يقومون على المرسى وينتفعون بمستفادها ، فحسنت حالهم واغتبطوا بها واستمر الحال على ذلك .

وفي هذه السنة بعث أيضا السلطان الرئيس أبا الحسن عليا مارسيل الرباطي الى بلاد الفرنسيس لتقرير الصلح معهم ، وقبض مال أسارى العرائش وشراء الاقامة منه ، فبذلوا المال والاقامة معا طائعين ، وفيها بعث السلطان الفقيهين السيد الطاهر بن عبد السلام السلاوى ، والسيد الطاهر بنانى الرباطى ، باشدورين الى صاحب الاسطنبول السلطان مصطفى العثمانى وأصحبهما هدية نفيسة فيها خيل عتاق بسروج مثقلة بالذهب مرصعة بالجوهر والياقوت ونفيس الاحجار ، وفيها أسياف محلاة بالذهب ومرصعة بالياقوت المختلف الالوان ، وفيها حلى من عمل المغرب فقبل ذلك السلطان العثمانى وابتهج به ثم كافأ عليه بمركب موسوق من آلة الحرب مدافع ومهاريس وبارود واقامة كثيرة للمراكب القرصانية من كل ما تحتاج اليه .

وفي هذه السنة خرج السلطان الى بلاد الريف فجعل طريقه على تطاوين ثم على بلاد غمارة وانتهى الى جارت وبلاد الريف ، فمهد تلك النواحى كلها ورجع على طريق تازا ، وفيها قدم المولى على ابن السلطان خليفة عن أبيه فنزل فاسا الجديد واضاف اليه قبائل الجبل والريف ، وفيها قدمت ربة الدار العالية المولاة فاطمة بنت سليمان من مراكش الى فاس بقصد الزيارة ، فركبت ذات ليلة الى ضريح المولى ادريس رضى الله عنه ، وضريح الشيخ أبى الحسن على بن حرزهم ، وضريح الشيخ ابى عبد الله التاودى ، فطافت عليهم وتبركت بتربهم وذبحت أكثر من مائة ثور ، وأخرجت صدقات كثيرة ، ثم خرجت بعد ذلك الى مدينة صفرو فزارت ضريح سيدى أبى سرغين ، وضريح سيدى ابى على ، وذبحت وتصدقت وعادت الى فاس ، ثم ذهبت الى زيارة الشيخ عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه ، فصحبها فى ركابها أعيان فاس وأشرافها وعلماؤها ، ولما كانت بأثناء الطريق اعترضها قواد الغرب بهداياهم وبشاراتهم وزيهم ، ووافاها قواد الثغور بضريح الشيخ عبد السلام فى مواكبهم وخيلهم ورجلهم ،

وذلك عن أمر من السلطان رحمه الله .

قال صاحب «البستان» : وكنت يومئذ واليا على العرائش فحضرت في جملتهم ، ولما قضت أرب الزيارة فرقت الاموال على الاشراف من أهل جبل العلم ، وغمرت الناس بالعطايا ثم عادت الى القصر ومنه سارت الى العرائش فأقامت بها ثلاثة أيام ، وانفض قواد الثغور كل الى محله ، وسافرت المولاة المذكورة الى مراكش في ألف فارس من العبيد ، كانوا قد قدموا معها من مراكش عليهم القائد مصباح ، وكان فعلها هذا من الآثار العظيمة، والمناقب الفخيمة رحمها الله .

اعتناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله بثغر العرائش وشحنه بآلة الجهاد

قد تقدم لنا أن السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله قدم العرائش عقب وقعة الفرنسيس فوقف عليها واعتنى بأمرها ، وبنى بها الصقائل والابراج وصونها ، ثم كان قدوم ابنه المولى يزيد في هذا التاريخ الى فاس ، وفي ركابه جماعة من رؤساء البحر والطبجية أهل الاجادة في الرمي ، وكان قدومه بامر السلطان لجر المدافع ، والمهاريس النحاسية التي كانت بفاس الجديد ومكناسة ونقلها الى ثغر العرائش ففعلوا ، وألزم السلطان القبائل الذين بالطريق أن يتولوا جرها ، فكانت كل قبيلة تجرها الى التي تليها الى أن وصلوا الى مشرع مسيعيدة من نهر سبو .

قال صاحب « البستان » : فورد علينا أمر السلطان بالعرائش أن نخرج الى لقائهم في الجند وقبائل الحوز يعني حوز العرائش ، قال : فوافيناهم على وادي سبو فتولى أهل الغرب جر تلك المدافع والمهاريس الى أن أوصلوها الى وادي الدردار قرب تاجناوت ، ثم جرها أهل العرائش وقبائل حوزها الى المدينة ، وكان يوم دخولها مهرجانا عظيما أخرجت فيه المدافع والمهاريس والبارود ، وتسابقت القبائل على الخيول ولعبوا بالبارود الى المساء ، ثم رجع

المولى يزيد ومن معه من الرؤساء والبحرية والطبجية الى حضرة السلطان بمكناسة وقد تم الغرض المقصود

ايقاع السلطان سيدى محمد بن عبد الله بايت يمور أهل تادلا ونقلهم الى سلفات والسبب فى ذلك

لما انقضى أمر العرائش تفرغ السلطان لقضاء ما كان قد بقى عليه من أمر الرعية ، فخرج من مكناسة الى تادلا مضمرا الايقاع بآيت يمور لما كان يبلغه عنهم من الفساد فى الارض ، فلما بلغها مكر بهم بأن أرسل اليهم يستنفرهم خيلا ورجلا وأراهم أنه يريد أن يذهب بهم فى سرية هيأها لايت ومالو ، فلما قدموا عليه أمر بعرض العساكر كلها ووقف رحمه الله بازاء القصبة ، ثم عرضت عليه عساكر الجند ، ثم القبائل بعضها اثر البعض وكلما مرت عليه قبيلة أوقفها فى ناحية عينها لها ، وكلما مر به جيش أوقفه كذلك ، حتى غصت الارض بالخيل والرجل واستدارت من كل الجهات ولم يبق الا آيت يمور فجاءوا فى آخر العرض ، ولما مثلوا بين يديه أمر أهل رحاه أن يرموهم بالرصاص على زناد واحد ، فأطلقوا عليهم شؤبوبا منه تساقط له عدد كثير ، وكان قد تقدم الى العساكر المستديرة بهم أن ينفحوهم بالرصاص كلما قصدوا جهة من جهاتهم ، فكانوا كلما قصدوا ناحية طالبين الخلاص منها رماهم أهلها فتساقط منهم العصبة الكبيرة الى أن خلصوا من ناحية أهل دكالة، بعد أن هلك منهم ما ينيف على الثمانمائة، فأمر السلطان برؤوسهم فجزت وبعث بها الى فاس فعلقت على الاسوار ، وأمر العساكر بنهب حللهم فانتسفوها وسيقت مواشيهم وخيامهم وأثاثهم ، وفر من أفلت منهم الى جبل آيت يسرى ، ثم رحل السلطان عنهم الى مراكش فوفدوا عليه بعد أيام خاضعين تائبين ، فعفى عنهم ونقلهم الى جبل سلفات

من أحواز فاس فأوطنوه حينا من الدهر .

اغراء السلطان سيدى محمد بن عبد الله بآيت ادراسن والسبب فى ذلك

لما كان من السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله لآيت ادراسن من الاحسان ما كان حتى أوقع بالودايا لاجلهم مع أنهم صميم الجند وركن الدولة ، وأطال لهم الرسن فى ذلك بما أطغاهم وحملهم على الدالة عليه ، صدرت منهم هنات اعتدها السلطان عليهم ، فانتدب لتأديبهم بأن كتب وهو بمراكش الى الودايا لقتالهم ، والى العبيد وجروان يأمرهم أن يجتمعوا على حربهم والايقاع بهم ، فكان ذلك عند الودايا من أكبر متمناهم ، فاجتمعوا مع من ذكر ونهدوا اليهم فكبسوهم فى ديارهم وجرت بينهم حرب فظيعة انهزم فى آخرها آيت ادراسن ونهبت حللهم ، وقتل منهم عدد كثير وأسر مثل ذلك ، ووجهوا فى السلاسل الى السلطان بمراكش .

وفى هذه السنة أعنى سنة تسع وسبعين ومائة وألف ، أمر السلطان بجمع جند اليكشارية من قبائل الحوز ، ووكل بجمعهم القائد عبد النبى المنبهى وأن يثبتهم فى ديوان العسكر ، وأن كل من كان عزبا وأراد الدخول فى الجندية فليكتبه ، فاجتمع له من ذلك أربعة آلاف وخمسمائة ، فأعطاهم السلطان الكسى والسلاح واستخدمهم مدة ، ثم كان مآلهم أن رجعوا الى اخوانهم وقبائلهم ، وضرب عليهم المغرم فى جملتهم ، وفيها مات عامل فاس الحاج محمد الصفار ، فولى السلطان على فاس ابنه العربى بن محمد الصفار .

ثم دخلت سنة ثمانين ومائة وألف فيها قدم السلطان الى مكناسة وقبض على القائد عبد الصادق بن أحمد الريفى صاحب طنجة ، وعلى مائة من قرابته وأهل بيته فأودعهم السجن ، ثم سار الى طنجة فدخلها ونهب دار عبد الصادق المذكور ، ونقل اخوانه بأولادهم الى المهدية ، وولى عليهم محمد بن عبد الملك من بيتهم، ولم يترك بطنجة من أهل الريف الا أهل المروءة والصلاح، وأنزل

معهم ألفا وخمسمائة من عبيد المهدية بعددهم بحيث لا يطمعون فى قيام ولا يحدثون أنفسهم بثورة ، ووقع بخط الفقيه أبو العباس أحمد السدراتى أن انتقال أهل الريف الى المهدية كان بعد هذا بنحو أربع سنين والله أعلم .

مقتل عبد الحق فنيش السلاوي ونكبة اهل بيته والسبب فى ذلك

قد قدمنا فى آخر دولة السلطان المولى عبد الله ما كان بحواضر المغرب وبواديه من الاضطراب ، فسما بعض القواد والعمال بالامصار الى مرتبة الاستقلال ، وطرحوا طاعة السلطان فى زاوية الاهمال ، فمنهم صاحب سلا عبد الحق بن عبد العزيز فنيش ، كان قد استحوذ على مدينة سلا وأعمالها واستبد بأمرها ، بما كان له من العشيرة والعصبية بها ، ولما اجتاز سيدى محمد بن عبد الله من مراكش الى القصر أيام والده أغلق عبد الحق هذا أبواب سلا فى وجهه ، ولم يحفل به ذهابا وايابا حسبما مر .

ثم لما ولى الله السلطان أمر المسلمين أعرض عما أسلفه عبد الحق من جريرته وأبقاه فى مدينته على رياسته ، فاستمر على ذلك برهة من الدهر ، وكان فظا غليظا ، فقتل رجلا من أعيان سلا قيل كان هذا الرجل من قرابته وقيل كان من أولاد زنيبر ، فرفع أولياؤه أمرهم الى السلطان بمكناسة وحضر عبد الحق معهم وثبت أن قتله للرجل كان على وجه الظلم ، فحرك ذلك من السلطان ما كان كامنا فى صدره عليه ، فقبض عليه ودفعه الى أولياء المقتول ليتولوا قتله بأيديهم ، فجبنوا عنه لما كان له فى قلوبهم من الهيبة، فأمر السلطان الوزعة بقتله بمرأى منهم ، فقتلوه فيما قيل بأيدى الفؤس ، ثم بعث السلطان من احتاط على أموال عبد الحق والفنانشة أجمع ، وأمر ببيع أصولهم بعد اعمال الموجبات بأن الفنانشة مستغرقوا الذمة ، وأن جميع ما بأيديهم اكتسبوه من الغصوبات وغيرها من وجوه الظلم وضرب الاتاوات على الضعفاء والمساكين حتى عند نكاحهم ، فبيعت أصول عبد الحق وعشيرته

لبني حسن ، وكانت تنيف على مائة أصل من بين ربع وعقار ، وكان ذلك سنة ثمانين ومائة وألف ، ثم غربهم السلطان الى العرائش فسجنوا بها مدة وغرب بعضهم الى الصويرة ثم عفا عنهم وقربهم وولاهم رياسة الرماية بالمهراس والمدفع المعروفة برياسة الطبجية ، وفرقهم على الثغور ، فكان بعضهم بالعرائش ، وبعضهم بطنجة ، وبعضهم برباط الفتح ، وبعضهم بالصويرة وأعطاهم الدور المعتبرة والرباع المغلة ، ورتب لهم الجرايات العظيمة حتى بلغوا من الثروة والعز والجاه ما لم يبلغه أحد في دولته رحمه الله ، كذا في البستان .

ومن القواد الذين كانوا في حكم الاستبداد أيام السلطان المولى عبد الله ثم نكبهم ابنه السلطان سيدي محمد بعد حين القائد أبو الحسن الحاج على بن العروسي الدكالي البوزراري ، كان قائد المولى المستضيء بعد أيام ولايته ، ولما أفضى الامر الى السلطان سيدي محمد قبض عليه وأودعه المطبق عدة أعوام ، ثم سرحه وولاه مدينة شفشاون ، وتوارث الرياسة بنوه من بعده ولهم آثار بثغر الجديدة ، منها مسجدها مكتوبا عليه اسم بانيه الى الان ، ومن القواد المستبدين قائد تامسنا المدعو ولد المجاطية ، وقائد تادلا الرضى الورديغي ، فعزلهم السلطان سيدي محمد وولى على تامسنا وتادلا القائد محمد بن حدو الدكالي المتقدم الذكر ، ومنهم أبو عريف قائد بني حسن ، فعزله السلطان وولى مكانه أبا عبد الله محمد القسطالي ومنهم الباشا حبيب المالكي قائد الغرب كان رأس الامراء أيام أبيه ، فقبض عليه وأودعه المطبق وأمر بهدم قصره وحمل أنقاضه الى العرائش ، ونهب ماله وماشيته ، ولما طرح الباشا حبيب بالمطبق منع نفسه من الطعام والشراب الى أن مات ميتة جاهلية عياذا بالله ، فهؤلاء أنياب القبائل وأهل العصبية منهم تتبعهم السلطان واحدا بعد واحد الى أن أراح الدولة من ضررهم والله أعلم .

وفي هذه السنة أعني سنة ثمانين ومائة وألف انعقدت الشروط بين السلطان سيدي محمد بن عبد الله وبين جنس الفرنسيس ، وهي عشرون

شرطا ، مضمنها ومرجعها الى المهادنة والصلح ، والمخالطة بالبيع والشراء مع التوقير والاحترام من الجانبين ، واذا سافرت مراكبهم من مراسيهم الى ايالتنا فتصحب معها الورقة المسماة «بالباصبورط» من عند أمير البحر المرتب بكل مرسى من مراسيهم ، فيها اسم المركب ورئيسه ، وبيان ما اشتمل عليه من الوسق ، ومن أين جاء والى أين يذهب ، وعليه طابع أمير البحر وهو طابع الجنس ، واذا سافرت مراكبنا من مراسينا الى ايالتهم ، فتصحب كذلك خط يد القنصل المرتب بمرسانا من ذلك الجنس ، باسم المركب ورئيسه ، وما اشتمل عليه ، مختوما عليه بطابع الجنس أيضا ، وكان القياس أن مراكبهم تحمل طابعنا وخطنا ليحصل لها التوقير ، كما نحمل نحن طابعهم وخطهم ليحصل لنا التوقير منهم ، ولكن لما لم تجر العادة بترتب متأملنا بمراسيهم اكتفى بطابعهم من الجانبين ، اذ المقصود حاصل بذلك ولا يلتبس على رؤساء البحر طابع جنس بآخر ، فاذا التقى مركب بمركب وأخرج كل ورقته عرف من أى جنس هو وعومل على مقتضى ذلك .

ورود هدية السلطان مصطفى العثمانى على السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمهما الله



وفى هذه السنة أعنى سنة ثمانين ومائة وألف ، بعث السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله خديمه الرئيس عبد الكريم راغون التطاونى باشدورا الى السلطان مصطفى العثمانى ، وأصحبه هدية نفيسة مكافأة له على هديته التى كان أرسلها مع السيد الطاهر بن عبد السلام السلاوى ، والسيد الطاهر بنانى الرباطى حسبما مر .

ثم لما دخلت سنة احدى وثمانين ومائة وألف ، قدم الحاج عبد الكريم المذكور من عند السلطان المذكور ومعه هدية عظيمة أعظم من الاولى ، وهى

مركب موسوق بالمدافع والمهاريس النحاسية ، واقامتها واقامة المراكب القرصانية من صوار ومخاطيف وقلوع وقمن وحبال وبراميل وغير ذلك من آلات البحر ، وفيها ثلاثون من مهرة المعلمين الذين لهم المعرفة بافراغ المدافع والمهاريس والكور والبنب ، وبصناعة المراكب القرصانية ، وفيهم معلم مجيد فى الرمى بالمهراس الى الغاية ، فنزلوا بمرسى العرائش .

قال صاحب «البستان» : وكنت يومئذ واليا بها فورد أمر السلطان بتوجيه المعلمين الى فاس يقيمون بها حتى يقدم السلطان من مراكش الى مكناسة فيجتمعون به هنالك ، ولما وصل السلطان الى مكناسة وحضروا عنده فاوضهم فى الخدمة وأراد أن يحيي آثار دار الصنعة التى كانت بسلا تصنع بها المراكب الجهادية على عهد الموحدين وبنى مرين ، فقالوا : نحتاج أن تبنى لنا دارا على هيئة كذا ، ومن نعتها كذا وكذا ، ورسموا له شكلها فى قرطاس فرأى أن أمرها لا يتم فى عشر سنين ولا أكثر ، ولا يكفى فى بنائها مال فأعرض عن ذلك ، وبعث معلمى البنب الى تطاوين فكان أحدهم يفرغ البنبة من قنطارين ، وبعث معلمى المراكب الى سلا فأنشأوا فيها ثلاث شكظريات ، وبعث معلم الرمى الى رباط الفتح فكان يعلم بها الطبجية من أهل سلا والرباط ، وتخرج على يديه نجباء . ومن ثم توارث أهل العدوتين هذه الصناعة مدة الى أن لم يبق بها اليوم الا الاسم ، وورد أصحاب المدافع والمهاريس الى فاس فأقاموا بها الى أن توفوا هنالك رحمهم الله .

وفى هذه السنة انعقدت الشروط بين السلطان سيدى محمد بن عبد الله وبين جنس الدينمرك ، وهى عشرون شرطا ترجع الى تمام الصلح والامن من الجانبين أيضا والاول منها مضمنه خروج أمر المراسى المغربية من يد تجار الدينمرك فلا يتصرفون فيها بشيء ، لكون الكمبانية التى كانت تدفع من المراسى قد تفرقت بعد التزام فصلهم بأداء اثنى عشر ألف ريال وخمسمائة ريال التى بقيت بذمة تجارهم من ذلك ، ولا تعود المراسى لايديهم بحال ، والآخر منها مضمنه أن يدفع طاغية

الدينمرك للسلطان كل سنة خمسة وعشرين مدفعا من مدافع المعدن وزن كورتها من ثمانية عشر رطلا الى أربعة وعشرين ، ويدفع معها ثلاثين قمنة ، ومن اللوح الروبلى ألفى لوحة مختلطة ، ومن الريال ستة آلاف وخمسمائة ، والكل واصل الى المحل الذى يريده السلطان ، وان أراد الطاغية أن يدفع بدلا عن جميع ذلك خمسة وعشرين ألف ريال فله ذلك ومثل هذا انعقد مع جنس السويد أيضا ، الا أن قدر المدفوع من جانبه عشرون ألف ريال فقط فى كل سنة ، ومع أجناس أخر وظائف أخر ، واستمرت هذه السنة الى أن انقطعت سنة احدى وستين ومائتين وألف فى دولة السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام رحمه الله حسبما نذكر ذلك فى محله

وفى هذه السنة أعنى سنة احدى وثمانين ومائة وألف ، كانت فتنة الدعى كلخ بمراكش ، وهو رجل صعلوك اسمه عمر ، كان ينتسب الى الشيخ أبى العزم سيدى رحال ، وكان يظهر للعامة الكرامات الكاذبة ، وتبعه السواد الاعظم من جهلة البادية ، لانه وعدهم أن يفتح لهم بيت المال ويهيلون منه الذهب والفضة هيلا ، من غير ممانع ، فأهرع الناس اليه وتقدم الى مراكش ، فدخلها فى عالم من الاوباش شعارهم هاتان الكلمتان : كلخ ، شلخ رافعين بها أصواتهم وهم كالسيل المنحدر من عل ، فوقع الهرج بالمدينة وغلقت الاسواق، واتصل الخبر بالسلطان وهو بداره، فأمر الوزعة والعبيد فاعترضوهم دون القصبة وقبضوا عليه ، ولما صار فى أيديهم فر من كان معه من الطغام وساقوه الى السلطان ، فقتله وسكنت جعجعته للحين

انعقاد الصهر بين السلطان سيدى محمد بن عبد الله وبين سلطان مكة الشريف سرور رحمه الله

كان السلطان سيدى محمد بن عبد الله يحب الفخر ، ويعنى به ، وله رغبة فى الخير وأهله . ولما كان سلطان مكة الشريف سرور رحمه الله بالمحل الذى أكرمه الله به بلدا ومحتدا ، رغب السلطان سيدى محمد رحمه الله فى مصاهرته ، وسمحت نفسه الشريفة ببذل كريمته .

فلما دخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ، وعزم ركب الحاج المغربى على السفر الى الحجاز بعث معهم السلطان المذكور ابنته وزفها على بعلها المذكور وبعث ولده الاكبر وخليفته الاشهر المولى على بن محمد لاقامة فريضة الحج ومعه شقيقه المولى عبد السلام صغيرا دون بلوغ ليكون مع أخته وكلاهما فى صحبة الركب المغربى كما قلنا ، وأصحبهما هدية لامير طرابلس وهدية لامير مصر والشام، وهدية عظيمة لاهل الحرمين الشريفين، ومالا كثيرا يفرق على أشراف الحجاز واليمن ، وجوائز سنية للعلماء والنقباء وأرباب الوظائف بمكة والمدينة ، وبعث معهما من وجوه أهل المغرب وأولاد امراء القبائل وأشياخهم ، ومن أكابر خدامه وأصحاب أشغاله بالخيول المسومة والسلاح الشاكى ، والشارة الحسنة ، ما تحدث به أهل المشرق دهرا ، وكان فى جهاز ابنة السلطان ما يزيد على مائة ألف دينار من الحلى والياقوت والجوهر ، وكان يوم دخولها الى مكة يوما مشهودا ، حضره عامة أهل الموسم الاعظم من الآفاق ، وتناقلت حديثه الركبان والرفاق .

٣٥

اعتناء السلطان سيدى محمد بن عبد الله بعبيد السوس والقبلة وجلبهم الى اجدال رباط الفتح

وفى هذه السنة ، أعنى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ، بعث السلطان سيدى محمد بن عبد الله ابن عمه المولى على بن الفضيل وكاتبه أبا عثمان سعيد الشليح الجزولى الى بلاد السوس لجمع عبيد المخزن الذين بها ، وبعث وصيفه المحجوب ابن قائد رأسه لاقليم طاطا وآقاوتيشيت من بلاد القبلة لجمع العبيد الذين هنالك فجاءوا بألفين من عبيد السوس بأولادهم ، وألفين من عبيد القبلة بأولادهم كذلك ، فأنزلهم السلطان بظاهر مراكش الى أن أعطاهم السلاح والكسى ، وولى عليهم القائد المحجوب المذكور .

ثم لما سار الى رباط الفتح أمر بقطع جنات أجدال الذى بظاهر البلد ، وأنزل العبيد به وبنى لهم الدور والمسجد والمدرسة والحمام والسوق، وزاد عليهم ألفين وخمسمائة من الودايا جلبها من القبائل، وكتب الجميع فى الديوان وجعلهم فى مقابلة عبيد مكناسة والودايا الذين بها ، وأفاض فيهم العطاء الكثير لسكناهم بثغر من ثغور الاسلام .

فتح الجديدة

قد ذكر لويز مارية خبر هذا الفتح ونحن نلخص ما ذكره من ذلك قال : لما ولى السلطان سيدى محمد بن عبد الله سلطنة المغرب ، كان لا يقر له قرار من أجل مشاركة البرتقال له فى قطعة من أرضه ، وكان شهما ذا أنفة وإباية ، فاستشار أهل الرأى من دولته فى غزو الجديدة وفتحها ، فقالوا له : لا يظن سيدنا أن أخذها يكون بأن تحمل المسلمون عليها دفعة واحدة حتى يقتحموها مثلا ، فان ذلك لا يجدى شيئا ، ولا يحصلون الا على

القتل ، كما وقع فى أيام السلطان الغالب بالله السعدى ، وانما يتوصل الى فتحها بالحصار والمطاولة برا وبحرا ، فعمل على ذلك بعد أن كرهه أولا ، ولما عزم على النهوض اليها ، جمع جيشا كثيفا من قبائل مراكش والحوز والسوس وغير ذلك .

زعم لويز أنه اجتمع له من المقاتلة نحو سبعين ألفا ، ويظن أن هذا من مبالغته على عادته فى ذلك ، وكان نزوله على الجديدة ، فى رابع مارس العجمى ، سنة ثمان وستين وسبعمائة وألف مسيحية ، وفى تواريخ الاسلام ، أن نزوله عليها كان فى فاتح رمضان من سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف عربية ، ولما نزل عليها أمر بحفر الاساس لاتخاذ أشبار من جميع جهاتها ، ونصب عليها خمسة وثلاثين مدفعا بين كبير وصغير ، ورمى عليها كورا وبنبا كثيرا فى أيام متعددة سقط منه داخلها أكثر من ألفين ، وهدمت كثيرا من أبنيتها ، وقتلت عددا وافرا من أهلها ، وكان من جملة أهلها رجل عسكرى قدأناف على السبعين سنةوعجز عنحضور القتال،وله زوجة وأولاد، فلما رأى تساقط البنب مثل المطر طلب النجاة لنفسه وعياله ، ففر الى هرى هنالك كان فوقه خزائن قمح فاختفى تحته ، واختفى معه أناس آخرون وظنوا أن البنبة لا تنفذ فى خزين القمح وتخرق السقف الذى تحته وتصل الى الهرى الذى هم به ، فقضى الله تعالى بأن سقطت به بنبة تجاوزت القمح والسقف وسقطت على الشيخ فقتلته ومن معه ، وكانوا تسعة أنفس ، وانجرح آخرون .

ولما طال الحصار على أهل الجديدة كتبوا الى طاغيتهم فأشار عليهم بالخروج ان عجزوا عن المدافعة ، وكانت هذه المكاتبة من غير علم من العامة ، وبينماهم كذلك اذ ورد عليهم مركب من أشبونة ظنوه مددا لهم ، فاذا به قد أتى بكتاب الطاغية يأمرهم بالخروج ، ويتحملوا بأولادهم وعيالهم فى مراكبه ويدفعوا البلد للمسلمين ، ولما علم العامة بذلك امتنعوا وحاصوا حيصة حمر الوحش ، وسبوا الكتاب ومن أرسله وقالوا : لا نخرج منها حتى نهلك عن آخرنا ، اذ هى مأثرة أجدادنا عجنت طينتها بدمائهم ، وفنيت عليها نفوس

أكابرهم وأشرافهم ، ثم توسط بين عامتهم وكبيرهم القسيسون وسهلوا عليهم الامر حتى انقادوا ، وبعث كبيرهم الى السلطان سيدى محمد بن عبد الله يطلب منه أن يكف عن القتال ويؤجله ثلاثة أيام ليدفع له البلد ، فأجابه السلطان الى ذلك ، واشترط عليه أن لا يخرجوا الا في ثيابهم التي على ظهورهم ، ولا يحملوا معهم شيئا غيرها فامتثلوا .

قال لويز : حتى أن عسكريا منهم حمل معه كسوة أخرى لم تسمح بها نفسه فرآها كبيرهم وهو يريد أن يصعد الى المركب فانتزعها منه وألقاها في البحر ، ولما أيسوا من حمل شيء معهم أحرقوا الاثاث والفراش ، وعرقبوا الخيل ، وقتلوا الماشية ، وكسروا الاواني والعدة ، وفلسوا أكثر من مائة مدفع وآخر الامر أنهم دفنوا مينات البارود في حوماتها كل مينا فيها أكثر من أربعين برميلا ، وتركوا رجلا حدادا اسمه بطروس ، فيقال انه الذى أوقد المينا عند دخول المسلمين اليها ، فهلك فيها نحو خمسة آلاف ، وتهدم السور الجنوبي منها .

ولما وصلوا الى اشبونة أسكنهم طاغيتهم ببلدة يقال لها : بلين فأصابهم الوخم وهلك منهم أكثر من ثلاثمائة نفس ، ثم انتقلوا الى بلاد البرازيل ، فبنوا هنالك مدينة سموها مازكان الثانية باسم الجديدة ، هذا ملخص ما ذكره لويز . ومن خط الفقيه العلامة أبي العباس احمد السدراتي ، أن فتح الجديدة كان صبيحة يوم السبت الثاني من ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ، ووافق ذلك اليوم الثامن والعشرين من فبراير العجمي وهو ثالث أيام الحسوم اه . وكان ممن شهد هذا الفتح المعلم الحاج سليمان التركي المجيد في صناعة الرمي بالمهراس فأبدأ وأعاد ، وحضرها أيضا جماعة من فناشة سلا فأبلوا بلاء حسنا ، وعمرها السلطان بأهل دكالة اذ هي في وسط أرضهم ، وأضاف اليهم حصة من عسكر اليكشارية وأعقابهم بها لهذا العهد والله أعلم .

سعي السلطان سيدى محمد بن عبد الله في فكاك أسرى المسلمين وما يسر الله على يديه من ذلك

قد تقدم أن السلطان سيدى محمد بن عبد الله كان قد بعث خاليه : عمارة بن موسى ، ومحمد بن ناصر ، الوديين وكاتبه أبا العباس الغزال الى طاغية الاصبنيول ، وان الغزال قد أحكم الصلح وقضى الغرض على ما ينبغي ، وفى تلك السفرة وقع التفادى بين السلطان والطاغية فى الاسرى التى كانت بينهما حسبما مر .

فلما كانت هذه السنة التى هى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ، كتب طاغية الاصبنيول الى السلطان يقول : انه لم يبق ببلادى أحد من أسرى ايالتكم ، ولم يبق عندى الا أسرى أهل الجزائر الذين عندهم أسرانا ، وطلب منه مع ذلك ان يتوسط له عند صاحب الجزائر فى المفاداة بينه وبينه ، وكانت أسرى الاصبنيول تزيد على أسرى الجزائر بكثير ، وطلب أن تكون هذه المفاداة على يديه أعنى على يد السلطان رحمه الله ، الرئيس بالرئيس والبلوط بالبلوط ، واليكانجى باليكانجي ، والبحرى بالبحرى ، والجندى بالجندى ، ومن فضلت عنده فضلة فالبحرى بخمسمائة ريال ، والرئيس بألف ، فأسعفه السلطان فى طلبه ، وانتدب للسعي فى انقاذ المسلمين من أيدى الكفار ابتغاء مرضاة الله ورجاء ثوابه ، وكان السلطان قد كتب اليه مع الغزال وصاحبيه فيمن تحت أيديهم من سائر أسرى المسلمين ، فبعثوا اليه بأهل المغرب فقط ، واعتذروا بانهم حبسوا أسرى الجزائر ليفكوا بهم أسراهم .

ولما كاتب السلطان أهل الجزائر وعرض عليهم ما طلبه طاغية الاصبنيول امتنعوا من الفداء ، فكتب السلطان الى باى الجزائر ثانيا فامتنع، ثم أعاد اليهم الكتابة ثالثا وحضهم على فكاك أسرى المسلمين ووعظهم وخوفهم عقاب الله ورغبهم فى ثوابه ، فأذعنوا وامتثلوا ، وطلبوا منه أن يبعث اليهم رجلا من خاصته يقف على المفاداة بنفسه ، ويدفعون اليه أسراهم فى يده ،

ويتسلم مثل عددهم من اخوانهم ، فلما ورد على السلطان كتاب أهل الجزائر بالامتثال كتب الى الطاغية يأمره أن يبعث بما عنده من أسرى المسلمين فـي مركب الى الجزائر وينتظر هنالك الباشدور الذى يوجهه مـن قبله حتـى تكون المفاداة على يده ، وبعث السلطان لهذا الغرض كاتبه أبا العباس الغزال وصاحبه ، وعند وصولهم الى الجزائر أرسى مركب الاصبنيول بظاهر مرساها وانزل من أسرى المسلمين ألفا وستمائة ونيفا ، فأخرج أهل الجزائر من أسرى النصارى مثلهم ألفا وستمائة ونيفا أيضا ، وبقيت عندهم من أسرى النصارى فضلة ففداها الاصبنيول بالمال وانفصلوا ، ورجع الباشدور ومن معه الى حضرة السلطان وكتب الله أجر ذلك فى صحيفته .

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف فيها غزا السلطان قبـائل تادلا لافسادهم ومحاربة بعضهم بعضا ، فنهب أموالهم ، وشردهم فـى كـل وجه ، وولى عليهم القائد صالح بن الرضى الورديغى ، فاستصفى أموالهـم وأفقرهم حتى لم يقدروا على الانتقال من محل الى آخر من قلة الظهر.

ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة وألف فيهـا غزا السلطان برابـرة جروان لما ظهر منهم من الفساد ، واغرائهم ابنه المولى يزيد بالانتزاء عـلى الملك ، واجتماعهم على محمـد وناصر المعروف بمهاوش رأس الفتنـة ، وتباريهم فى خدمته ، فقدم من مراكش وطرقهم بوادى كريكرة فأوقـع بهم ونهب أموالهم وقتل منهم نحو الخمسمائة ، وتركهم عالـة يتكففون الناس بمكناسة وفاس ، ثم نقلهم الى بسيط آزغار وأنزلهم وسط العـرب فانحسمت مادة فسادهم .

حصار السلطان سيدي محمد بن عبد الله مدينة مليلية من ثغور الاصبنيول

لما كانت أواخر سنة أربع وثمانين ومائة وألف ، غزا السلطان سيدى محمد بن عبد الله مدينة مليلية وفيها نصارى الاصنيول ، فأحاطت عساكره بها ونصب عليها المدافع والمهاريس ، وشرع فى رميها أول يوم من المحرم سنة خمس وثمانين ومائة وألف ، واستمر على ذلك أياما فكتب اليه طاغية الاصنيول يعاتبه على حصارها ويذكره المهادنة والصلح الذى انعقد بينه وبينه ويقول له : هذا خط كاتبك الغزال الذى كان واسطة بينى وبينك فى عقد الصلح لا زال تحت يدى ، فأجابه السلطان رحمه الله بأن قال : انما عقدت معك المهادنة فى البحر ، فأما المدن التى فى ايالتنا فلا مهادنة فيها ولو كانت فيها مهادنة لخرجتم الينا ودخلنا اليكم ، فكيف ادعاء المهادنة مع هذه المداهنة فبعث اليه الطاغية عقد الصلح بعينه فاذا هو عام فى البر والبحر ، فكف عن حربها وأفرج عنها وترك هنالك جميع آلات الحرب من مدافع ومهاريس وكراريص وبنب وكور وبارود ، وشرط على الطاغية حملها فى البحر وردها الى الثغور التى جلبت منها لما فى جرها فى البر من المشقة على المسلمين ، فانعم بذلك وبعث مراكبه فحملت بعضها الى تطاوين ، وبعضها الى الصويرة ، وذلك محلها الذى سيقت منه ، وكان ذلك سبب تأخيره الغزال عن كتابته ، وبقى عاطلا الى أن كف بصره ومات رحمه الله .

وسمعت من بعض فقهاء العصر وقد جرت المذاكرة فى كيفية هذا الصلح فقال : ان الغزال رحمه الله لما أعطى خط يده بالصلح والمهادنة ، كتب فى الصك ما صورته : وان المهادنة بيننا وبينكم بحرا لا برا ، فلما حاز النصارى خط يده كشطوا لام الالف وجعلوا مكانها واوا فصار الكلام هكذا بحرا وبرا ، وان السلطان رحمه الله انما أخره لاختصاره الكلام واجحافه به حتى سهل على النصارى تحريفه وكان من حقه أن يأتى بعبارة مطولة مفصلة حتى لا يمكن تحريفها ، فيقول : مثلا والمهادنة بيننا وبينكم انما هى

في البحر ، واما البر فلا مهادنة بيننا وبينكم فيه ، أو نحو هذا من الكلام فيصعب تحريفه ، وقد نص أهل علم التوثيق على هذا وان الموثق يجب عليه أن يبسط الكلام ما استطاع ويجتنب الاختصار المجحف وما يؤدي اليه بوجه من الوجوه والله أعلم .

نهوض السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى برابرة آيت ومالو والسبب في ذلك

ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة وألف فيها خرج السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله الى جبال آيت ومالو ، وكان ذلك في غرض قائده بلقاسم الزموري ، فانه كان قد ولاه عليهم فلم يقبلوه ، فطلب من السلطان الاعانة عليهم فأمده بثلاثة آلاف فارس مضافة الى من معه من اخوانه زمور وبني حكم ، وسار اليهم فلما نزل على وادي ام الربيع من ناحية تادلا زحفوا اليه فولى عنهم مدبرا ولم يعقب ، واتصل خبر هزيمته بالسلطان فاغتاظ على آيت ومالو ، وأخذ في الاستعداد لغزوهم ، وبرزت العساكر بظاهر مكناسة ، وبعث السلطان الى امراء القبائل من العرب والبربر يستنفرهم فوافاه بمكناسة على الصعب والذلول ، ولما تكاملت الجنود نهض اليهم .

قال صاحب البستان : وهو الكاتب أبو القاسم الصياني بالصاد المشممة زايا كاللفظ صراط في قراءة حمزة ، وكنت معه في هذه السفرة وسياق الحديث عنها بأن قال : كنت مع السلطان وأنا يومئذ في حيز الاهمال ، أتوقع الموت في كل وقت ، بسبب ما كتب اليه في شأني القائد بلقاسم الزموري المذكور آنفا واني أنا الذي أفسدت عليه قومه ، ولما وصل السلطان الى محلة بلقاسم ونزلت عساكره في بسيط كريكرة أشار على السلطان بأن

يقسم تلك الجيوش على ثلاثة أقسام : ثلث منها ينزل بتاسماكت من وراء العدو ،وثلث ينزل بزاوية أهل الدلاء على طريق بلادهم ، وثلث يذهب معه على طريق تيقيط ، ويتقدم السلطان في عساكره حتى ينزل بآدخسان ، وتقصدهم العساكر من كل وجه ، وقرب على السلطان الأمد البعيد باللسان والرأى الذى لا يفيد ، وكان هو لا يعرف البلاد ، ومن الغد افترقت العساكر فتوجه كل الى ناحيته التى عينت له ، وتقدم السلطان الى آدخسان ، ولما عبر وادى أم الربيع قدم كروان امامه للغارة عليهم ، فساروا الى أن بلغوا قصبة آدخسان فلم يجدوا بها نافخ نار ، فأقاموا هنالك الى أن لحق بهم السلطان فقال : أين هؤلاء ؟ قالوا : ما رأينا أحدا ، وهذه قصبة آدخسان ، فأمر بنزول الجيوش وبقى هو على فرسه متحيرا فاستدعى أبا القاسم الصيانى ، قال : فأسرعت نحوه فقال لى : أتعرف هذه البلاد ؟ قلت : نعم أتم المعرفة قال : وأين أهلها ؟ قلت : فى جبلهم ، قال : أوليس هذا جبلهم وهذا آدخسان ؟ قلت : لا هذه قصبة المخزن والجبل من تلك الثنايا السود فما خلفها ، وأريته الثنايا ، فقال : وأين الزاوية التى سار اليها الجيش مع قدور بن الخضر ومسرور ؟ قلت : هى عن يمين الثنايا فى البسيط ، قال : وأين تاسماكت التى سارت اليها أمم البربر مع ولد محمد واعزيز ؟ قلت : بيننا وبينها مرحلتان من وراء الثنايا ، قال : ومن أين يأتى القائد بلقاسم ؟ فأريته الثنية التى يطلع منها وقلت له : انه لا يصل الينا الا غدا ان سلم ! قال : وما صنعنا نحن ؟ قلت : ضربا فى حديد بارد فان الذى بالزاوية لا يجدى ، والذى بتاسماكت لا يجدى ، وآيت ومالو متحصنون بالجبل ، وبلقاسم رجل مشؤوم عافى الله مولانا من شؤمه ، قال : فظهر للسلطان خلاف ما سمع من بلقاسم ، وتحقق فساد رأيه ، وعلم أنه قد أخطأ فيما ارتكبه من التغرير بالمسلمين قال: ثم بينت له السبب الذى نفر به آيت ومالو عن بلقاسم حتى عرفه ، قال: اكتب الى قومك صيان يقدموا علينا فانى قد سامحتهم ، فكتبت اليهم وبعثت بالكتاب من آدخسان مع بعض الاشراف ، واثنين من أصحاب السلطان ، فخاضوا اليهم الليل واجتمعوا بهم ، ومن الغد

أصبح عندنا أربعة منهم بهديتهم ، فدخلت بهم على السلطان فأكرمهم ، وقبل هديتهم ، وقال : انى سامحتكم لوجه كاتبى فلان ، وردهم مبشرين الى اخوانهم ، وباتت العساكر تلك الليلة بلا علف ولا تبن ، ومن الغد ظهرت محلة بلقاسم ومعه مختار والعبيد وكانوا قد باتوا على القتال طول ليلتهم ، ولما وصلوا الى السلطان أمر أن ينزل العبيد بجواره وينزل بلقاسم مع قومه زمور وبنى حكم ، وأعرض عنه ثم أمره بتسريح اخوانه الى بلادهم ، وسرح القبائل كلها الى بلادها ، وفرق ذلك الجمع وارتحل راجعا الى تادلا .

وأما الذين نزلوا بتاسماكت مع ولد محمد واعزيز ، فبيتهم آيت ومالو بغارة شعواء شردوهم بها فى كل وجه ، ونهبوا محلتهم ، وقتلوا منهم عددا كثيرا ورجعوا الى مكناسة مفلولين ، ولما بات السلطان بالزرهونية ورد عليه أصحاب قدور بن الخضر بكتابه يقول فيه : ان البربر قد تألبوا علينا من كل أوب ، فان لم يدركنا سيدنا هلكنا ، قال الصيانى : فأمرنى السلطان بالمسير اليهم والاحتيال فى خلاصهم بكل ما يمكن ، وبعث معى مائة فارس ، فوافيت الزاوية الدلائية فوجدت قبائل البربر محيطة بهم ، فاجتمعت بآيت يسرى ووعدتهم من السلطان بالعطاء الجزيل ان هم فسحوا لجيشه حتى يسلك فى بلادهم فأنعموا بذلك ، ورحل الجيش مع الفجر وعدانا به من آيت ومالو وعبرنا الوادى الى بلاد آيت يسرى ، وسار معنا نحو المائة من أعيانهم الى أن أخرجونا الى وادى تاقبالت من تادلا ورجعوا ، قال : وتقدمت الى السلطان فأخبرته بخلاص الجيش ووصوله الى وادى تاقبالت ، فسره ذلك ودعا لى بخير وقال : لا بد أن ترجع اليهم الساعة وأعطانى مالا افرقه عليهم ، وأرسم لهم المنازل التى ينزلونها فى مسيرهم الى مكناسة ، وبها ينتظرون السلطان ، فرجعت اليهم فى الحين وأخبرتهم برأى السلطان فى المسير الى مكناسة ، ورسمت لهم المنازل على نحو ما أمر ، ولما أصبحنا فرقت عليهم المال وارتحلوا الى مكناسة ، وانقلبت الى السلطان فوجدته قد أصابته حمى أقام لها بقصبة تادلا ، وكان الطبيب أبو العباس أحمد

آدراق يعالجه ولا يدخل عليه الا أنا وهو ، وصاحب طعامه الحـاج عبد الله الى أن عوفى فوصـل الطبيب بألف دينار ، ثـم سافر الى مكناسة وبوصوله اليها قبض على بلقاسم الزمورى ، ونكبه واستصفى أمواله وولى على زمور وبنى حكم ولد محمد واعزيز ، قال الصيـانى : ومن ذلـك الوقت رفع السلطان منزلتى على أقرانى وصار يقدمنى فى المهمات .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة وألف فيها انعقدت الشروط بـين السلطان وبين البرتقال ، وهى اثنان وعشرون شرطا، مضمنها الصلح والامان كالشروط المتقدمة .

ذكر ما آل اليه امر اليكشارية الذين استخدمهم السلطان من قبائل الحوز

لما جمع السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله هذا الصنف من رماة الجند وسماهم اليكشارية كالذين من قبلهـم ، وكان جمعهم عـلى يد القائد عبد النبى المنبهى حسبما سبق ، حصل منهم ضرر كبير للرعية فـى المال والحريم ، وصاروا يعيثون فى غلل جناتهم مما يمرون به أيام أسفارهم حتى صار ذلك الفساد عندهم عادة ، وما من منزل يبيتون بـه الا ويكلفون أهله ما لا يطيقون ، فاذا كلمهم أعيان الرعية فى الرفق بالناس قالوا : هذه عادة لا نتركها وهى من قوانين الدولة ، ولما علم السلطان بما يرتكبونه مـن العسف أسقطهم من الجندية ، ونزع منهم السلاح ، وردهم الى المغـرم مع اخوانهم وأراح الناس من شرهم .

ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة وألف فيها عزل السلطان القائـد محمد بن أحمد البوزرارى عن قبائل تامسنا وتادلا وما اتصل بهما ، ولـم يترك له الا اخوانه من أهل دكالة ، وولى على السراغنة أبا عبد الله محمد

المعروف بالصغير ، وعلى أهل تادلا صالح بن الرضى الورديغى ، وعلى أولاد أبى رزك المزابى القائـــد صاحب الطابـــع ، وعلى أولاد أبى عطيـة عمر ابن أبى سلهام المزابى ، وأمر محمد بن أحمد أن يقبض مـــن اخوانـــه الذين كانوا عمالا على هذه القبائل ما احتجنوه من الاموال أيام ولايتهم ، واستصفى منهم مائة وخمسين ألفا

خروج العبيد على السلطان سيدى محمد بن عبد الله ومبايعتهم لابنه المولى يزيد وما نشأ عن ذلك

ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة وألف فيهـا كانت الفتنة العظمى التى هى خروج العبيد على السلطان سيدى محمد بـن عبد الله وبيعتهـم لابنه المولى يزيد ، وكان السبب فى ذلك أن السلطان كتب اليهـم وهـــو بمراكش يأمرهم أن يعينوا منهم ألف كانون ينتقلون بأولادهم الى طنجـة يكونون بها ، وبعث اليهم بالكتاب مع القائد الشاهد رأس الفتنة ، وولاه على ذلك الالف ، فلما أتاهم بكتاب السلطان ، قال لهـم : لا يذهب معـــى الا الاعيان ومن له دار وارض وضيعة ، ولا يذهب معى الا أمثالى ، فلما سمـع اقتراحه أولئك الاجلاف ركبوا رأسهم فى سبيل الخـــلاف ، واستفزهـم الشيطان حتى صرحوا بخلع السلطان جريا فى ذلك عـلى مذهبهم القديم ، والتفاتا الى فعل سلفهم الذميم ، فلما أنهى خبرهم الى السلطان بعث اليهـــم ابنه المولى يزيد وكان عنده بمراكش كى يستصلحهم به ، فازداد فسادهـم وعظم عنادهمـــم .

قال صاحب البستان : وكنت يومئذ برباط الفتـح ، فلمـــا ذهبت الى مراكش لقيت المولى يزيد بالسانية ـ موضع على نحو نصف يوم منها ـ قال : فسألنى عن خبر العبيد فقصصته عليه ، فسره ذلك وجد فى السير ، ففهمت قصده وعرفت ما يؤول اليه أمره فيهم ، وزعم أنه لما قدم على السلطان لامـه

فى بعثه المولى يزيد ، فاعترف بالخطأ فى ذلك ، ولما وصل المولى يزيد الى مكناسة واجتمع بالعبيد لم يقدموا شيئا على بيعته والخطبة به ، ففتح بيوت الاموال وأعطاهم حتى رضوا ، ثم فتح مخازن السلاح والبارود ففرقه فيهم، ثم دخل فى بيعته من كان قريبا من قبائل العرب والبربر ، غير الودايا ، وآيت ادراسن ، وجروان ، الذين هم شيعة السلطان فانهم تعصبوا له .

قال صاحب البستان : وبعد ثلاث بعثنى السلطان الى الودايا وأحلافهم بمكاتيب ، فقدمت عليهم بها وأقمت عندهم الى أن زحف اليهم المولى يزيد فى جيش العبيد وهم بالاروى ، وكان آيت ادراسن وجروان قد دخلوا مع الودايا وظاهروهم على العبيد ، فوقعت الحرب بالمشتهى داخل القصبة فانهزم العبيد وسلطانهم ، وقتل منهم نحو الخمسمائة ، وأما الجرحى فبلا عدد ، وانقلبوا مفلولين .

واتصل الخبر بالسلطان فخرج من مراكش فى الجند وقبائل الحوز يريد مكناسة ، ولما وصل الى سلا وسمع المولى يزيد بقدومه فر الى ضريح الشيخ أبى الحسن على بن حمدوش ، ثم الى ضريح المولى ادريس الاكبر رضى الله عنه بزرهون ، فتقدم السلطان الى زرهون ، ولما دخل الضريح الشريف أتاه أشراف زرهون بابنه المولى يزيد فعفا عنه وسامحه، واستصحبه معه الى مكناسة ، ولما وجه اليها خرج اليه نحو المائة من العبيد من ذوى أسنانهم ومعهم الاشراف والمرابطون والنساء والصبيان فعفا عنهم وسامحهم على شرط الخروج من مكناسة فأذعنوا ، وأقام السلطان بمكناسة يدبر أمرهم الى أن فرقهم على الثغور ، فبعث منهم رحيين الى طنجة ، ورحيين الى العرائش ، ورحى الى رباط الفتح ، وقصد بتفرقتهم دفع غائلتهم وتوهين عصبيتهم ، ثم عمد الى الذين كانوا برباط الفتح ففرقهم أيضا ، فبعث ألفين منهم الى السوس ، وألفا الى مراكش ، وأبقى ألفين برباط الفتح مع عبيد مكناسة المغربين اليها ، واستراحت الدولة من شرهم استراحة ما .

ثم ان العبيد الذين بطنجة وثبوا على قائدهم القائد الشيخ وعلى قائد أهل الريف محمد بن عبد الملك ، وأرادوا قتلهما فهربا لآصيلا ، والسلطان

يومئذ لازال بمكناسة ، ولما أنهى اليه خبرهم ، كتب الى أعيانهم يتوعدهم فقبضوا على أصحاب الفعلة وبعثوا بهم اليه وتبرأوا منهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، فاستكانوا بعض الشيء ورجع القائدان الى طنجة ، ثم لما سافر السلطان الى مراكش أخذ معه عبيد مكناسة فأنزل أهل القصبة منهم بالمنصورية قرب وادى النفيفيخ لانهم كانوا رأس العصاة ، واستصحب الباقين الى مراكش ، فأنزلهم بها بعد أن عزل عنهم قوادهم الذين حضروا فعلة المولى يزيد ، وأبقاهم عاطلين مهملين ، وولى عليهم اناسا من غيرهم .

ذكر ما سلكه السلطان سيدى محمد بن عبد الله في حق العبيد من التاديب الغريب

ثم ان العبيد الذين بالثغور عاثوا بها وأضروا بأهلها في جناتهم وأموالهم وأعراضهم ، فانهى خبرهم الى السلطان أيضا ، ولما أعياه أمرهم ورأى أن تأديبهم بالتفرقة لم يفد فيهم ، انتقل رحمه الله معهم الى مرتبة أخرى من التأديب لم يسبق اليها ، كانت ترياقا لقطع دائهم ، ونارا لحسم عرق بلائهم ، وذلك أنه لما بلغه ما هم عليه من الجور والطغيان ، نهض من مراكش عازما على الايقاع بهم ، فلما وصل الى رباط الفتح ، كتب الى أهل طنجة والعرائش منهم يقول : انى قد رضيت عنكم وبررت قسمى فى نقلكم من مكناسة الى الثغور ، والان اذا وصلتكم الابل والبغال التى أبعثها اليكم فلتحمل أهل طنجة بأولادهم ومتاعهم وليقدموا الى دار عربى من بلاد سفيان فلينزلوا بها ، ثم يبعثوا الابل والبغال الى أهل العرائش ليتحملوا بأولادهم ومتاعهم الى دار عربى كذلك ، فاذا اجتمعتم أنتم وهم بها فانى أبعث اليكم بغالى تتحملون عليها الى مكناسة كلكم ، فلما وصل اليهم كتاب السلطان بذلك طاروا فرحا وأحبوا الرجوع الى مكناسة .

... ولما وردت عليهم الابل والبغال ارتحلوا من طنجة ، وفى أثناء ذلك بعث اليهم السلطان قائدهم سعيد بن العياشى الذى خلعوه أيام الفتنة ، وأوصاه أن يقيم بدار عربى حتى يقدم عليه عبيد طنجة والعرائش ، فانتهى اليها ووافاه بها عبيد طنجة فنزلوا عليه بقضهم وقضيضهم ، ووصلت الابل والبغال الى أهل العرائش فجاءوا حتى نزلوا مع اخوانهم كما رسم السلطان .

ثم ان السلطان رحمه الله نهض من رباط الفتح حتى وافى مشرع مسعيدة من وادى سبو ، ثم انتقل منه الى سوق الاربعاء من بلاد سفيان ثم تقدم الى قبائل الغرب وبنى حسن أن يسيروا الى العبيد ويعسكروا عليهم من جميع الجهات فامتثلوا ، ولما استداروا حولهم وأحاطوا بهم احاطة بياض العين بسوادها ، قدم السلطان ودعا رؤساء القبائل فحضروا عنده ، فقال لهم : انى قد أعطيتكم هؤلاء العبيد باولادهم وخيلهم وسلاحهم ، وكل مالهم فاقتسموهم الآن وكل واحد منكم يأخذ عبدا وأمة وأولادهما ، فالعبد يحرث والامة تطحن ، والولد يرعى الماشية ، فخذوهم وتقلدوا سلاحهم واركبوا خيولهم ، والبسوا كساهم بارك الله لكم فيهم ، فأنتم عسكرى وجندى دونهم ، فلما سمعت قبائل الغرب وبنى حسن هذا الكلام من السلطان وثبوا على العبيد من غير أن تكون منهم وقفة ، واقتسموهم فى أسرع من لحس الكلب أنفه ، وتوزعوهم شذر مذر ، وصيروهم عبرة لمن اعتبر .

وقفل السلطان راجعا الى رباط الفتح ، ولما دخله نفى العبيد الذين به الى مراكش ، فأنزلهم بها بعد أن عزل عنهم قوادهم ، وولى مكانهم غيرهم ، واستمر عبيد طنجة والعرائش موزعين فى القبائل أربع سنين ، ثم عفا عنهم واستردهم من القبائل الى الجندية ، وأركبهم وكساهم وسلحهم ، لكنه ميزهم وجعلهم قبائل فى الخلط وطليق منهم أنزلهم بقصر كتامة وسفيان ، وبنو مالك أنزلهم بمسيعيدة ، وبنو حسن أنزلهم بسيدى قاسم والجباينة ، وأهل الجبل أنزلهم بتامدرت من أعمال فاس ، وأقاموا هنالك عدة سنين يوجهون حصتهم فى البعوث ويعسكرون مع السلطان متى احتاج اليهم ، ثم جمعهم رحمه الله بعد ذلك ونقلهم الى مراكش وأقبل عليهم بالعطاء الى أن عادوا

أحسن مما كانوا حالا ، ثم بدا له فيهم فبعث عبيد السوس الى تارودانت ، وعبيد حاحة والشبانات الى الصويرة ، وعبيد السراغنة وتادلا ودمنات الى تيط الفطر ، وعبيد دكالة الى آزمور ، وعبيد الشاوية الى آنفى ، وعبيد زعير والدغماء الى المنصورية، وعبيد بنى حسن الى المهدية، وأبقى معه بمراكش عبيد سفيان وبنى مالك والخلط وطليق والمسخرين من أصحاب العباس .

وكان قيام هؤلاء العبيد سببا لافتراق الكلمة وانحلال نظام الملك بالمغرب ، وسرى فسادهم فى القبائل كلها عربا وبربرا ، وكثر الهرج وانحبس المطر ووقع القحط وعظمت المجاعة واستمر الحال على ذلك نحوا من سبع سنين ، من سنة تسعين الى سنة ست وتسعين ومائة وألف ، فكانت هذه المدة كلها مجاعة ، أكل الناس فيها الميتة والخنزير والآدمى . وفنى أكثرهم جوعا، والسلطان فى ذلك كله يكابد المشاق العظام ويصبر على الجنود الاموال الثقال ، راتبا بعد راتب ، وعطاء بعد عطاء ، الى أن خلصوا من المجاعة وصلحت أحوال الجماعة ، وكان رحمه الله قد رتب الخبز فى كل مصر ، يفرق على ضعفائه فى كل حومة ، وأسلف القبائل الاموال الطائلة يقتسمونها على ضعفائهم الى أن يؤدوها زمان الخصب والرخاء .

ولما عاش الناس وهموا بأدائها سامحهم بها وقال : ما أعطيتها بنية الاسترجاع وانما ذكرت السلف لئلا يستبد بها الاشياخ والاعيان اذا سمعوا أنها هبة ، فرحم الله تلك الهمة الشريفة ، ما كان أعلاها وأعظمها وأرأفها وأرحمها ، وأسقط رحمه الله فى تلك المدة جميع الوظائف والمغارم عن قبائل المغرب الى أن عاشوا وتمولوا ، وكان يعطى التجار الاموال ليجلبوا بها الاقوات من بر النصارى ، فاذا وصلت أمرهم أن يبيعوها بثمنها الذى اشتريت به رفقا بالمسلمين ، وشفقة على الضعفاء والمساكين .

ولما دخلت سنة سبع وتسعين ومائة وألف مطر المغرب وعاش الناس ، وحرثوا وأدرك الزرع ، ورخصت الاسعار ، وازدهت الدنيا ، ودرت الجبايات ، وأخذ أمير المؤمنين رحمه الله فى تمهيد المغرب ثانية واستئناف العمل والجد والله غالب على أمره .

ايقاع السلطان سيدي محمد بن عبد الله باولاد ابى السباع وتشريدهم الى الصحراء وما يتبع ذلك

لما كان بالمغرب ما تقدم من الفتنة وشغل السلطان بانعاش الضعفاء عن ضبط الاطراف وقمع البغاة بها ، نبغت نوابغ الفتن ببعض القبائل منها ، وعادت هيف الى أديانها ، فمن ذلك قبيلة أولاد أبى السباع باحواز مراكش ، فلطالما ارتكبوا العظائم واجترحوا وغدوا فى الفتنة وراحوا ، واستطالوا على من بجوارهم وغزوهم فى أرضهم وديارهم

فلما كانت هذه السنة التى هى سنة سبع وتسعين ومائة وألف ، جهز اليهم السلطان العساكر فقاتلوهم وقتلوهم ،وانتهبوا أموالهم وشردوهم الى السوس ، وقبض السلطان على كثير من أعيانهم فأودعهم سجن مكناسة الى أن هلكوا به ، وأوعز الى قبائل السوس أن يطردوا بقيتهم ، وينفوهم الى بلاد القبلة مسقط رأسهم ومنبت شوكتهم وبأسهم ففعلوا ، ثم نقل قبيلة زمران بعد الايقاع بهم الى بلاد أولاد أبى السباع فعمروها ، ثم نقل تكنة ومجاط وذوى بلال من شوشاوة الحوز الى الغرب فنزلوا بفاس الجديد وأعماله ، ثم أعاد آيت يمور من جبل سلفات الى تادلا ثم نقل كطاية وسمكت ومجاط من تادلا الى الغرب ، ثم أعاد جروان من آزغار الى الجبل

وفى هذه السنة أيضا كانت فتنة الدعى محمد والحاج اليمورى ، كان يزعم أنه من الاولياء ويتكلم فى المغيبات ويشيع أنه ينتظر صاحب الوقت فسرى فساده فى قبيلته وتجاوزها الى غيرها فقصده جهلة البربر من كل قبيل ، وأغرى آيت يمور بمن جاورهم من قبائل العرب ، وكانوا يومئذ لا زالوا بسلفات فتصدى لهم قائد سفيان أبو عبد الله محمد الهاشمى السفيانى وجمع له الجموع من قبائل الغرب وصمد اليه وهو فى قبيلة آيت يمور فعبر نهر سبو وأنشب الحرب معهم فكانت الدبرة عليه وانهزمت جموع الغرب وقتل القائد الهاشمى المذكور وعدد كبير من وجوه قومه ، وتركوا محلتهم بما فيها للبربر ، وعظم أمر هذا الدعى وشمخت أنوف قبيلته به وشرى ضلالهم ،

ولما قدم السلطان الى مكناسة بعث من قبض عليه وساقه اليه فقتله وأراح الناس من وساوسه . وفى هذه السنة بعث السلطان ولده المولى عبد السلام لاداء فريضة الحج لانه لم يكن أدرك الحلم عام حج مع أخيه المولى على.

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة والف فيها غزا السلطان برابرة زمور وبنى حكم فلما أظلهم قدومه انشمروا الى شعاب تافودايت وتحصنوا بها ، فاحتال عليهم بأن قام عنهم وأوعز الى آيت ادراسن وكروان أن يرصدوهم متى برزوا الى الفضاء فلينهبوهم ، فلما توجه السلطان قافلا الى مراكش خرجت زمور من شعابها فلم يرعهم الا آيت ادراسن وكروان قد أحاطوا بهم فانتهبوا حللهم وتوزعوا أموالهم وتركوهم عالة يتكففون الناس.

ذهاب السلطان سيدى محمد بن عبد الله الى تافيلالت وتمهيده اياها والسبب فى ذلك

كان الشريف المولى حسن بن اسمعيل عم السلطان مقيما بتافيلالت وكان آيت عطة وآيت يفلمان من برابرة الصحراء شيعة له ، فكان اذا حدث بينه وبين أشراف سجلماسة حادث استكثر بهم عليهم وحاربهم وربما قتل منهم ، وكان السلطان يبلغه بعض ذلك عنه فيسوءه الا انه كان يثقل عليه أن ينال عمه منه مكروه ، ولانه كان مشغولا بما هو أهم ، فاستمر الحال الى أن ترددت أشراف سجلماسة بالشكاية منه فلم يسع السلطان الا زجره وقطع عادية بربره عن الاشراف ، فعزم على المسير بنفسه الى سجلماسة وكان ابنه المولى يزيد يومئذ بالمغرب فلم يرد السلطان أن يتركه خلفه لئلا ينشأ عنه ناشىء فتنة ، فاحتال فى ابعاده بأن وجهه الى الحجاز لقضاء فريضة الحج فى غير ركب ، بل أفرده عنه وأصحبه أمينا يصير عليه واناسا قليلين يكونون فى خدمته دفعا لغائلته ، ثم سافر السلطان الى سجلماسة برسم زيارة تربة جده المولى على الشريف رضى الله عنه وحسم داء عمه المولى حسن

وشيعته ، ولما شارف السلطان تافيلالت قدم أمامه أبا القاسم الصيانى لاخراج البربر من قصورهم فى الامان وان كان عندهم ما يثقلهم مـــن زرع أو تمر يعطيهم ثمنه لينقطع بذلك عذرهم ، وان أقاموا حتى أدركهم السلطان بهـا فانما اثمهم على أنفسهم ، فامتثل البربر الامر وخرجوا الى الصحراء ولم يأت السلطان حتى لم يبق منهم آحد بتلك القصور، وأفرد المولى حسن وانكسرت شوكته ، ثم بعث اليه أبا القاسم الصيانى أيضا يعرض عليـــه السكنى بمكناسة وينفذ له ما يكفيه من الظهر لحمل عياله وأثقاله ، قال الصيانى : فذهبت اليه وباشرت أمره الى أن أجاب ، ومن الغد سرت بـــه الى مكناسة وأمرنـــى السلطان أن أعطيه دارا يسكنها ، ورتب له ثلاثمائة مثقال لكـل شهر ينفقها على نفسه وعياله : وأمرنى مع ذلك اذا فرغت مـن شأن عمـــه المذكور أن أصحب معى أولاده الثلاثة المولى سليمان والمولى حسن والمولى حسين ، وأن أصحب معهم قدرا من المال وعددا مـن المدافع والمهاريس والبنب ، وطائفة من الطبجية من علوج اللمان وألفا من عسكر الثغور رجالة لجر تلك المدافع والمهاريس ، قال : فقضيت الغرض على ما ينبغى وعدت اليه وهو بسجلماسة بجميع ما أمرنى به ، فبلغنا ونحن أثناء الطريق وفاة ولـد السلطان وخليفته بفاس المولى على بن محمد ، وكان من سادة العلويين ونجبائهم ومن أهـــل المروءة والاوصاف المحمودة عقلا وعلما وأدبا وكرما وعلو همة .

زاد فى البستان وكان مجلسه مجمع الفضلاء والادباء والنبلاء يتشبه بأخلاق المولى محمد العالم ابن المولى اسمعيل فى كرمه وأدبه ، وكان لـه اعتناء كبير بنسخ كتب العلم الغريبة وكتب الادب وكان كثيـــرا ما يبعث بأشعاره ومخاطباته لاهـــل عصره وأدباءوقته من الفاسيين والبكريـــين والقادريين كما كان المو لىمحمد العالم مشغوفا بأشعار أولاد السلطان صلاح الدين بن أيوب الكردى رحم الله الجميع .

ولما بلغ أولاد السلطان الى أطراف سجلماسة قدمـــوا الاعـــلام الى السلطان واستأذنوا فى التقدم فخرج رحمه الله لملاقاتهـم وأمـر الاشراف

بلادهم : فخرجوا وخرج السلطان في موكبه ، وركبت العساكر خلفه في أحسن زي وأكمل ترتيب ، فكان ذلك اليوم من أيام الزينة ، ولما قضى غرضه من سجلماسة وثقف أطرافها ورتب عربها وبربرها وحسم داء آيت عطة وآيت يفلمان ، ولى عليهم القائد علي بن حميدة الزراري من كبار قواد وأعيان دولته ، ثم نهض السلطان الى مراكش بعد أن أقام بسجلماسة شهرا وكان سلوكه الى مراكش على طريق الفائجة .

قال صاحب البستان : وكان قد ردني الى الغرب لآتيه بجيش من أولاد عبيد الثغور ألقاه بهم بمراكش ليزيدهم في جيشه ويقبضوا السلاح والكسوة بها ، ولما انتهى السلطان في طريقه الى ثنية الكلاوي نزل عليه الثلج الكبير فسد المسالك وتفرقت العساكر في كل وجه ، وحال الثلج بينهم وبين أخبيتهم ورحالهم ، وبات السلطان متبذا ناحية عن مضاربه وقبابه معزولا عن طعامه وشرابه ، ولم تلتق طائفة من العسكر مع صاحبتها الى أن طلعت الشمس فرفع الله عنهم الثلج وأصبح ذلك اليوم عيد الاضحى فخطب السلطان الناس بنفسه ودعا للسلطان عبد الحميد بن أحمد العثماني ودخل مراكش سالما معافى وسلم الله العسكر من ذلك الثلج فلم يهلك منه أحد والحمد لله .



خروج السلطان سيدى محمد بن عبد الله الى الصويرة بقصد النزهة واغتنام الراحة وما اتفق له فى ذلك

لما قدم السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله من سجلماسة الى مراكش أقام بها الى أن دخل فصل الربيع ، فاعتزم على الخروج الى الصويرة والوقوف عليها ومعاينة مبانيها ومعالمها ، اذ كان له ولوع بهذه المدينة التى أنشأها واغتبط بها ، وقصد أيضا زيارة رجال رجراجة بالساحل والتبرك بآثارهم ، وكانت سفرته هذه سفرة فرجة وجمام نفس واغتنام لذة ، فأشخص معه جماعة من علماء العصر وأئمته فكان يملى عليهم الحديث النبوى ويؤلفونه على مقتضى اشارته ، منهم الفقيه العلامة المشارك أبو عبد الله محمد بن الامام سيدى عبد الله الغربى الرباطى ، والفقيه العلامة المحقق أبو عبد الله محمد المير السلاوى ، والفقيه الدراكة أبو عبد الله محمد الكامل الرشيدى ، والفقيه العلامة أبو زيد عبد الرحمن أبو خريص هؤلاء أهل مجلسه الذين كانوا يؤلفون له ويسردون ويخوضون فيما يجمعه ويستخرجه من كتب الحديث التى جلبها من المشرق ، كمسند الامام أحمد ، ومسند أبى حنيفة وغيرهما ، وكان معه جماعة وافرة من الكتاب المعتبرين فى الانشاء والترسيل ، كالسيد المهدى الحكاك المراكشى والسيد عبد الرحمن بن الكامل المراكشى ، والسيد أحمد بن عثمان المكناسى ، والسيد أحمد الغزال الفاسى ، والسيد محمد سكيرج الفاسى ، والسيد الطاهر بنانى الرباطى ، والسيد الطاهر بن عبد السلام السلاوى والسيد سعيد الشليح الجزولى ، والسيد ابراهيم اقبيل السوسى ، وصاحب البستان أبى القاسم الصيانى وغيرهم .

وكان خروجه لهذه الفرجة سنة ثمان وتسعين ومائة وألف ، فى فصل الربيع فضربت قبابه بظاهر مراكش ثم ضرب عليها السياج المحيط بها المسمى بافراك ، وفى وسط تلك القباب القبة العظمى التى أهداها اليه طاغية الفرنج ، وكانت مبطنة بالديباج ومحاريبها من الموبر الحر المختلف

الالوان ، وسفائفها من الكالون الابريز ، وأطنابها من الحرير الصافى ، زعموا : أن مبلغ ما صير عليها الطاغية نحو خمسة وعشرين ألف دينار ، ومصداق ذلك أن تفاحتها التى تكون فى أعلى العمود وتسميها العامة بالجمور ، كانت من الذهب الخالص ، وزنها أربعة آلاف مثقال ذهبا ، وكان السلطان رحمه الله قد أخرجها فى هذه النوبة ابتهاجا بها ، وخرج معه الخاصة من القواد والكتاب وغيرهم بفازاتهم الرفيعة ، ومضاربهم البديعة .

ثم توجه فى ذلك الموكب العجيب يرتاد البلاد النزهة ، والاماكن البهجة ، التى تروق الطرف وتستغرق الوصف ، وتبسط النفس ، وتجلب الانس ، فأقام شهرين كاملين يتقلب فى تلك البسائط ويستوفى اللذات ، ويتقرى المعاهد ، ويقتنص الطائر والشارد ، الى أن وصل الى ثغر الصويرة فوقف عليه وقضى غرضه منه على الوجه الاكمل ، وانقلب راجعا الى حضرته فاجتاز فى طريقه برباط شاكر وهو من مزارات المغرب المشهورة ، وكان مجمعا للصالحين من قديم الزمان ، ووقع فى التشوف أن شاكرا الذى ينسب اليه هذا الرباط من أصحاب عقبة بن نافع الفهرى فاتح المغرب ، وانه هنالك ، فلما مر به السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله فى سفرته هذه أمر بتجديد مسجده وحفر أساسه وتشييده وفى قفوله طلع مع وادى نفيس الى أن بلغ مدينة اغمات ، فزار ضريح الشيخ أبى عبد الله الهزميرى وغيره من صلحائها ، ونزل بمحلته تحت القرية ، ولما استقر به المنزل جاءه جماعة من أهلها مع قاضيهم بكبش جيد وآنية فيها شىء من الشهد ، فدخل القاضى على السلطان ولما مثل أمامه أنسه السلطان بالكلام وسأله عن أشياخه فأجاب بمالا طائل تحته فقال السلطان الحاجب : أبعث بالقاضى الى خباء القاضى أبى زيد عبد الرحمن ابن الكامل ، وهو الذى يتوجه قاضيا مع المحلة الى السوس ان شاء الله ، فأنزله عليه وادفع له هذا الكبش وهذا العسل ، فسار الحاجب بالقاضى وبالكبش والعسل الى خباء قاضى العسكر أبى زيد بن الكامل وأمره أن يكرم القاضى ليلته ، ومن الغد ارتحل السلطان قافلا الى مراكش ، فلما

تعالى النهار نزل على وادى نفيس وضرب له هنالك صيوان الراضة على شاطىء النهر ، ثم استدعى القاضي أبا زيد وسائر الكتاب ، ولما جلسوا بين يديه سأل القاضي على وجه المداعبة وقال له : بم أجزت ضيفك على كبشه وعسله ، فتعلثم فى الجواب وعلم أن السلطان قصد اختباره بذلك ، وانه لم يصنع شيئا حيث أهمل أمره ، ولما رأى رحمه الله خجلته قال : ولعلك لم تجزه فلو مدحته على كبشه وعسله لصادفت المقصود وخرجت من العهدة وما بعثت اليكم الا بسبب هذا الكبش والعسل ، فانى سهرت ليلتى ولم أنم وذكرت ما اتفق للمنصور السعدى مع كتابه فى مثل هذه القضية، وعلمت أنه لم يبق فى وقتنا هذا كتاب ولا أدباء ولا أمراء ، وسأسمعكم ما اتفق للمنصور فى زيارته هذه القرية الاغماتية ، ثم أمر كاتبه ابن المبارك أن يقرأ عليهم ما حكاه الفشتالى فى مناهل الصفا عن خروج المنصور السعدى الى اغمات بقصد الزيارة والنزهة ، وما اتفق للقاضي أبى مالك عبد الواحد الحميدى مع من اهدى له الكبش والعسل من الشعر ، والذى شايعه عليه جماعة من كتاب الدولة ، وقد ألمنا بخبر هذه الخرجة للمنصور عند ذكر أخباره حسبما مر ، وقد ذكر صاحب النزهةأبيات الحميدى ومن قفا نهجه من الكتاب فلتنظر هنالك ، فقرأ الكاتب المذكور الترجمة كلها على الكتاب حتى سمعوها وعاب السلطان عليهم تقصيرهم فى قضيتهم الموافقة لها ، وفى ظنى أن السلطان رحمه الله أمرهم بنسخ ذلك ومراجعته تحريكا لهمتهم والله أعلم .

ذكر السبب الذي هاج غضب السلطان سيدى محمد بن عبد الله على ابنه المولى يزيد رحمه الله

ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة وألف فيها قدم ولد السلطان المولى عبد السلام من الحجاز فولاه السلطان رحمه الله تارودانت والسوس وما اليها ، ثم لما حضر زمان خروج الركب الحجازى أحضر السلطان صهره وابن عمه المولى عبد الملك بن ادريس ، وكاتبيه أبا عبد الله محمد بن عثمان المكناسى ، وأبا حفص عمر الوزريق ، وشيخ الركب أبا محمد عبد الكريم بن يحيى ، وحملهم على وجه الامانة مالا لاشراف مكة والمدينة وسائر الحجاز واليمن ، وقدره ثلاثمائة الف ريال وخمسون ألف ريال، وبعث معهم صلات أخر لاناس معينين فى حقاق مختوم عليها مكتوب على كل واحد منها اسم صاحبه ، وأمرهم أن يذهبوا أولا الى القسطنطينية حتى يكون مسيرهم الى الحجاز مع أمين الصرة الذى يوجهه السلطان العثمانى الى الحرمين كل عام ، وانما ارتكب السلطان هذه المشقة حذرا من ابنه المولى يزيد أن يعترضهم فى الطريق وينتزع منهم المال ، فبعثهم السلطان فى البحر فى بعض قراصين السلطان عبدالحميد وكتب اليه أن يبعثهم مع امين صرته ، فلما وصلوا الى القسطنطينية وجدوا أمين الصرة قد سافر بالركب الى الحجاز فأقاموا بها الى العام القابل ، وحينئذ سافروا صحبة الركب ولما وصلوا الى المدينة المنورة فرقوا على أهلها وعلى سائر شرفاء الحجاز حظهم من المال

ولما وصلوا الى مكة وجدوا المولى يزيد بها يترصدهم ، ففرقوا على أهل مكة حظهم وبقى عندهم حظ اليمن والحقاق التى فيها صلات الذهب ، فتغفلهم المولى يزيد وقت القيلولة وهجم عليهم فى جمع من أصحابه ، وهم بدار شيخ الركب عبد الكريم بن يحيى ، فانتزع منهم ما قدر عليه وأخذ الحقاق وذهب ، فذهب شيخ الركب والمولى عبد الملك والكاتبان الى أمير

مكة الشريف سرور وأخبروه الخبر فبعث أعوانه الى المولى يزيد فحضر عنده وألزمه رد المال وتهدده فرد البعض وجحد البعض ، فبسبب هذا فيما قيل غضب السلطان عليه وتبرأ منه ، وكتب بالبراءة منه مناشير بعث بها الى الآفاق فعلق احدها بالكعبة ، والآخر بالحجرة النبوية ، والثالث ببيت المقدس ، والرابع بضريح الحسنين بمصر ، والخامس بضريح المولى على الشريف بتافيلالت ، والسادس بضريح المولى ادريس بزرهون ، والسابع بضريح المولى ادريس بفاس ، وكتب الى السلطان عبد الحميد بأن لا يقبله اذا أوى اليه ، واستمر المولى يزيد مقيما بالمشرق ولم يقدر أن يواجه أباه لسوء صنيعه الى سنة ثلاث ومائتين وألف كما سياتى ان شاء الله .

وفى هذه السنة أعنى سنة تسع وتسعين ومائة وألف ، أسر أهل الجزائر نصرانية من قرابة طاغية الاصبنيول كانت متوجهة فى مركبها من إصبانيا الى نابل لزيارة ابن عمها الذى هو صاحب نابل ، فلما عرف أهل الجزائر محلها من قومها امتنعوا من فدائها بكل وجه ، فكتب طاغية الاصبنيول الى السلطان رحمه الله يسأله أن يشفع له فى فدائها بكل ما يطلبون ، فأسعفه وكتب لصاحب الجزائر فى شأنها فاعتذر اليه بأن النصرانية فى سهم العسكر ولا يمكنه اكراههم على فدائها ، فلما رد صاحب الجزائر شفاعة السلطان كتب الى السلطان عبد الحميد بذلك ، فكتب عبد الحميد رحمه الله الى أهل الجزائر يوبخهم على رد شفاعة السلطان ويقول لهم : ان الواجب أن تسرحوها له بدون مال ، وما عسى أن يبلغ ثمن هذه النصرانية ، ولو طلب منى سلطان المغرب ألف نصرانية لبعثتها اليه ، وحتى الان نأمركم أن تبعثوا اليه بهذه النصرانية ولو كانت هى الملكة ، ولا تقبضوا فيها فداء أو ما رأيتم ما افتكه ملك المغرب من أسرى الترك من كل جنس حتى لم يبق فى أسر الكفار مسلم؟! وأنتم تردون شفاعته فى نصرانية لابال لها ، فلا تعودوا لمثل هذا فيكون سببا لتغير باطننا عليكم والسلام .

ولما ورد عليهم فرمان السلطان عبد الحميد لم يسعهم الا ارسال النصرانية الى حضرة السلطان رحمه الله ، وكتبوا اليه بالاعتذار وقالوا :

انما امتنعنا من فدائها خوف بلوغ خبرها الى ملكنا فلم نر أن نفتأت عليه ، وذلك هو الواجب علينا من طريق الخدمة والطاعة ، فنحب من سيدنا أن يقبل عذرنا ولا يظن بنا خلاف هذا والسلام .

ذكر ما كان من السلطان سيدي محمد بن عبد الله الى اهل زاوية أبى الجعد حماها الله

هذه الزاوية من أشهر زوايا المغرب ، ولها الفضل الذى يفصح عنه لسان الكون ويعرب ، تداولها منذ أزمان فحول أكابر ، ورثوا مقام الولاية والرياسة بها كابرا عن كابر ، قد عرف لهم ذلك السوقة والملوك ، والغنى والصعلوك ، ولم تزل الملوك من هذه الدولة وغيرها تعاملهم بالاجلال والاعظام والتوقير والاحترام .

ولما كانت دولة السلطان الجليل ، الماجد الاصيل ، نقم على كبيرها لوقته المرابط البركة أبى عبد الله سيدى محمد العربى بن الشيخ الاكبر سيدى المعطى بن الصالح بعض ما ينقمه الامير على المأمور ، والانسان غير معصوم والمخلوق ناقص الا من أكمله الله ، فاتفق أن كان السلطان رحمه الله قافلا فى هذه السنة من رباط الفتح الى مراكش ، فجعل طريقه على تادلا ونزل على زاوية أبى الجعد فأمر على ما قيل بهدمها وطرد الغرباء الملتفين على آل الشيخ بها ، ثم نقل سيدى العربى المذكور وعشيرته الى مراكش فأسكنهم بها واستمروا على ذلك الى أن توفى السلطان سيدى محمد رحمه الله وبويع ابنه المولى هشام بن محمد بمراكش ، فأذن لهم فى الذهاب الى بلادهم فعادوا الى زاويتهم واطمأنوا بها برهة من الدهر .

ولما كانت دولة السلطان المولى سليمان بن محمد نقم أيضا على سيدى العربى المذكور أمورا نقلها اليه الوشاة عنه ، فأمر بنقله الى فاس بعد مكاتبات ومعاتبات يطول جلبها ، فانتقل اليها وأقام بها أمدة ثم سرحه الى بلاده .

ثم دخلت سنة مائتين والف فيهـــا بعث السلطان سيدى محمد رحمه الله كاتبه أبا القاسم الصيانى بأشدورا الى السلطان عبـــد الحميـد العثمانى بهدية عظيمة ، من جملتها أحمال من سبائك الذهب الخالص مثـــل بارات الحديد ، وكان السلطان رحمه الله يقصد بمثل ذلك الفخر عـــلى الملـوك واظهار الغنى وكمال الثروة ، وذلك مـــن غريب السياسة لمـــن أقدره الله عليها ، فقدم أبو القاسم القسطنطينية وألفى بها عبد الملك بن ادريس وشيخ الركب والكاتبين لا زالوا مقيمين بها ينتظرون الموسم مـــن العام القابـل ، قال : فأقمت بالقسطنطينية ثلاثة أشهر وعشرة أيام ، وقضيت الغرض وانقلبت الى السلطان ، وبعث معى السلطان عبد الحميد أحـــد خدامه بهديـــة الى السلطان رحمه الله ، قال : ولما قدمنا على السلطان نوه بقدرى وقـــال : لا اوجه الهدايا للعثمانى الا معك ، وكان الرئيس الطاهر بـن عبد الحـــق فنيش السلاوى حاضرا ، وقال : لا أوجه القراصين الحربية الا مع الطاهر يسليه بذلك ، قال : وسألنى عن مقدار راتب عسكر الترك الذى يقبضونـــه فى كل ثلاثة أشهر فقلت له : ستون أوقية لكـــل واحد ، فاستقل ذلـــك فقلت له : انه لا يكلفهم فى أيام الغزو بمؤنة ولا علف خيل كـــل أمـــور السفر عليـــه .

ثم ذكر الصيانى هنا كلاما طويلا فى وصف القسطنطينية العظمى وحال أهلها خارجا عن موضوع كتابنا هذا والله الموفق .

ذكر عدد عسكر الثغور في دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الله وما كان يقبضه من الراتب

كان بثغر الصويرة أيام السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله ما بين جيش وطبجية وبحرية ألفان وخمسمائة ، وبآسفى مائتان من الطبجية ، ومائتان من البحرية ، وبتيط خمسمائة من العبيد ، وبآزمور خمسمائة منهم كذلك ، وبانفى ألفان من العبيد ، وبالعدوتين ألفان من الطبجية والبحرية ، وبالمهدية ألفان وخمسمائة من العبيد ، وبالعرائش ألف وخمسمائة ما بين جيش وطبجية وبحرية ، وبأصيلا والساحل مائتان ما بين طبجية وبحرية ، وبطنجة ثلاثة آلاف وستمائة من أهل الريف ، وبتطاوين ثمانمائة ما بين جيش وطبجية وبحرية ، فكانت جملة عساكر الثغور ستة عشر ألفا وخمسمائة ، وراتبهم ثلاثين أوقية لكل واحد في كل ثلاثة أشهر ، من حساب مثقال للرأس في كل شهر ، وكانوا في ابتداء الامر يقبضون راتب كل شهر عند انتهائه .

فلما كانت هذه السنة أعنى سنة مائتين وألف ، أنعم السلطان رحمه الله على عساكر الثغور بتعجيل راتب خمس عشرة سنة بحساب مثقال للرأس في كل شهر ، وهذا مال له بال فانه يقارب ثلاثة ملايين ، فعل ذلك رحمه الله اعانة لهم وتوسعة عليهم ، ثم أمر ان يجعل في كل مرسى من مراسي المغرب بيت مال وعند تمام كل ثلاثة أشهر يفتح بيت المال ويعطى لعسكر ذلك الثغر ثلاثون أوقية للرأس حضروا أم غابوا ، اعانة لهم على عيالهم ، وأما عطاء الغزو وعطاء عاشوراء والصلات والصدقات ، فكان يبعث بذلك كله من عنده لا من بيوت الاموال ، واستمر الحال على ذلك الى أن توفى رحمه الله فوثب عبيد الثغور على بيوت أموالها وفتحوها واكتسحوها ثم ساروا الى مكناسة مسقط رأسهم ، وكان ذلك باشارة المولى يزيد رحمه الله .

ثم دخلت سنة احدى ومائتين وألف فيها غزا السلطان قبيلة شراقة بأحواز فاس فنهبهم وشردهم ، فلجأوا الى ضريح الشيخ أبى الشتاء بفشتالة فعفا عنهم ، ثم سار الى الحياينة فأطلق الجيش فى زروعهم فحصدوها ودرسوها واستصفوها عن آخرها ، ثم جرد الخيل فى طلبهم فاكتسحوا حللهم وأثاثهم .

قال صاحب البستان : وكنت يومئذ قد توجهت بجيش الى عامل وجدة أبلغه اياه ، فلما رجعت أدركت السلطان ببلاد الحياينة ، فقلدنى ولاية تازا وأعمالها ، فسرت اليها وأقمت بها سنة كاملة ، وفى هذه السنة قدم ولد السلطان المولى مسلمة بن محمد من المشرق مفارقا لاخيه المولى يزيد .

ثم دخلت سنة اثنتين ومائتين والف فيها أرسل السلطان رحمه الله الى آيت عطة يأمرهم أن يبعثوا بستمائة رجل منهم ، وبأربعمائة من عبيد تافيلالت ، فالمجموع الف ليكسوهم ويسلحهم ويستعملهم فى خدمة البحر، وجنديته فبعثوا بهم اليه .

قال صاحب البستان : ولما قدموا عليه بمكناسة استدعانى من تازا فقدمت اعليه فأمرنى أن أتوجه بهم الى تطاوين كى يقبضوا السلاح والكسوة بها، ثم أسير بهم الى طنجة يكونون بها، وأمرنى أن أكون اتعاهدهم بركوب الغلائط العشرين التى بمرساها، والخروج بها الى البوغاز وسواحل اسبانيا، والتردد فيها بينهما ليتدربوا على البحر ويتمرنوا به، قال: فذهبت بهم الى تطاوين على ما رسم السلطان رحمه الله، فأخذوا السلاح والكسوة ونفذنا الى طنجة فأقمنا بها شهرين وكل يوم يركبون السفن ويتطاردون بها فيما بينهم ، فتارة يخرجون الى البوغاز وتارة يطرقون سواحل اصانيا ، وتارة يرجعون ، الى أن زالت عنهم دهشة البحر وفارقهم ميده وألفوه ، ولما أقبل فصل الشتاء كتب الى السلطان بالقدوم بهم ، فلما حللنا مكناسة أمر رحمه الله بعمارة المنسور لدخولنا عليه ، فلما مثلنا بين يديه دنا منا الى أن كان فى وسطنا وكلم البربر بلسانهم وسألهم عن حالهم فى سفرهم ، فذكروا خيرا فسره ذلك منهم ونشط ، ثم قال لهم : هذا كاتبى وصاحبى قد وليته عليكم وعلى أولادى وبنى عمى

وسائر أهل الصحراء فاسمعوا له وأطيعوا ، قال : ففزعت وخرس لساني وفهم السلطان عنى الكراهية لذلك ثم دخل بستانه وبعث الى فدخلت عليه فقال لى : طب نفسا ولولا أنى أحبك ما وليتك على أولادى وأهل بيتى ، وانى لا أستغنى عنك وهذا ابن حميدة الذى وليناه بسجلماسة لم تظهر له ثمرة ، وكل يوم يأتينى بشكوى بولدى الحسين وتطاوله على الناس ، ولا يمنعه من ذلك ، وما وليتك عليهم الا لهذا الغرض فانهم يهابونك لمحلك منى ، ثم كتب الى جميع أولاده وأعيان سجلماسة وأمر لى بمال للصائر والبناء وعينه ، ثم ودعته وانفصلت فخرجت من مكناسة الى فاس ثم منها الى سجلماسة ، فدخلتها واستوطنتها وجاء العامل الذى كان بها قبلى حتى قدم على السلطان فقبض عليه ونكبه .

قدوم المولى يزيد من المشرق واحترامه بضريح الشيخ عبد السلام ابن مشيش رضى الله عنه والسبب فى ذلك

لما كانت سنة ثلاث ومائتين والف قدم ولد السلطان المولى يزيد بن محمد من المشرق فى ركب الحاج الفيلالى ، وقصد سجلماسة ، فلما كان بقرية أبى صمغون لقيه رفقة من أهل سجلماسة فسألهم عن البلاد وأهلها ومن المتولى عليها فقالوا : أبو القاسم الصيانى فلما سمع المولى يزيد ذلك سقط فى يده ووجم ، ثم التفت الى شيخ الركب الشريف المولى عبد الله ابن على والى الاشراف الذين معه فقال لهم : انى كنت عازما على الوصول معكم الى بلدكم والاستيجار بضريح جدى المولى على الشريف وأبعث مع اعيان بنى عمى وذوى أسنانهم من يشفع لى عند أبى ، والآن حيث كان الوالى بهذه البلدة هو الصيانى فلا يستقيم لى معه أمر ، ولا يخيط بينى وبين والدى بخيط أبيض ، وهؤلاء عيالى فخذوهم بارك الله فيكم واذهبوا بهم

مع أصحابى ينزلون بدار أخى المولى سليمان ، ويكونون بها ، وأما أنا فسأسير الى ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش أكون به حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا ، ثم قدم عياله مع أصحابه فى جملة الركب وكتب الى أخيه المولى سليمان يوصيه بعياله خيرا ، وكتب أيضا الى شقيقته المولاة حبيبة بالرتب ، والى بنى عمه الذين هنالك وبعث بالمكاتيب مع أصحابه ، ولما وصل الركب الى بلاد القنادسة تقدم أحد أصحابه بالمكاتيب الى المولى سليمان ، ولما قرأها توقف ولم يدر ما يصنع ، ثم جاء بها الى أبى القاسم الصيانى وأخبره الخبر وقال : ان والدى غاضب عليه وان أنا قابلت عياله فربما ألحقنى به ، فما العمل ؟ فكتب أبو القاسم الى شيخ الركب ينهاه عن استصحاب عيال المولى يزيد معه وحذره غضب السلطان عليه وقال له : ان أردت السلامة لنفسك فابعث بالعيال الى المولاة حبيبة بالرتب والسلام ، ولما وصل كتابه الى شيخ الركب وكانت فيه غفلة نجع فيه كلامه فحبس الركب الى أن وصل أصحاب المولى يزيد بعياله فبعث معهم من يدلهم على طريق الرتب فسلكوا على وادى كثير ونزلوا عند المولاة حبيبة ، وكتب أبو القاسم الصيانى بالخبر الى السلطان فزعم أنه استحسن فعله ثم أمره أن يهيء الظهر والزاد ويبعث بهما الى عيال المولى يزيد مع ثلاثين من العبيد ليأتوا بهم الى دار الدبيغ يكونون بها مع أمه ، وكان السلطان قد أخرجها من الدار وأسكنها بدار الدبيغ ففعل الزيانى ذلك كله ، وبهذه القضية كان المولى يزيد يعتد على الصيانى حتى أنه لما أفضى اليه الامر قبض عليه وضربه وامتحنه .

ولما وصل المولى يزيد الى ضريح الشيخ عبد السلام رضى الله عنه بعث جماعة من أشراف العلم للشفاعة فيه فأمرهم السلطان أن يأتوا به فراودوه على الاتيان فامتنع ، ثم بعث اليه ثانيا فأبى ، ثم ثالثا فأبى ، فكتب اليه بالعفو مرارا فلم يقبل وتصدى للخلاف وكشف وجه العصيان ، وصار يكتب لوالده بما يحفظه ، هكذا زعم الصيانى ، ولا يخفى أن الرجل كان مناوئا له فلا ينبغى أن نسمع منه جميع ما ينسبه اليه والله أعلم بحقيقة الامر .

ثم ان السلطان بعث اليه شقيقه المولى مسلمة في عسكر وأمره أن ينزل بقربه ويضيق عليه ويمنعه النزول من الحرم ، ثم بعث اليه عسكرا آخر مع القائد العباس البخارى فنزلوا بقرب الحرم من الناحية الاخرى وضيقوا عليه حتى منعوه التصرف بكل حال ، وفى مدة مقامه هنالك أخذ فى تأسيس داره وبناء مسجده ولا زالت جدرانها قائمة أسفل الجبل الى الآن ، واستمر المولى يزيد محصورا هنالك الى أن بلغه خبر وفاة أبيه رحمه الله فكان من أمره ما نذكره ان شاء الله .

وفاة امير المومنين سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله

لما اعتصم المولى يزيد بضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه ، وراوده السلطان على النزول مرارا فأبى ، نهض اليه من مراكش وأراد أن يحضر عنده بنفسه لعله تسكن نفسه ، ويذهب ما بصدره من الجزع والنفرة ، وكان عند خروجه من مراكش به مرض خفيف ، فتحمل المشقة وجد السير فتزايد به المرض فى الطريق فوصل الى أعمال رباط الفتح فى ستة أيام ، فأدركته منيته رحمه الله وهو فى محفته على نحو نصف يوم أو أقل من رباط الفتح ، فأسرعوا به الى داره من يومه ذلك وهو يوم الاحد الرابع والعشرون من رجب سنة أربع ومائتين وألف ، ومن الغد اجتمع الناس لجنازته وانحشروا من كل وجه ، فجهز ودفن بقبة من قباب داره ، وتأسف الناس لفقده خاصة وعامة رحمه الله ورضى عنه .

بقية اخبار السلطان سيدى محمد بن عبد الله ومآثره وسيرته

كان السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله محبا للعلماء وأهل الخير مقربا لهم لا يغيبون عن مجلسه فى أكثر الاوقات ، وكان يحضر عنده جماعة من أعلام الوقت وأئمته منهم الفقيه العلامة المشارك أبو عبد الله محمد ابن الامام سيدى عبد الله الغربى الرباطى ، والفقيه العلامة المحقق أبو عبد الله سيدى محمد المير السلاوى ، والفقيه الدراكة أبو عبد الله محمد الكامل الرشيدى ، والفقيه السيد أبو زيد عبد الرحمن المدعو بأبى خريص، هؤلاء هم أهل مجلسه الذين كانوا يسردون له كتب الحديث ويخوضون فى معانيها ويؤلفون له ما يستخرجه منها على مقتضى اشارته ، وكانت له عناية كبيرة بذلك ، وجلب من بلاد المشرق كتبا نفيسة من كتب الحديث لم تكن بالمغرب ، مثل مسند الامام أحمد ، ومسند أبى حنيفة وغيرهما ، وألف رحمه الله فى الحديث تآليف باعانة الفقهاء الذين ذكرناهم آنفا ، منها كتاب مسانيد الائمة الاربعة ، وهو كتاب نفيس فى مجلد ضخم التزم فيه أن يخرج من الاحاديث ما اتفق على روايته الائمة الاربعة أو ثلاثة منهم ، أو اثنان ، فاذا انفرد بالحديث امام واحد أو رواه غيرهم لم يخرجه ، وهذا المنوال لم يسبق اليه رحمه الله ، وكان كثيرا ما يجلس بعد صلاة الجمعة فى مقصورة الجامع بمراكش مع فقهائها ومن يحضره من علماء فاس وغيرهما للمذاكرة فى الحديث الشريف ، وتفهمه، ويحصل له بذلك النشاط التام ، وكان كثيرا ما يتأسف أثناء ذلك ويقول : والله لقد ضيعنا عمرنا فى البطالة ويتحسر على ما فاته من قراءة العلم أيام الشباب ، ولما فاته الاشتغال بفنون العلم فى حال الصغر اعتكف أولا على سرد كتب التاريخ وأخبار الناس وأيام العرب ووقائعها الى أن تملى من ذلك وبلغ فيه الغاية القصوى ، وكاد يحفظ ما فى كتاب الاغانى لابى الفرج الاصبهانى ، من كلام العرب وشعراء الجاهلية والاسلام ، ولما ولاه

الله أمر المسلمين بعد وفاة والده زهد فى التاريخ والادب بعد التضلع منهما وأقبل على سرد كتب الحديث والبحث عن غريبها وجلبها من أماكنها ، ومجالسة العلماء والمذاكرة معهم فيها ، ورتب رحمه الله لذلك أوقاتا مضبوطة لا تنخرم حذا بها حذو المنصور السعدى فى أوقاته المرسومة عند الفشتالى فى مناهل الصفا ، حتى أنه كان اذا خرج لزيارة أو صيد أو نزهة أيام الربيع وأقام الاسبوع ونحوه فاذا حانت الجمعة ودخل تحرى النزول بمنازل المنصور التى كان ينزل بها وقت خروجه لزيارة اغمات ونحوها ورجوعه ، ويقول : هذه منازل المنصور رحمه الله ، وهو استاذنا فى مثل هذه الامور ، ومن عجيب سيرته رحمه الله انه كان يرى اشتغال طلبة العلم بقراءة المختصرات فى فن الفقه وغيره واعراضهم عن الامهات المبسوطة الواضحة تضييع للاعمار فى غير طائل ، وكان ينهى عن ذلك غاية ولا يترك من يقرأ مختصر خليل ومختصر ابن عرفة وأمثالهما ، ويبالغ فى التشنيع على من اشتغل بشىء من ذلك حتى كاد الناس يتركون قراءة مختصر خليل ، وانما كان يحض على كتاب الرسالة والتهذيب وأمثالهما ، حتى وضع فى ذلك كتابا مبسوطا أعانه عليه أبو عبد الله الغربى ، وأبو عبد الله المير وغيرهما من أهل مجلسه

ولما أفضى الامر الى السلطان العادل المولى سليمان رحمه الله صار يحض الناس على التمسك بالمختصر ، ويبذل على حفظه وتعاطيه الاموال الطائلة ، والكل مأجور على نيته وقصده غير انا نقول : الرأى ما رأى السلطان سيدى محمد رحمه الله . وقد نص جماعة من أكابر الاعلام النقاد مثل الامام الحافظ أبى بكر بن العربى ، والشيخ النظار أبى اسحق الشاطبى ، والعلامة الواعية أبى زيد عبد الرحمن بن خلدون وغيرهم، أن سبب نضوب ماء العلم فى الاسلام ونقصان ملكة أهله فيه اكباب الناس على تعاطى المختصرات الصعبة الفهم واعراضهم عن كتب الاقدمين المبسوطة المعانى ، الواضحة الادلة ، التى تحصل لمطالعها الملكة فى أقرب مدة ولعمرى لا يعلم هذا يقينا الا م ن جربه وذاقه ، وقد تقدم لنا فى صدر هذا الكتاب

أن ملوك بنى عبد المومن كانوا يحملون الناس على الرجوع فى الاحكام الى الكتاب والسنة ، كل ذلك اعتناء بالعلم القديم ومحافظة على أصوله والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

وكان السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله ينهى عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على القواعد الكلامية المحررة على مذهب الاشعرية رضى الله عنهم ، وكان يحض الناس على مذهب السلف من الاكتفاء بالاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب والسنة بلا تأويل ، وكان يقول عن نفسه حسبما صرح به فى آخر كتابه الموضوع فى الاحاديث المخرجة من الائمة الاربعة : انه مالكى مذهبا حنبلى اعتقادا ، يعنى أنه لا يرى الخوض فى علم الكلام على طريقة المتأخرين ، وله فى ذلك أخبار وماجريات

قلت : وهو مصيب أيضا فى هذا ، فقد ذكر الامام ابو حامد الغزالى رضى الله عنه فى كتاب الاحياء : ان علم الكلام انما هو بمنزلة الدواء لا يحتاج اليه الا عند حدوث المرض ، فكذلك علم الكلام لا يحتاج اليه الا عند حدوث البدعة فى قطر ، وقد حرر الناس القدر المحتاج اليه فى حق العامة وغيرهم ، والمبتدئين والمنتهين ، والاغبياء والاذكياء ، بما ليس هذا محل بسطه ، وكان السلطان سيدى محمد رحمه الله عالى الهمة يحب الفخر ويركب سنامه ، ويخاطب ملوك الترك مخاطبة الاكفاء ، ويخاطبونه مخاطبة السادة ، ويمدهم بالاموال والهدايا حتى علا صيته عندهم وحسبوه أكثر منهم مالا ورجالا ، وكان يعطى عطاء من لا يخاف الفقر ، ويضع الاشياء مواضعها ، ويعرف مقادير الرجال ، ويؤدى حقوقهم ويتجاوز عن هفواتهم ، ويراعى لاهل السوابق سوابقهم ، ويتفقد أحوال خدامه فى الصحة والمرض ، ولا يغفل عمن كان يعرفه قبل الملك ، وكان من الشجعان المذكورين فى وقته ، يباشر الحروب بنفسه ، ويهزم الجيوش بهيبته ، وكان يقتنى الرجال ويصطنعهم ويعدهم لايام الكريهة ، وينادى كل واحد باسمه وقت اللقاء والحضور عنده ، ويوجه كل بطل منهم مع قبيلة أو كتيبة من كتائب الجند ، ويعمل بقواعد السياسة فى الحروب ، وكان اذا وجه احدا

ممن يعرف نجدته وكفايته ينشد قول ابن دريد :

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالالف ان أمر عنا

وبالجملة فقد كان رحمه الله من عظماء الملوك ، وخلد آثارا كثيرة بالمغرب ، فمن ذلك بمراكش تجديد ضريح الشيخ أبي العباس السبتي ومسجده ومدرسته ، وضريح الشيخ التباع ومسجده ، وضريح الشيخ الجزولي ومسجده ، وضريح الشيخ الغزواني ومسجده ، وضريح الشيخ ابن صالح ومسجده ، وضريح المولى على الشريف ومسجده الاعظم ، وضريح الشيخ ميمون الصحراوي ومسجد الملوك بريمة ومدرستاه ، وتجديد جامع المنصور والمسجد الاعظم بباب دكالة، والمسجد الاعظم بباب هيلانة، والمسجد الاعظم بالرحبة ، ومساجد القصبة ومدارسها الست ، ومسجد زاوية الشرادي ، ومسجد رباط شاكر ، ومدينة الصويرة بمساجدها ومدارسها وصقائلها وأبراجها وكل ما فيها ، ومسجد آسفي ومدرسته ، ومسجد مدينة تيط ومدينة آنفا ، ومسجدها ومدرستها وحمامها وصقائلها وأبراجها ، ومدينة فضالة ومسجدها ومدرستها ، والمنصورية ومسجدها ، وجامع السنة برباط الفتح ومساجد أجدال الستة وأبراجه ، والصقالتين الكبيرتين بسلا ورباط الفتح ، ومسجد العرائش ومدرسته وصقائلها وأبراجها وسوقها ، وصقائل طنجة وأبراجها ، والمسجد الازهر ومدرسته باصطبل مكناسة ، ومسجد البردعيين بها ، وضريح الشيخ ابن عيسى وضريح الشيخ أبي عثمان سعيد ومسجده ، ومدرسة الصهريج ، ومدرسة الدار البيضاء ، ومسجد بريمة ومدرسته ومسجد هدراش ومسجد باب مراح وثلاثة أقواس بقنطرة وادي سبو خارج فاس ، وضريح الشيخ على بن حرزهم ، وضريح الشيخ دراس بن اسمعيل ، وضريح أبي عبد الله التاودي، ومدرسة باب الجيسة ، ومسجد تازا ومدرسته ، وضريح المولى على الشريف بسجلماسة وقصبة الدار البيضاء بها ومسجدها ومدرستها ، ومسجد الريصاني ومدرسته وأوقافه على المارستان بفاس ومراكش .

فهذه الآثار كلها مما سمت الى تخليد همته الشريفة ، بعضها

أنشأها وبعضها أصلحه وجدده ، ورتب للاشراف بتافيلالت فى كل سنة مائة ألف مثقال سوى ما ينعم به عليهم فى أيام السنة متفرقا ، ورتب لاهل الحرمين الشريفين وشرفاء الحجاز واليمن مائة ألف مثقال أيضا فى السنة ، ولشرفاء المغرب مائة ألف مثقال كذلك ، وأما الطلبة والمؤذنون والقراء وأئمة المساجد كانت تأتيهم صلاتهم فى كل عيد ، وأما ما كان ينفقه فى الجهاد على رؤساء البحر وطبجيته وما يصيره على المراكب الجهادية والآلات الحربية التى ملا بها بلاد المغرب فشيء لا يحصيه الحصر ، واما ما أنفقه من الاموال فى فكاك أسرى المسلمين فأكثر من ذلك كله حتى لم يبق ببلاد الكفر أسيرا من المغرب ولا من المشرق ، ولقد بلغ عددهم فى سنة مائتين وألف ثمانية وأربعين ألف أسير وزيادة ، وأوقافه بالحرمين الشريفين وكتبه العلمية المحبسة بهما لا زالت قائمة العين والاثر الى الآن ، وأما اعتناؤه بالمراكب القرصانية فقد بلغ عددها فى دولته عشرين كبارا من المربع ، وثلاثين من الفراكط والغلائط ، وبلغ رؤساء البحر عنده ستين رئيسا كلها بمراكبها وبحريتها ، وبلغ عسكر البحرية ألفا من المشارقة وثلاثة آلاف من المغاربة ، ومن الطبجية ألفين ، وبلغ عسكره من العبيد خمسة عشر ألفا ، ومن الاحرار سبعة آلاف ، وأما عسكر القبائل الذى كان يغزو مع الجند فمن الحوز ثمانية آلاف ، ومن الغرب سبعة آلاف .

وكانت له هيبة عظيمة في مشوره وموكبه يتحدث الناس بها ، وهابته ملوك الفرنج وطواغيتهم ، ووفدت عليه رسلهم بالهدايا والتحف ، يطلبون مسالمته في البحر ، بلغ ذلك رحمه الله بسياسته وعلو همته حتى عمت مسالمته أجناس النصارى كلهم الا المسكوب فانه لم يسالمه لمحاربته للسلطان العثمانى ، ولقد وجه رسله وهديته الى طنجة فردها السلطان رحمه الله وأبى من مسالمته ، ووظف على الاجناس الوظائف فالتزموها وكانوا يؤدونها كل سنة واستمر ذلك من بعده الى أن انقطع فى هذه السنين المتأخرة ، وكانوا يستجلبون مرضاته بالهدايا والالطاف وكل ما يقدرون عليه ، ومهما كتب الى طاغية فى أمر سارع اليه ولو كان محرما فى دينه ، ويحتال فى

قضاء الاغراض منهم بكل وجه أحبوا أم كرهوا ، وكان أعظم طواغيتهم طاغية النجليز وطاغية الفرنسيس ، فكانوا يأنفون من أداء الضريبة علانية مثل غيرهم من الاجناس ، فكان رحمه الله يستخرجها منهم وأكثر منها بوجه لطيف ، وكان له عدة أولاد أكبرهم أبو الحسن على والمأمون وهشام وعبد السلام ، هؤلاء لربة الدار المولاة فاطمة بنت عمه سليمان بن اسمعيل ثم عبد الرحمن أمه حرةهوارية من هوارة السوس ، ثم يزيد ومسلمة ، أمهما علجة من سبى الاصبنيول ، ثم الحسن وعمر ، أمهما حرة من الاحلاف ، ثم عبد الواحد امه حرة من أهل رباط الفتح ، ثم سليمان والطيب وموسى لحرة من الاحلاف أيضا ، ثم الحسن وعبد القادر لحرة من الاحلاف أيضا ، ثم عبد الله لحرة من عرب بنى حسن ، ثم ابراهيم لعلجة رومية .

ومما مدح به السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله من الشعر أرجوزة الاديب البليغ أبى العباس أحمد الونان المعروفة بالشمقمقية التى يقول فى مطلعها :

مهلا على رسلك حادى الاينق * ولا تكلفها بما لم تطق

وهذه الارجوزة مشهورة بين الناس وهى من الشعر الفائق ، والنظم البديع الرائق ، أبان منشئها عن باع كبير واطلاع غزير ، على أخبار العرب وأيامها وحكمها وأمثالها بحيث أن من حفظها وعرف مقاصدها أغنته عن غيرها من كتب الادب ، وقد كنت فى أيام التعاطى اعتنيت بتصحيح الفاظها والتتبع لاخبارها وأمثالها والتنقير عن تلميحاتها وتلويحاتها حتى فضضت ختامها واستوعبت مبدأها وتمامها ، ثم شرعت فى كتابة شرح عليها يحيط بمعانيها ويستوعب دقائق مبانيها ، فكتبت منه نحو أربعة كراريس ، ثم عاقت الاقدار عن اتمامه نسأله سبحانه وتعالى أن يصرف عنا العوائق فيما ينفعنا فى ديننا ودنيانا ، ويحفنا بالسعادة الدنيوية والاخروية فى متقلبنا ومثوانا ، انه ولى ذلك والقادر عليه .

ومن وزراء السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله : الوزير

الشهير أبو عبد الله محمد العربى قادوس المدعو أفاندى ، كان من موالى السلطان وغرس نعمته وربى دولته وأصله من أعلاج الاصبنيول ، وكان شعلة من الذكاء والفطنة وركنا شديدا من أركان الدولة المحمدية فى حسن التدبير والحزم الذى لا يعزب عنه من أمور الحضرة قليل ولا كثير ، وقد أدرك من فخامة الجاه وضخامة الرياسة غاية تفرد بها فى وقته بحيث كانت الاعاظم من وجوه الدولة تقف ببابه اليومين والثلاثة فلا يتيسر لهم لقاؤه .

ولما توفى السلطان سيدى محمد رحمه الله امتحن المولى يزيد هذا الوزير فى جملة من امتحنه من أهل مراكش كما سيأتى .

الخبر عن دولة امير المومنين المولى يزيد بن محمد وأوليته ونشأته رحمه الله

كان المولى يزيد هذا عند والده رحمه الله بعين العناية ملحوظا ، ومن النقائص محروسا ومحفوظا ، وكانت عامة أهل المغرب وخاصتهم من الجند والرعية متشوفين له ومغتبطين به يهتفون باسمه ويلهجون بذكره ، لما كان عليه من الكرم والشجاعة والتمسك بمذاهب الفتوة والدين والاعتناء بجوائز أهل البيت ، ومحبة أهل الخير واكرامهم واقامة الصلوات لاوقاتها حضرا وسفرا لا يشغله عن ذلك شاغل ، فأصابته عين الكمال وصار ينتقل من حال الى حال ، حتى خالطته جماعة من الاغمار كانوا فى خدمته فلزموه وحسنوا له الاستبداد على والده والخروج عليه ، وأتوه من بين يديه ومن خلفه ، حتى وقر ذلك فى صدره وارتسم فيه ، وكان ذلك على حين أوان الشبيبة وأخذها منه مأخذها ، وكانت همته طماحة لا تقف به عند غاية ، فاستعجل الامر قبل أوانه وخرج على والده بجيش العبيد حسبما مر ولسان حاله ينشد :

فان يك عامر قد قال جهلا * فان مظنة الجهل الشباب

فسقطت منزلته عند أبيه بعد أن بلغ من الحظوة لديه ما بلغ ، وكان يرشحه للخلافة ويقدمه على كبار اخوته ، لما ظهر له من نجدته واقتداره ، وجوده في محل الجود ، ورغبته في الجهاد وولوعه بصناعة الرمي بالمهراس، فأسند اليه أمر الطبجية والبحرية ، وصار يوجهه مع الرؤساء والطبجية الى الثغور كل سنة ليقف على الملازمين لصقائلها وأبراجها ، ويعلمهم ما يحتاجون الى تعلمه ، ولما رآه والده مغتبطا بذلك وتوسم فيه النجابة أقبل عليه بالعطاء ، ثم ولاه الكلام مع قناصل الاجناس الذين بالمراسى واستنابه في ذلك .

وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ولاه السلطان على قبيلة كروان، وهم يومئذ أعظم قبائل البربر خيلا ورجالا ، فأسند اليه أمرهم ، وتقدم اليه في أن يكفهم عن الحرب مع آيت ادراسن ، فسار اليهم واغتبطوا به واغتبط بهم وصار أحداثهم وأبناء أعيانهم يركبون معه للصيد فغمرهم بالعطاء، وأنعم عليهم بالخيل والسلاح والكسى ، ولزموا مجلسه حتى أفسدوا قلبه وحسنوا له الانتزاء على الملك ، وقالوا : هذا بيت المال الذى بقبة الخياطين هو في يدك وليس دونه مانع وبه يقوم ملكك ، ومتى استدعيت اخواننا آيت ومالو لم يتوقفوا عنك طرفة عين ، ولا يقوم لهم شيء من الجند وغيره ولم يزالوا يفتلون له في الذروة والغارب حتى شرهت نفسه وصار لا حديث له الا في ذلك ، وأطلع على ذلك قائد الوداية أبو محمد عبد القادر بن الخضر ، وكان محبا في جانب السلطان صادق الخدمة والطاعة له ، فكتب اليه بما عليه ولده مع جروان وانهم يأتون اليه بالمائة والمائتين ، ويبيتون عنده بالقصبة ونحن خفنا أن يبرز من ولدك أمر فتعاقبنا عليه ، فأخبرناك بالواقع .

ولما وصل كتابه الى السلطان بعث للحين قائده العباس البخارى في مائة من الخيل للقبض على المولى يزيد واصحابه ، وقد قلنا لك ان الجند والرعية معا كانوا مغتبطين بالمولى يزيد ، فلما وصل القائد العباس الى سلا دس الى المولى يزيد أنه مقبوض فلينج بنفسه ، فخرج المولى يزيد من

مكناسة ليلا فى خاصته وأصحابه من جروان ، وقصدوا آيت ومالو ، ولما وصل القائد العباس الى مكناسة ألفاها مقفرة من المولى يزيد وشيعته ، فأقام بها وكتب الى السلطان يعلمه بالخبر ، فبعث السلطان الى المولى يزيد كاتبه أبا عثمان سعيد الشليح ، فقدم عليه بزاوية آيت اسحاق لانه لم يجد من قبائل آيت ومالو الا مهاوش وشقيرين فتجاوزهم الى الزاوية المذكورة ولما أتاه أبو عثمان المذكور بكتاب والده وأمانه سار معه الى مراكش ، ولما وصل اليها دخل ضريح أبى العباس السبتى فاحترم به ثم عفا عنه السلطان، واجتمع به فتنصل مما رمى به ونسب ذلك الى سفهاء جروان وانه لم يوافقهم على ذلك ، فأضمر السلطان الايقاع بهم ، ولما قدم من مراكش سنة أربع وثمانين ومائة وألف قصدهم بالكريكرة وأوقع بهم ، وقتل منهم نحو الخمسمائة حسبما مر ، وأنزل المولى يزيد مع أخويه المولى على ، والمولى عبد الرحمن بفاس ، فأقام بها مدة ثم حدثت حرب بينه وبين أخيه المولى عبد الرحمن وسط فاس العليا ، وهلك فيما بينهما عدد وبلغ خبر ذلك الى السلطان فقدم مكناسة وبعث من يقبض عليهما فقبض على المولى عبد الرحمن وأصحابه ، وفر المولى يزيد الى ضريح المولى ادريس الاكبر بزرهون ، فأتى به الاشراف الى والده فسامحه ، ثم سرح المولى عبد الرحمن وسأل عن احوال أصحاب الاخوين معا ثم عرف صالحهم من طالحهم فاخرجهم من السجن ، وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وكانوا ثلاثين رجلا ، وسرح الباقين ، ونقل المولى عبد الرحمن الى مكناسة وترك المولى يزيد بفاس ، ثم ان المولى عبد الرحمن كان يسابق يوما فى الميدان ويلعب بالبارود فقتل رجلا من بنى مطير ، فجاء اخوانه الى قائدهم محمد بن محمد واعزيز فأدى ديته من عنده وعفوا ، وكتب عليهم سجلا بذلك وسكنت الهيعة ، فاتفق أن وجه السلطان قائده العباس الى مكناسة لقتل اناس كانوا بسجن مكناسة فلما سمع به المولى عبد الرحمن ظن أنه قدم فى شأن المطيرى المقتول ، وأن خبره قد بلغ السلطان ففر من مكناسة ليلا الى وجدة ، ثم الى تلمسان ، واتصل خبر فراره بالسلطان فسأل عن السبب فأخبره القائد العباس

بالواقع ، فبعث اليه الامان فلم يثق ، ثم سار من تلمسان الى سجلماسة فبعث اليه السلطان من يؤمنه ويأتي به اليه فلم يثق ، وفر الى السوس فبعث اليه السلطان أمانا الى السوس ففر الى القبلة ، وأقام يتردد في قبائلها الى أن توفي السلطان رحمه الله فجاء الى تارودانت فأقام بها وطلب الامر فلم يتم له أمر ، ومات رحمه الله ، وأما المولى يزيد فانه أقام بفاس الى أن استدعاه والده للقدوم عليه بمراكش فقدم عليه .

ثم اتفق قيام العبيد على السلطان بسبب الادالة التي أمرهم بتوجيهها الى طنجة حسبما مر ، فبعث المولى يزيد لاصلاحهم وردهم عن غيهم ، فلما وصل اليهم استفزوه بقولهم ، وحركوا منه ما كان ساكنا ، واستخرجوا ما كان كامنا ، فبايعوه وخطبوا به حسبما مر الخبر عن ذلك مستوفى ، وانحرف قدور بن الخضر بالودايا عنه ، ولما فتح المولى يزيد بيت المال وأعطى العبيد بعث الى الودايا بعطائهم يستهويهم به وكان شيئا كثيرا، فردوه عليه وانضم محمد واعزيز في بربره الى الودايا فقصدهم المولى يزيد والتقوا بالمشتهى من مكناسة فهزموه ، وقتل من العبيد ما ينيف على الخمسمائة ثم قدم السلطان في العساكر وجموع القبائل ففر المولى يزيد الى زرهون فتبعه السلطان وزار المولى ادريس رضي الله عنه ، فشفع له الاشراف الادارسة فيه فقبل شفاعتهم وعفا عنه حسبما مر ، ثم بعد هذا بعثه الى المشرق وصدر منه بمكة في حق شيخ الركب ما صدر فكانت تلك الفعلة هي المخالفة وبها تبرأ السلطان منه ، ثم قفل من المشرق سنة ثلاث ومائتين والف والتجأ الى ضريح الشيخ عبد السلام بن مشيش الى أن توفي والده حسبما قصصنا عليك من قبل وبالله التوفيق .

٧٦

بيعة امير المومنين المولى يزيد بن محمد رحمه الله

لما توفى السلطان سيدى محمد رحمه الله فى التاريخ المتقدم وبلغ خبر موته المولى يزيد وهو بالحرم المشيشى بايعه الاشراف هنالك وسائر أهل الجبل وتقدم اليه السابقون من الجند الذين كانوا محاصرين له فبايعوه، واستتب أمره فتوجه الى تطاوين اذ هى أقرب الثغور اليه فبايعه أهلها ، والقبائل المجاورة لها ، وأطلق الجند على يهود تطاوين فأستباحهم واصطلم نعمتهم ، ثم وفد عليه أهل طنجة والعرائش وآصيلا فقابلهم بما يجب ، ثم توجه الى طنجة فخرج عسكرها للقائه ففرح بهم وأحسن اليهم وبها قدم عليه وفد أهل فاس من أشرافها وعلمائها وأعيانها فأكرمهم وولى عليهم أبا عبد الله محمد العربى الذيب ، ثم انتقل الى العرائش فوافاه بها حاشية أبيه وخدمه ووجوه دولته بمتخلف والده وقبابه وخيله وبغاله وسائر أثاثه فأحسن اليهم وصاروا معه فى ركابه الى زرهون ، ولما وصل اليها قدم عليه أخوه المولى سليمان من تافيلالت بقبائل الصحراء عربها وبربرها ومعه بيعة أهل سجلماسة ، وكان قد استجار به محمد واعزيز فانه كان خائفا على نفسه من المولى يزيد لانحرافه عنه أيام أبيه ، فسار فى صحبته بقبائله ، ولما اجتمع بالسلطان سامحه وأبقاه على قومه ، ولما دخل مكناسة قدمت عليه قبائل الغرب كلها عربها وبربرها حتى عصاة آيت ومالو ودجالهم مهاوش فاعطى مهاوش وحده عشرة آلاف ريال وأعطى الذين قدموا معه مائة ألف ريال ، ثم قدمت عليه قبائل الحوز كله من عرب وبربر لم يتخلف عن بيعته أحد ، وقدم عليه أهل مراكش وأعمالها ببيعتهم ، ونصها :

«الحمد لله المنفرد بالملك والخلق والتدبير ، الذىأبدع الاشياء بحكمته واخترع الجليل منها والحقير، الغنى عن المعين والمرشد والوزير ، الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، يؤتى الملك من يشاء ويعز من يشاء وهو المدبر القدير ، جاعل الملوك كفا للاكف العادية ، وولايتهم مرتعا للعباد فى ظل

الامن والعافية ، وبيعتهم أمنا من الهرج والفساد ، وقمعا لاهل الشر والعناد، فهم ظل الله على الانام ، وحصن حصين للخاص والعام ، حسبما أفصح بذلك سيد الانـام ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، فتبارك الله ربنا الذى شرف هذا الوجود ، وزين هذا العالم الموجود ، بهذه الخلافة المباركة ، والامامة الحسنية الهاشمية العلوية ، والطلعة القرشية المحمدية ، التى انصرفت الوجوه الى قبلتها المشروعة ، واستبان الحق عند مبايعتها والانقياد لدعوتها المسموعة ، نحمده تعالى على ما من به علينا من هؤلاء الامامة السعيدة ، ونشكره جل جلاله شكرا نستوجب به من الهنا افضاله ومزيده ، ونشهد أنه الله الذى لا اله الا هو وحده لا شريك له ليس فى الوجود الا فعله ، أجرى الاقدار على حسب ما اقتضاه حكمه وعدله ، ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمدا عبده ورسوله ، ومصطفاه من خلقه وخليله ، سيد المخلوقات كلها من انس وجان ، المصفى من ذؤابة معد بن عدنان ، صاحب الشريعة المطهرة التى لا يختلف فى فضلها اثنان ، والدين القويم الذى هو أفضل الاديان ، الذى اختصه الله ما بين الانبياء بمزية التفضيل والتقديم ، وافترض على أمته الغراء فريضة الصلاة والتسليم، وأثنى عليه فى كتابه الحكيم ، فقال جل ثناؤه وتقدست صفاته وأسماؤه : « وانك لعلى خلق عظيم » ، صلى الله عليه صلاة متصلة الدوام متعاقبة بتعاقب الليالى والايام ، وعلى آله الكرام الاطهار وصحابته النجباء البررة الاخيار الذين أوضحوا لنا الحق تبيانا ، وأسسوا لهذه الملة السمحة قواعد وأركانا ، وعلى من اقتفى أثرهم القويم واهتدى بهديهم المستقيم الى يوم الدين . أما بعد ، فان الله تعالى جعل صلاح هذا العالم وأقطاره المعمورة بنى آدم ، منوطا بالائمة الاعلام ، محوطا بالملوك الذين هم ظل الله على الانام ، فطاعتهم ما داموا على الحق واتقوا الله سعادة والاعتصام بحبلهم اذذاك واجب وعبادة قال عز من قائل: (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) وقال عليه السلام : « ان أمر عليكم عبد مجدع أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا» وقال عليه السلام : «على المرء

المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية فلا سمع ولاطاعة» وقال عليه السلام: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو الى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية ، ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى مؤمنها ولا يفى لذى عهدها فليس منى ولست منه» أخرجها مسلم كلها وقال عليه السلام : «السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه الضعيف وبه ينتصر المظلوم، ومن أكرم سلطان الله فى الدنيا أكرمه الله يوم القيامة» أو كما قال. وقال عليه السلام : «السلطان العدل المتواضع ظل الله ورمحه فى الارض يرفع الله له عمل سبعين صديقا» ولما كان أهل بيت سيد المرسلين أعظم قريش فى قلوب المؤمنين ، وأكرمهم منزلة عند رب العالمين ، أنالهم الله تعالى فى خلقه فضلا كبيرا ، ومنحهم اجلالا ورفعة وتعظيما وتكبيرا ، قال الله تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) . وقال عليه الصلاة والسلام : «النجوم أمان لاهل السماء وأهل بيتى أمان لامتى» وان ممن امتن الله به علينا من أهل هذا البيت الشريف ، الذى أولاه الله أشرف التعظيم وأعظم التشريف وقدمه تعالى لسلطانه العزيز ، ورفعه جل وعلا على منصة التبريز ، عميد المجد الذى لا يتناهى فخره ، ووحيد الحسب جل منصبه وقدره ، الامام الذى ألقت له الامامة زمامها ، وقدمته الافاضل لفضله امامها ، من جاءت له الخلافة تجر أذيالها ، وأخذها دون بنى أبيه ولم تك تصلح الا له ولم يك يصلح الا لها ، ومن جبلت قلوب الخلائق على محبته ، والقى له القبول فى الارض لمجده ولعلو همته ، السلطان السعيد ، الواثق بربه المعين الرشيد ، أبا المكارم والمفاخر سيدنا ومولانا يزيد ابن مولانا الامام السلطان الهمام ، المرحوم بالله سيدى محمد ابن أمير المؤمنين سيدنا ومولانا عبد الله ابن السلطان الجليل ، أمير المؤمنين مولانا اسمعيل ، ابن موالينا السادة الاشراف ، ذوى الفضل والكرم والانصاف ، قدس الله أرواحهم فى أعلا الجنان ، ومنحهم بفضله الرضا والرضوان ، أيد الله ببقائه الدين ، وطوق بسيفه الملحدين ، وكتب تحت لوائه المعتدين ،

وكتب له النصر الى يوم الدين ، وأعاذ به الارض من لا يدين بدين ، وأعاد بعدله أيام آبائه الخلفاء الراشدين ، وأسكن فى القلوب سكينته ووقـاره ، ومكن له فى الوجود وجمع له أقطاره ، هو والله ممن فيه استحقاق ميراث آبائه الاعلام ، وتراث أجداده الكرام ، المجمـع عليه انه فى هذه الايام فردهو الانام ، وواحد وهكذا فى الوجود الامـام ، الراقى فى صبـح سماء هـذه الذروة المنيفة ، الباقى بعد الائمة الماضين نعم الامام ونعـم **الخليفة** ، **سلالة** الاخيار ، وخلاصة أبناء النبى المختار ، أسمى الله آياته الشريفة ، وأنـار البسيطة بأنوار مملكته الشامخة المنيفة ، انعقد الاجماع مـن أهل هـذه الحضرة المراكشية حاطها الله وما حولها من أهل السوس وكافة الرحـامنة وغيرهم من قبائل عديدة حسبما تضمنته أسماء من يكتب اسمه منهم عقبـه بخط من يكتب منهم ، أو خطوط العدول الثقات عمن لم يكن يحسن الكتابة وأذنوا لمن يكتب عنهم بيعة تم بمشيئة الله تمامها ، وعـم بالصوب المغـدق غمامها ، سعيدة ميمونة ، شريفة لها السلامة فى الديـن والدنيا مضمونـة ، صحيحـة شرعيـة ، ملحوظة مرعيـة ، دائبـة دائمـة ، لازمـة جازمة ، صحيحة صريحة ، متعبة مريحة ، على الامن والامانة ، والعفاف والديانة ، وعلى ما بويع به مولانا رسول الله صلى الله عليـه وسلم والخلفاء الراشدون من بعده ، والائمة المهتدون الموفون بعهده ، وعلى السمع والطاعة ، وملازمة السنة والجماعة ، قرت بها نواظرهم ، وشهدت بذلـك على صفاء بواطنهم ظواهرهم ، وأعطوا بها صفقة أيديهم وأمضوها امضاء يدينون بـه فى السر والجهر والمنشط والمكـره ، واليسر والعسر ، أجمع عليها أربـاب العقـد والحل ، وأصحاب الكلام فيما قل وجل ، ومن يوصف بعلـم وقضاء ،ومـن يرجع اليه فى رد وامضاء ، لم يخالف فيها امام مسجد ولا خطيب ، ولا ذو فتوى يسئل فيجيب ، ولا من يجتهد فى رأى فيخطىء أو يصيب ، ولا معروف بدين وصلاح ، ولا فرسان حرب وكفاح ، ولا طـاعن برمـح ولا ضارب بصفاح ، ولا ولاة الامر والاحكام ، ولا حملـة العلـم الاعلام ، ولا حمـاة السيوف والاقلام ، ولا أعيان السادة الاشراف ، ولا أكابر الفقهـاء ومـن

انخفض قدره ومن أناف ، بيعة تمت بها نعمة من وحد الله قائلين : (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) الآية ، فمن حضر خواص من ذكر وعوامهم قيد شهادته بمضمن العقد المنصوص ، ملتزما لجميع ما اقتضاه من العموم والخصوص ، باسطا كفه بالدعاء والابتهال ، والتضرع لذى العزة والجلال ، قائلا اللهم كما خصصت مولانا أمير المؤمنين بمزيد الكرامة وارتضيته لمقام الامامة ، وانتخبته من أشراف الناس ، وصنت به وجوههم عن الباس ، فانصره اللهم نصرا مؤزرا ، واجعل نصيبه من عنايتك وكفايتك جزيلا موفرا ، وأنله فى كل مرام فتحا مبينا ، وظفرا ميسرا معينا ، وأسعدنا اللهم بأيامه ، واكلأه بكلاءتك فى ظعنه ومقامه ، واجعل بيعته المباركة بيعة تخلد بها مآثره تخليدا ، وتؤيد علوه وتأييده ونصره تأييدا ، وأبقه على الانام شفيقا ، وبجميعهم بارا رفيقا ، وأعنه اللهم على ما وليته من أمور عبادك ، ومهد له أتم التمهيد فى أقطار بلادك ، وكن له فيما يرضيك مؤيدا وظهيرا ، واجعل له من لدنك وليا وسلطانا نصيرا ، أجب دعاءنا انك يامولانا ولى ذلك وبه قدير ، وأنت نعم المولى ونعم النصير ، وبالاجابة جدير ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى الكبير ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، فى ثامن عشر شعبان عام أربعة ومائتين وألف انتهت

انتقال الودايا من مكناسة الى فاس وعبيد الثغور منها الى مكناسة

لما كان السلطان المولى يزيد رحمه الله بمكناسة أمر الودايا أن ينتقلوا منها الى فاس الجديد مسقط رؤوسهم ومنبت شوكتهم وبأسهم ، وبذل لهم خمسين ريالا للرأس اعانة لهم على نقلتهم ، فعادوا الى فاس الجديد واستوطنوه بعد تغريبهم عنه بمكناسة ثلاثين سنة كما سبق ، ثم أمر عبيد الثغور أن ينتقلوا منها الى مكناسة لتجتمع كلمتهم بها ، وأنعم على أهل كل ثغر منهم ببيت ماله الذى به فاقتسموه وانقلبوا الى مكناسة مغتبطين

نقض الصلح مع جيش الاصبنيول وحصاره سبتة

قال منويل القشتيلي فى كتابه الموضوع فى أخبار المغرب : لما ولى المولى يزيد بن محمد رحمه الله أظهر معاداة الاصبنيول وصمم على حربهم فتفادى طاغيتهم من حربه بكل وجه . وبعث باشدوره اليه بطنجة يهنئه بالملك ويتملق له فأعرض عن ذلك ولم يحفل به ولا بهديته ، بل عمد الى من كان بمراسيه من نصارى الاصبنيول تجارا وفرايلية وغيرهم وقبض عليهم وسلكهم فى السلاسل ، وساقهم الى طنجة فحبسهم بها ، قال : وكانت قراصين المسلمين الحربية يومئذ ستة عشر قرصانا وفيها من المدافع ثلاثمائة مدفع وستة مدافع

قلت : قد تقدم أن القراصين أكثر من ذلك بكثير ، واستمر النصارى محبوسين بطنجة الى أن اتفق أن كان قرصان للاصبنيول يطوف بساحل العرائش فظفر بمركب هنالك وأسر بعضهم ، وكان المولى يزيد يومئذ بالعرائش فنظر اليهم بمرآة الهند وهو على سطح داره اذ أسروهم وبعث الصريخ فى أثرهم ففاتوه ، ثم وقع التفادى بينه وبين الطاغية فى أولئك

الاسرى بأسرى طنجة اه كلام منويل .

ثم أن السلطان المولى يزيد رحمه الله زحف الى سبتة واستنفر الناس لجهادها والمرابطة عليها ، واستصحب معه آلة الحرب من المدافع والمهاريس ، ونصب عليها سبعة اشبارات كان جلها لفنانشة سلا ،وأهرعت اليه المتطوعة من حاضر وباد ، ونسلوا اليه من كل حدب وواد ، وأقام على حصارها مدة ثم أفرج عنها وسار الى ناحية مراكش لامر اقتضى ذلك ، فلما وصل الى مدينة آنفا بدا له من الرجوع فرجع ونزل عليها واستأنف الجد ، وأرهف الحد ، وأرسل الى قبائل الحوز يستنفرهم للجهاد والمرابطة فتقاعدوا عنه بعد أن أشرف على فتحها وكان ما نذكره

انتقاض اهل الحوز على السلطان المولى يزيد بن محمد وبيعتهم لاخيه المولى هشام رحمهما الله

لما قدمت قبائل الحوز على السلطان المولى يزيد بمكناسة ظهر لهم منه بعض التجافى عنهم وأنزلهم فى العطاء دون البربر والودايا وغيرهم ، فساءت ظنونهم به وانفسدت قلوبهم عليه ، ولما رجعوا الى بلادهم تمشت رجالاتهم بعضها الى بعض ، وخب الرحامنة فى ذلك ووضعوا ، واتفقت كلمتهم مع أهل مراكش وعبدة وسائر قبائل الحوز فقدموا المولى هشام بن محمد للقيام بأمرهم وآتوه بيعتهم وطاعتهم ، ولما اتصل خبر ذلك بالمولى يزيد وهو محاصر لسبتة أقلع عنها وسار الى الحوز فشرد قبائله ، ووصل الى مراكش فدخلها عنوة ، يقال : أن دخوله اليها كان من الباب المعروف بباب يغلى ، فاستباحها وقتل وسمل ، وكان الحادث بها عظيما ، ثم استجاش عليه المولى هشام قبائل دكالة وعبدة وقصده بمراكش فبرز اليه المولى يزيد ولما التقى الجمعان بموضع يقال له تازكورت انهزم جمع المولى هشام وتبعهم

المولى يزيد فأصيب برصاصة فى خده فرجع الى مراكش يعالج جرحه ، فكان فى ذلك حتفه رحمه الله . وذلك أواخر جمادى الثانية سنة ست ومائتين وألف ودفن بقبور الاشراف قبلى جامع المنصور من قصبة مراكش ، ولقد كان رحمه الله من فتيان آل على وسمحائهم وأبطالهم له فى النجدة والكفاية المحل الذى لا يجهل ، والسبق الذى لا يلحق ، والغبار الذى لا يشق ، ولا يضره تنقيص من نقصه من الحسدة عفا الله عنا وعنهم فان مكان الرجل غير مكانهم وهمته العالية فوق تزويراتهم تغمد الله الجميع بعفوه وغفرانه آمين . ولنذكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث .

ففى شعبان سنة اثنتين وأربعين ومائة والف توفى الفقيه العلامة القاضى بسلا أبو عبد الله محمد السوسى المنصورى ودفن قرب الولى الصالح سيدى مغيث من طالعة سلا ، وله شرح على مختصر السنوسى فى المنطق وآخر على كبراه ، وفى ضحى يوم السبت الثامن والعشرين من المحرم فاتح سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف توفى الفقيه المرابط البركة سيدى الحاج الغزوانى بن البغدادى ، من حفدة الولى الاشهر سيدى محمد الشرقى رضى الله عنه ، ودفن بداره بجوار سيدى مغيث أيضا .

وفى يوم الاربعاء الثامن والعشرين من صفر سنة أربع وأربعين ومائة وألف توفى الفقيه العلامة الامام صاحب التصانيف المفيدة، والاجوبة العتيدة، أبوعبدالله سيدى محمد بن عبد الرحمن بن زكرى الفاسى رحمه الله ورضى عنه .

وفى يوم الجمعة الرابع من رجب سنة ست وأربعين ومائة وألف كمل بناء قبة ولى الله تعالى أبى العباس سيدى الحاج أحمد بن عاشر رضى الله عنه على يد القائد أبى عبد الله الحوات ، وفى الشهر نفسه توفى الفقيه القاضى النوازلى أبو العباس سيدى أحمد الشدادى بزاوية زرهون .

وفى سنة خمسين ومائة وألف ولد الشيخ أبو العباس أحمد التجانى شيخ الطائفة التجانية ، وسياتى الكلام عليه ان شاء الله وفيها كانت المجاعة العظيمة بالمغرب والفتن ونهب الدور بالليل بفاس وغيرها . وصار جل الناس لصوصا فكان أهل اليسار لا ينامون لحراستهم دورهم وأمتعتهم ، وهلك من

الجوع عدد لا حصر له حتى لقد أخبر صاحب المارستان أنه كفن في رجب وشعبان ورمضان ثمانين ألفا وزيادة سوى من كفنه أهله ، هذا بفاس وليقس عليها غيرها .

وفي زوال يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين ومائة وألف توفي قاضي سلا الفقيه العلامة السيد ابو عمرو عثمان التواتي ودفن داخل روضة سيدي الحاج أحمد بن عاشر رضي الله عنه .

وفي سنة ثلاث وستين ومائة وألف كان الوباء بالمغرب وانحباس المطر فلحق الناس من ذلك شدة ثم تداركهم الله بلطفه

وفي سنة تسع وستين ومائة وألف كانت الزلزلة العظيمة بالمغرب التي هدمت جل مكناسة وزرهون ومات فيها خلق كثير بحيث أحصي من العبيد وحدهم نحو خمسة آلاف وتكلم لويز مارية على هذه الزلزلة فقال : انها مكثت ربع ساعة وتشققت الارض منها واضطرب البحر وفاض حتى ارتفع ماؤه على سور الجديدة وفرغ فيها ، ولما رجع البحر الى مقره ترك عددا كثيرا من السمك بالبلد ، وفاض على مسارحهم ومزارعهم وأشجاراتهم فنسف ذلك كله نسفا واضطربت المراكب والفلك بالمرسى فتكسرت كلها وفر نصارى البلد الى الكنيسة وتركوا ديارهم منفتحة ومع ذلك لم يفقد منها شيء لاشتغال الناس بأنفسهم ، وتكلم صاحب نشر المثاني على هذه الزلزلة فقال : وفي ضحوة يوم السبت السادس والعشرين من المحرم سنة تسع وستين ومائة وألف زلزلت الارض زلزالها ، ومادت شرقا وغربا ، واستمرت كذلك نحو درج زماني ، وفاض ماء البرك والصهاريج على البيوت وتكدرت العيون ووقف ماء الاودية عن الجري وسقطت الدور وتصدعت الحيطان وأخذ الناس في هدم ما تصدع خوف سقوطه ، وفزع الناس وتركوا حوانيتهم وأمتعتهم ، ووقع بمدينة سلا أن ماء البحر انحصر عنه الى أقصاه فجاء الناس ينظرون اليه فرجع الماء الى جهة البر وتجاوز حده المعتاد بمسافة كبيرة ، فأغرق جميع من كان خارج المدينة في تلك الجهة وصادف قافلة ذاهبة الى مراكش فيها من الدواب والناس عدد كثير فأتلف الجميع ، ورمى بالقوارب

والزوارق التى فى الوادى الى مسافة بعيدة جدا ، ثم بعد هذه بنحو ستة وعشرين يوما عادت زلزلة أخرى أشد من الاولى بعد صلاة العشاء هى التى أثرت فى مكناسة غاية ، وهلك تحت الهدم بها نحو عشرة آلاف نفس ، وفعلت بفاس أيضا فعلا شنيعا انظر تمام كلامه فقد أطال فى وصفها .

وفى يوم الاحد التاسع والعشرين من رمضان سنة سبع وسبعين ومائة وألف انكسفت الشمس وبقى منها مثل الهلال ثم انجلت بعد حين .

وفى فجر يوم الاحد الثامن والعشرين من ربيع الثانى سنة احدى وثمانين ومائة وألف توفى الشريف البركة مولاى الطيب بن محمد الوزانى وعمره ينيف على الثمانين سنة ، وبعد صلاة العصر من يوم الاربعاء الثامن والعشرين من جمادى الاولى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف انكسفت الشمس وظهرت النجوم لكثرة الظلام ثم انجلت ورجعت لحالها بعد نصف ساعة ونحوها .

وفى أعوام تسعين ومائة وألف كانت المجاعة الكبيرة بالمغرب وانحبس المطر ووقع القحط وكثر الهرج ودام ذلك قريبا من سبع سنين .

وفى أواخر ربيع الثانى سنة أربع وتسعين ومائة وألف توفى الشيخ العلامة الامام المحقق البارع أبو عبد الله محمد بن الحسن بنانى الفاسى الفقيه المشهور صاحب التآليف الحسان ، مثل حاشيته البديعة على شرح الشيخ عبد الباقى الزرقانى على مختصر خليل ، حكى العلامة الرهونى فى حاشيته قال : لما أخبر الشيخ التاودى ابن سودة بوفاته جاء فزعا وهو يبكى فلقيه بعض الناس فقال له : الله يجعل البركة فيكم فقال : لم تبق بركة بعد هذا الرجل وذلك لمعرفته بمكانته .

وفى ضحى يوم السبت الثامن عشر من صفر سنة ست وتسعين ومائة وألف توفى الشريف البركة المولى أحمد بن الطيب الوزانى رحمه الله ونفعنا به وبأسلافه آمين .

حدوث الفتنة بالمغرب وظهور الملوك الثلاثة من اولاد سيدى محمد بن عبد الله وما نشأ عن ذلك

لما قتل المولى يزيد رحمه الله بمراكش افترقت الكلمة بالمغرب ، فأقام أهل الحوز وأهل مراكش على التمسك بدعوة المولى هشام وشايعه على أمره القائد أبو زيد عبد الرحمن بن ناصر العبدى صاحب آسفي وأعمالها ، والقائد أبو عبد الله محمد الهاشمي بن على بن العروسي الدكالى البوزرارى ، وكان المولى مسلمة بن محمد شقيق المولى يزيد خليفة عنه ببلاد الهبط والجبل يدبر الامر بثغورها وينظر في أمورها ، فلما اتصل به خبر وفاة أخيه دعا الى نفسه أهل تلك البلاد فبايعوه واتفقت كلمتهم عليه ووصل خبر موت المولى يزيد الى فاس وأعمالها فبايعوا المولى سليمان ابن محمد رحمه الله وكان من أمره ما نذكره .

الخبر عن دولة أمير المومنين أبى الربيع المولى سليمان بن محمد رحمه الله

كان المولى سليمان بن محمد رحمه الله أعلق بقلب أبيه من سائر اخوته على ما قيل لسعيه فيما يرضى الله ورسوله ويرضى والده واشتغاله بالعلم والعكوف عليه بسجلماسة وغيرها ، ولم يلتفت قط الى شيء مما كان يتعاطاه اخوته الكبار والصغار من أمور اللهو كالصيد والسماع ومعاقرة الندمان وما يزرى بالمروءة ، ولم يأت فاحشة قط من صغره الى كبره ، وكان رحمه الله يرى له ذلك ويثيبه عليه بالعطايا العظيمة والذخائر النفيسة والاصول المعتبرة التى تغل الالف وأكثر ، وينوه بذكره في المحافل ويبعث

اليه بأعيان الفقهاء والادباء الى سجلماسة ليقرأ عليهم ويأخذ عنهم ، ويدعو له في كل موقف على رؤوس الاشهاد ويقول : ان ولدى سليمان رضى الله عنه لم يبلغنى عنه قط ما يكدر باطنى عليه فأشهدكم أنى عنه راض ، ونشأ رحمه الله نشأة حسنة طيبة ، وكانت شمائل الملك لائحة عليه الى أن أظفره الله به ، وكنا قدمنا أنه قدم على أخيه المولى يزيد بقبائل الصحراء فأجل مقدمه وأكرم وفادته ، فأقام المولى سليمان رحمه الله بفاس الى أن كانت وفاة المولى يزيد في التاريخ المتقدم ، فاتصل خبر موته بأهل فاس ومكناسة فقاموا على ساق واتفق العبيد والودايا والبربر وأهل فاس على بيعته ، لما كان عليه من العلم والدين والفضل وسائر الاوصاف الحميدة ، التى تفرد بها عن غيره ولما قدم العبيد والبربر من مكناسة الى فاس اجتمعوا بأعيان الودايا وأهل فاس ودخلوا ضريح المولى ادريس رضى الله عنه وبايعوا أمير المؤمنين المولى سليمان يوم الاثنين سابع عشر رجب سنة ست ومائتين وألف ولما تمت بيعته انتقل الى فاس الجديد فاستقر بدار الملك منها وقدمت عليه وفود القبائل من العرب والبربر بهداياهم ، ثم قدم عليه بعدهم قبائل بنى حسن وأهل الغرب ثم أهل العدوتين سلا ورباط الفتح ، وانحرف بعض أهل رباط الفتح عن بيعته كما سياتى ، ثم قدم عليه أهل الثغور الهبطية بعد أن توقفوا عن بيعته مدة يسيرة لانهم كانوا قد بايعوا المولى مسلمة كما مر .

ونص بيعة أهل فاس : الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، الحمد لله الذى نظم بالخلافة شمل الدين والدنيا ، واعلى قدرها على كل قدر فكانت لها الدرجة العليا ، وأشرق شمسها على العوالم ، وانار بنورها المعالم ، وأصلح بها أمر المعاش والمعاد ، وألف بها بين قلوب العباد من الحاضر والباد ، وجعلها صونا الدماء والاموال والاعراض ، وغل بها أيدى الجبابرة فلم تصل الى مفاسد الاغراض ، و قام بها أمر الخلق واستقام ، وأقيمت الشرائع والحدود والاحكام ، ونصب منارها علما هاديا ، وأقامه الى الحق داعيا ، فأوى لظلها الوريف القوى والضعيف ، والمشروف

والشريف ، فسبحان من قدر فهدى ، ولم يترك الانسان سدى ، بل أمره ونهاه ، وحذره اتباع هواه ، وطوقه القيام بالنفل والفرض ، وهو أحكم الحاكمين ، (ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين) فمن رحمته نصب الملوك ومهد الطريق للسير والسلوك ، ولو ترك الناس فوضى لاكل بعضهم بعضا ، وآل الامر الى الخراب وأفضى ، لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبل ، وكان أضعفنا نهباً لقوانا ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للانام أصل الوجود ومبدأه ، وغاية الكمال ومنتهاه ، سيد الاولياء وامام الانبياء ، وقائد الاصفياء ، وعلى آله اولى المجد العميم ، والقدر العظيم ، وأصحابه الخلفاء الراشدين ، والهداة المهتدين ، الذين شيدوا أركان الدين ، ومهدوا قواعده للمشيدين ، وأخبروا عنه وأسندوا اليه صلى الله وسلم عليه أنه قال : «ان الله اختص بهذا الامر قريشا» ، وأنزل عليه (والله يوتى ملكه من يشاء) ،هذا ولما قضى الله سبحانه وله البقاء والدوام ، بنزول ما لا بد منه من فجأة الحمام ، لمن كان قائماً بهذا الامر العظيم ، وانتقاله الى دار عفوه ورضوانه العميم ، أسكنه الله فسيح الجنان ، وسقى ثراه سحائب الرحمة والغفران ، وجب على الناس نصب امام لقوله عليه الصلاة والسلام : «من مات وليست في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية» ، فجالت أفكارهم وخاضت عقولهم وأنظارهم فيمن يقدمون لهذا المنصب الاعظم ، ويسلك بهم السبيل الاقوم ، فهداهم التوفيق والتسديد ، والرأى الصائح السديد ، الى من نشأ فى عفة وصيانة ، ومروءة وديانة ، وعكوف على تحصيل العلم الشريف ، ودؤب على التحلى بحلى العمل المنيف ، مع نجدة ونباهة ، وذكاء وفطانة ونزاهة ، وعلو همة وقوة عزمة وتدبير وسياسة ، وخبرة بالامور وفراسة ، فتى جمع الله له بين الصرامة والحلم ، وزاده بسطة فى العلم والجسم ، وألبسه الهيبة والوقار ، ورقاه أعلى رتب العز والفخار ، وهو السرى المقدام الشهم الابر الهمام ، ذو الاخلاق الطاهرة الزكية ، والمآثر الظاهرة السنية ، عالى القدر والشأن ، فريد العصر ووحيد الاوان ، أبو الربيع مولانا سليمان ابن مولانا أمير

المؤمنين محمد ابن مولانا أمير المؤمنين عبد الله ابن مولانا أمير المؤمنين اسمعيل ابن مولانا الشريف فانعقد الاجماع من أهل هذه الحضرة الادريسية وما حولها من البقاع على تقدمه وامامته ، واستبشروا بأمرته وخلافته ، وبادروا الى تعيينه وبايعوه بيعة انعقد على ألوية النصر عقدها ، وطلع فى أفق الهناء سعدها ، حضرها الصدور والاعيان ، وأهل الوجاهة فى هذا الزمان ، وذوو الحل والعقد ، ومن اليهم القبول والرد ، من علماء وأعلام ، وأصحاب الفتاوى والاحكام ، وعظماء أشراف كرام ، ورماة كبرا ، وولاة أمرا ، ورؤساء أجناد ، والمتقدمين فى كل ناد ، من عرب البدو والحضر ، وجيوش العبيد والبربر ، فانعقدت بحمد الله مؤسسة على التقوى ، واشتد بها عضد الاسلام وتقوى ، بيعة تامة محكمة الشروط ، وفية العهود وثيقة الربوط ، جارية على سنن السنة والجماعة ، سالمة من كل كلفة ومشقة وتباعة ، رضى الكل بها وارتضاها ، وألزم حكمها بالسمع والطاعة وأمضاها ، شهد بذلك الحاضرون على أنفسهم طوعا ، وأدوا اليه تعالى ما وجب عليهم شرعا ، جعلها الله رحمة على الخلق ، وأقام بها فى البسيطة العدل والحق ، وأيد بعونه وتأييده وتوفيقه وتسديده من تلقاها بالقبول ، وأحيا به سنة سيدنا ومولانا الرسول صلى الله عليه وسلم ، وشرف وكرم ، فهنيئا لارضنا اذ ألقت مقاليدها الى من يحمى حماها ويحقن دماها ، ويكبت عداها ويدفع رداها ، وينصر الشريعة ويشيد مبناها ويعلن بحقيقة الحق ويوضح معناها ، نصره الله ونصر به ، وأمات البدع والضلالة بسببه ، ودمر به شيعة الجور والفساد ، وأبقى الخلافة فى بيته الى يوم التناد ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والراوين عنهم والمتلقين منهم آمين . وفى ثامن عشر رجب الفرد الحرام من ستة ومائتين وألف من هجرة المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، أفقر العبيد الى الله سبحانه عبد الله تعالى محمد التاودى بن الطالب ابن سودة المرى كان الله له وليا وبه حفيا ، أحمد بن التاودى المذكور ، أخذ الله بيده وكان له فى جميع الامور ، وأناله الثواب والاجور ، وعبد الله تعالى محمد بن عبد السلام الفاسى لطف الله به آمين .

وعبد القادر بن أحمد بن العربى بن شقرون أمنه الله بمنه آمين . ومحمد ابن أحمد بنيس كان الله له وليا ونصيرا آمين . وعبد ربه وأفقر عبيده اليه محمد بن عبد المجيد الفاسى لطف الله به . وعبد ربه سبحانه يحيى بن المهدى الشفشاونى الحسنى لطف الله به . وعبد ربه على بن ادريس كان الله له ولطف به آمين . وعبد ربه تعالى محمد بن ابراهيم لطف الله به . وعبد ربه سبحانه محمد بن مسعود الطرنباطى وفقه الله بمنه آمين . وعبد ربه سبحانه سليمان بن أحمد الشهير بالفشتالى كان الله له وأصلح حاله . وعبد ربه محمد الهادى بن زين العابدين العراقى الحسينى وفقه الله . وعبد ربه سبحانه محمد التهامى طاهر الحسنى وفقه الله آمين . وعبد الملك بن الحسن الفضيلى الحسنى لطف الله به آمين . وعبد ربه ادريس بن هاشم الحسنى الجوطى لطف الله به آمين ، انتهى .

× حرب السلطان المولى سليمان لاخيه المولى مسلمة وطرده الى بلاد المشرق

لما تمت بيعة السلطان المولى سليمان بن محمد رحمه الله بفاس باتفاق أهل الحل والعقد من الجند والعلماء والاشراف وسائر الاعيان ، تداعى أمر المولى مسلمة الى الاختلال ، وكان أول ما ابتدأ به عمله بعد تلك البيعة المستعجلة أن بعث جريدة من الخيل الى نظر القائد أبى عبد الله محمد الزعرى الى رباط الفتح ، وذلك باستدعاء محتسبها ابى الفضل العباس مرينو ، وأبى عبد الله محمد المكى بن العربى فرج من أهلها ، المنحرفين عن المولى سليمان الى التمسك بدعوة المولى مسلمة ، وكان أهل رباط الفتح يومئذ على فرقتين : فرقة دخلت فى طاعة المولى سليمان ، وفرقة أقامت بالتمسك ببيعة المولى مسلمة .

ولما اتصل بالمولى سليمان خبر مسير الزعرى الى رباط الفتح ، عقد لاخيه المولى الطيب على بنى حسن ، وبعثه فى اعتراضه ، فتوافى الجيشان معا برباط الفتح ، ووقعت الحرب فانهزم الزعرى وشيعته ، وقتل العباس مرينو وغر

المكى فرج الى الزاوية التهامية فاستجار بها ، وقبض المولى الطيب على الزعرى وجماعة من أصحابه ، ثم سرحه بأمر السلطان المولى سليمان ، واجتمعت كلمة أهل العدوتين على طاعته ، هكذا ساق صاحب البستان هذا الخبر ، وآل فرج يثبتونه ويقولون : ان أصل هذه الفتنة أن آل مرينو كانت لهم الوجاهة مع المولى يزيد رحمه الله فسعوا عنده بآل فرج وقالوا له : انهم تقاعدوا على مال الوزير أبى عبد الله محمد العربى قادوس الذى أمنه عندهم ، فبطش بهم المولى يزيد وصادرهم ، واستحكمت العداوة يومئذ بينهم وبين آل مرينو ، فلما توفى المولى يزيد بادر آل مرينو ومن لافهم الى بيعة المولى مسلمة ، وانحرف عنهم الى بيعة المولى سليمان من لم يكن من حزبهم ، ولما قتل العباس مرينو عمد أوباش رباط الفتح الى شلوه وربطوا فى رجله حبلا وجروه فى أسواق المدينة وعرضوه على حوانيتها حانوتا حانوتا اذ كان فى حياته محتسبا رحمه الله ، وكان السلطان المولى سليمان فى هذه المدة مقيما بفاس لم يتحرك منه، ثم أن المولى مسلمة صاحب بلاد الهبط بعث ولده الى آيت يمور وأمرهم أن يشنوا الغارة على أهل زرهون الذين هم فى طاعة السلطان ففعلوا وكثر عيثهم فى الرعايا ، فسار السلطان المولى سليمان الى مكناسة واستنفر جيش العبيد وقبائل البربر، ثم وافاه الودايا وأهل فاس وشراقة فاجتمع عليه الجم الغفير وصمد بهم الى آيت يمور فألفاهم على نهر سبو بالموضع المعروف بالحجر الواقف ، فصمدت اليهم العساكر وأوقعت بهم وقعة شنعاء وفر ولد المولى مسلمة فلحق بأبيه ، ولجأ آيت يمور بقضهم وقضيضهم الى جبل سلفات ، وبقيت حلتهم بماشيتها وأثاثها بيد السلطان فانتهبتها جيوشه من العبيد والودايا والبربر وبات السلطان هنالك ، ولما أصبح بعث اليه آيت يمور نساءهم وأولادهم للشفاعة وطلب العفو فعفا عنهم وثابوا اليه وبايعوه ، فأنعم عليهم بماشيتهم وزرعهم وعاد الى فاس ، ثم بلغه أن المولى مسلمة معسكر ببلاد الحياينة فنهض اليه من فاس فأوقع به ، فانهزم المولى مسلمة وجيشه ونهب جيش السلطان حلة الحياينة وجاءوا تائبين فعفا عنهم ونظمهم فى سلك الجماعة ، وتفرق عن المولى مسلمة كل من كان معه من عرب الخلط وأهل الجبل ، ولم يبق معه الا خاصته

واولاده وابن أخيه المولى حسن بن يزيد فسار الى جبل الزبيب فلم يقبلوه ، ثم انتقل الى الريف فأهملوه ، ثم صعد الى جبل بنى يزناسن فطردوه ، ثم توجه الى ندرومة فمنعه صاحبها من الوصول الى الباى صاحب الجزائر ، وكان ذلك عن أمر منه فتوجه إلى تلمسان وأقام بها .

قال صاحب البستان : وهناك اجتمعت به فى ضريح الشيخ أبى مدين بالعباد يعنى حين قدم تلمسان مفارقا للسلطان المولى سليمان ، وزعم أن المولى مسلمة لما اجتمع به لامه على تخذيل الناس عن بيعته ، وحضه اياهم على بيعة أخيه المولى سليمان ، قال : فبينت له حال المولى سليمان وما هو عليه من اتباع سيرة والده فى العدل والرفق بالرعية ، وبذلك أحبه الناس ، فلما سمع كلامى بكى واعترف بالحق وتلا قوله تعالى : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) ثم طلب من صاحب الجزائر أن يأذن له فى الذهاب الى المشرق والمرور بايالته فأبى ، وبعث من أزعجه من تلمسان الى سجلماسة .

ولما اتصل خبره بالسلطان المولى سليمان وانه عاد الى سجلماسة أرسل اليه مالا وكسى وعين له قصبة ينزلها ورتب له ما يكفيه فى كل شهر كسائر اخوته فلم يطب له مقام بها وسار الى المشرق فاجتاز فى طريقه بصاحب تونس الامير حموده باشا ابن على باى

قال صاحب الخلاصة النقية : قدم المولى مسلمة بن محمد على الامير حمودة باشا شريدا اثر خلعه من مملكة فاس ، فأنزله أسنى منزلة ، وأجرى عليه جراية سلطانية وبالغ فى بره اه ، ثم أن المولى مسلمة سافر الى المشرق فأقام بمصر مدة ، ثم توجه الى مكة فنزل على سلطانها صهره على أخته فأكرمه، ورتب له جراية ثم عاد من مكة الى مصر ، وساءت حاله فى هذه المدة وضاقت عليه الارض بما رحبت ، فرجع الى تونس ونزل على حمودة باشا المذكور فعاود اكرامه، ثم طلب منه أن يشفع له عند أخيه المولى سليمان فكتب له بذلك فأخذ كتابه وانحدر إلى وهران ، وطلب من أميرها الشفاعة أيضا فكتب له ، وبعث بمكاتيب الاميرين الى السلطان المولى سليمان فقبله ، وأمره أن يذهب الى سجلماسة ينزل بها بدار والده ، ويرتب له ما يكفيه من مؤنة وكسوة .

ويقاسمه نعمته ، ويبقى بعيدا عن سماسرة الفتن حتى لا يجدوا سبيلا الى ايقاد نار الفتنة ، فلما بلغه جواب أخيه لم يرض ذلك وعاد الى المشرق فبقى يتردد به الى أن وافته منيته واستراح من تعب الدنيا رحمه الله

نهب عرب انقاد لركب حاج المغرب وما نشأ عن ذلك

ثم بلغ السلطان المولى سليمان رحمه الله أن جماعة من التجار والحجاج الذين قدموا من المشرق خرجوا من وجدة متوجهين الى فاس ، فلما توسطوا أرض آنقاد عدت عليهم عربها فنهبتهم ، فاستدعى السلطان رحمه الله الكاتب أبا القاسم الصياني وأمره بالمسير الى وجدة ، يكون واليا بها ويصلح ما فسد من أعمالها ، فكره الصياني ذلك واستقال فلم يقله السلطان ، وعزم عليه فى المسير اليها وعين له مائة فارس تذهب معه فامتثل راغما ، وأضمر انه ان فارق السلطان يذهب الى أحد الحرمين الشريفين فيقيم به بقية عمره ، وجمع موجوده وخرج ، فخرج معه قفل التجار الذى كان محصورا بفاس ولما توسطوا أرض آنكاد وجدوا العرب فى انتظارهم فثاروا بهم وقاتلوهم فتماسكت خيل السلطان هنيئة ثم كثرهم العرب فهزموهم ، ولم يبق من تلك الخيل الا قائدها فى عشرة من اخوانه ، وانتهبت العرب ما كان فى ذلك القفل من أمتعة التجار وسلعها ولم ينج من نجا منه الا بنفسه ، قال الصياني : فلجأنا الى قصبة العيون وتفرق جمعنا وقتل منا سبعة نفر ، وجرح آخرون ، فبعثت من أتانا بالقتلى فدفناهم ثم سرحت قائد الخيل الى وجدة مع بعض العرب الذين هنالك ، وطلعت أنا مع برابرة بنى يزناسن وليس معى الا مركوبى وفرس آخر كان عليه مملوك لى قتل فى المعركة ، قال : ثم خلصت الى وهران فنزلت عند الباى محمد باشا فأظهر التأسف والتوجع وراودنى على المقام فأبيت ، ثم ذكر الصيانى أنه بعد هذا ذهب الى تلمسان ، واجتمع هنالك بالمولى مسلمة بن محمد وتلاوما

وتعاتبا حسبما ذكرناه آنفا ، وكان ذلك أواخر سنة ست ومائتين وألف

بعث السلطان المولى سليمان الجيوش الى الحوز ونهوضه على اثرها الى رباط الفتح وعوده الى فاس

قد قدمنا أن أهل مراكش وقبائل الحوز كانوا متمسكين بدعوة المولى هشام بن محمد من لدن دولة المولى يزيد رحمه الله ، ولما صفت بلاد الغرب للسلطان المولى سليمان رحمه الله تاقت نفسه الى تمهيد بلاد الحوز والاستيلاء عليها ، فعقد لاخيه المولى الطيب بن محمد على عشرة آلاف من الخيل وعين معه جماعة من قواد الجيش وبعثهم الى قبائل الشاوية ، وذلك أواخر سنة سبع ومائتين وألف ، ثم زحف السلطان على اثرهم الى رباط الفتح فمحا بقية آثار الفتنة التى نشأت بها وأقام ينتظر ما يكون من أمر أخيه .

وفى سادس شوال من السنة صلى السلطان الجمعة بمسجد القصبة منها، وكان هو الامام ، وخطب خطبة بليغة تشتمل على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والتحذير من الحرام ، واجتناب الآثام ، ووعد وأوعد ، وقال فى آخر خطبته : وانصر اللهم جيوش المسلمين وعساكرهم ، ودعا لكافة الامة ، وصلى فى الركعة الاولى بسورة الجمعة ، وفى الثانية بسورة الغاشية الخ . ولما قدم المولى الطيب بلاد الشاوية تنافس قواد الجيش الذين معه وتنازعوا الرياسة وصار كل واحد منهم يرى أنه صاحب الامر ، وكان من أعظمهم تهورا القائد الغنيمى ، كان من قواد المولى يزيد رحمه الله فأبقاه المولى سليمان على رياسته تألفا له فاستبد على سائر القواد فى الرأى ، اذ كان رديف الخليفة المولى الطيب وصاحب مشورته، فلما كان وقت اللقاء تخاذلوا عنه وجروا عليه الهزيمة وتركوا أخبيتهم وأثاثهم بيد العدو ورجعوا مفلولين

الى السلطان برباط الفتح وهم عشرة آلاف فارس كما مر ، ثما وسع السلطان رحمه الله الا الرجوع بهم الى فاس لتجديد آلة السفر والغزو ثانيا واخلاف ما ضاع من الاخبية والسلاح والاثاث حسبما يذكر بعد ان شاء الله .

ثورة محمد بن عبد السلام الخمسى المعروف بزيطان بالجبل

لما كانت سنة ثمان ومائتين وألف ثار بقبيلة الاخماس من جبال غمارة رجل من طلبتها يقال له محمد بن عبد السلام ويدعى زيطان ، فاجتمعت عليه سماسرة الفتن من كل قبيلة وكثر تابعوه ، وكان السبب في ثورته ان القائد قاسما الصريدى كان واليا بتلك الناحية أيام المولى يزيد رحمه الله ، فلما بويع المولى سليمان ولى على تلك الناحية القائد الغنيمى المتقدم الذكر ، وكان عسوفا فيما قيل فقبض على القائد قاسم واستصفى أمواله وبث عليه العذاب كى يظهر ما بقى عنده حتى هلك فى العذاب ، فثار زيطان واجتمعت عليه الغوغاء من أهل تلك البلاد ، ولما شرى داؤه بعث السلطان بجيش الى القائد الغنيمى وأمره أن يقصد زيطان وجمعه فزحف اليه ببلاد غصاوة قرب وازان وأوغل فى طلبه فنهاه من معه من رؤساء الجيش عن التورط بالناس فى تلك الجبال والشعاب ، فلج واقتحمها بخيله ورامبته ، ولما توسطها سالت عليه الشعاب بالرماة من كل جانب وهاجت الحرب واحاط العدو بالجيش فقتلوا منهم وسلبوا كيف شاءوا وردوهم على أعقابهم منهزمين ، ولما اتصل خبر الهزيمة بالسلطان اغتاظ وقبض على الغنيمى ، ومكن منه أولاد قاسم الصريدى فباشروا قتله بأيديهم واقتصوا منه بأبيهم ، وولى على قبائل الجبل أخاه المولى الطيب وفوض اليه أمر الثغور ، وأنزله طنجة ، وبقى المولى الطيب يدبر أمر القبائل الجبلية

وثغورها من تطاوين الى طنجة الى العرائش ، وكلما بدت له فرجة سدها أو فرصة انتهزها ، وحارب قبائل الفحص الى أن استكانوا وانقادوا الى الطاعة ، ثم حارب أهل حوز طنجة وآصيلا من بنى يدير ، والاخماس من أصحاب زيطان ، فكانت الحرب بينهم سجالا .

ثم لما دخلت سنة تسع ومائتين والف أمد السلطان أخاه المولى الطيب بجيش وافاه بطنجة فخرج منها ومعه عسكرها وعسكر العرائش ، وصمد الى بنى جرفط عش الفساد ، ونزل على بلادهم وقاتلهم فى عقر ديارهم فقتل مقاتلتهم ، وأحرق مداشرهم ، وانتهب أموالهم ومزقهم كل ممزق ، فجاءوه خاضعين تائبين فعفا عنهم ، ثم تقدم الى بنى حرشن من بنى يدير على تفيئة ذلك ففر الثائر زيطان الى قبيلته بالاخماس وتسللت عنه القبائل التى كانت ملتفة عليه واستنزله المولى الطيب بالامان فظفر به وبعث به الى السلطان فأمضى له أمانه وولاه على قبيلته ، وصار من جملة خدام الدولة ونصحائها الى أن ملكت زمامها وتعين غيره للقيام بأمرها ، فأخر ونقله السلطان الى تطاوين فسكنها ورتب له بها ما يكفيه وبقى الى أواخر دولة السلطان المولى سليمان ، ولما خرج عليه المولى ابراهيم بن يزيد ودخل تطاوين كانت لزيطان هذا فى التمسك بدعوة السلطان اليد البيضاء ، وأغنى غناء جميلا فى تثبيت تلك القبائل وتسكينها ، ثم وفد على السلطان بطنجة سنة ست وثلاثين ومائتين والف وقد طعن فى السن فأحسن اليه غاية الاحسان ، والى الان لا زال أهل الاخماس يستنصرون بحفدته ويعتقدون فيهم ما تعتقده آيت ومالو فى آل مهاوش ، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وفى ذى الحجة من هذه السنة أعنى سنة تسع ومائتين وألف توفى العلامة الامام السيد التاودى بن سودة المرى الفاسى صاحب الحاشية على البخارى ، والحاشية على شرح الشيخ عبد الباقى الزرقانى على المختصر ، وشرح العاصمية ، والزقاقية ، وغير ذلك من التآليف المفيدة ، وكان رحمه الله خاتمة الشيوخ بفاس ، ومناقبه شهيرة .

اخبار المولى هشام بن محمد بمراكش والحوز وما يتصل بذلك

قد قدمنا أن أهل مراكش وقبائل الحوز كانوا قد خرجوا على السلطان المولى يزيد وبايعوا أخاه المولى هشام بن محمد ، ولما قتل المولى يزيد بمراكش ، استقرت قدم المولى هشام بها ، وأطاعته قبائل الحوز كلها ، وكان وزيراه القائمان بأمره صاحب آسفي القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدى ، وكان غاية في الجود وبسط الكف ، وصاحب دكالة والحوز القائد محمد الهاشمى بن العروسى ، وكان ذا شوكة بعصبيته وقومه ، فكان هذان القائدان اليهما النقض والابرام فى دولة المولى هشام هذا بكثرة ماله وعطائه ، وهذا بعصبيته وشدة شوكته ، فدانت للمولى هشام قبائل دكالة وعبدة وأحمر والشياظمة وحاحة وغير ذلك ، واستمر الحال على ذلك برهة من الدهر الى أن افترقت عليه كلمة الرحامنة وتجنوا عليه بأنه قتل عاملهم القائد أبا محمد عبد الله بن محمد الرحمانى غيلة على أنه كان مدبر دولته والقائم بأمره .

قال أكنسوس : هكذا شاع أن المولى هشاما هو الذى أمر بقتل عبد الله الرحمانى ، وابن الداودى ، قال : والذى تحدث به السلطان المولى سليمان مع بعض الناس هو أن الفرقة المنحرفة من الرحامنة قتلوه ، وأظهروا أن المولى هشاما هو الذى دس اليهم بذلك ، وكذلك أمر ابن الداودى والله أعلم ، ولما قتل القائد عبد الله خلعت الرحامنة طاعة المولى هشام وبايعت أخاه المولى حسين بن محمد ، وزحفوا به الى مراكش ، فلم يرع المولى هشاما الا طبولهم تقرع حول القصبة وأرهقوه وأعجلوه عن ركوب فرسه ، فخرج يسعى على قدميه الى أن أتى ضريح الشيخ أبى العباس السبتى ، فعاذ به وثابت اليه نفسه ، وبعد أيام تسلل وسار فى جماعة من حاشيته الىآسفى ، ونزل على وزيره القائد عبد الرحمن بن ناصر فأكرم مثواه ، وأحسن نزله ، وغدا وراح فى طاعته ومرضاته ، ودخل المولى

حسين قصر الخلافة بمراكش فاستولى على ما فيه من الذخيرة والاثاث من متاع المولى هشام ومتخلف المولى يزيد ، فاضطر أهل مراكش حينئذ الى مبايعة المولى حسين والخطبة به وكان ذلك سنة تسع ومائتين وألف ، وافترقت الكلمة بالحوز ، فكان بعضه كعبدة وأحمر ودكالة مع المولى هشام، وبعضه مثل الرحامنة وسائر قبائل حوز مراكش مع المولى حسين ، واتقدت نار الفتنة بين هؤلاء القبائل وتفانوا فى الحروب الى أن بلغ عدد القتلى بينهم أكثر من عشرين ألفا ، هذا كله والسلطان المولى سليمان مقيم بفاس معرض عن الحوز ومتربصين بأهله الدوائر الى أن ملوا الحرب وملتهم ، وكان ذلك من سعادته فصاروا يتسللون اليه ارسالا ويسألونه الذهاب الى بلادهم ليعطوه صفقة بيعتهم ، فكان يعدهم بذلك ويقول : اذا فرغت من أمر الشاوية قدمت عليكم ان شاء الله .

ثورة المولى عبد الملك بن ادريس بآنفا والسبب فى ذلك

كانت قبائل الشاوية منذ هزموا جيش المولى الطيب بن محمد وهم حذرون من سطوة السلطان ، عالمون بأنه غير تاركهم فعزموا على تلافى أمرهم عنده ، وأوفدوا عليه جماعات من أعيانهم المرة بعد المرة يسألونه أن يولى عليهم رجلا يكونون عند نظره ويقفون عند أمره ونهيه ، فولى عليهم ابن عمه وصهره على أخته المولى عبد الملك بن ادريس بن المنتصر ، ووجهه معهم فقدم المولى عبد الملك أرض تامسنا ، ونزل بمدينة آنفا وهى المسماة اليوم بالدار البيضاء ، وتولى القيام على مستفاد مرساها وصار يسهم فيه لاعيان الشاوية الذين معه، وكان قصده بذلك أن يتألفهم على الطاعة والخدمة، فلما حصل لهم ذلك السهم من المال تطاولوا الى الزيادة عليه ، وقد قيل فى المثل قديما « لا تطعم العبد الكراع فيطمع فى الذراع» فصار المولى عبد الملك يقاسمهم المستفاد شق الابلمة ، فلما بلغ السلطان ذلك كتب اليه

يعاتبه على فعله ، ثم نهض على تفئة ذلك من فاس يريد تامسنا اذ لم يشف المولى عبد الملك الغليل فى ضبطها ، فلما بلغ كتاب السلطان المولى عبد الملك أنف من ذلك العتاب ، وكانت له وجاهة عند السلطان الاعظم سيدى محمد بن عبد الله ، وكان من كبار بنى عمه وخواص قرابته ، ثم اتصل به الخبر بخروج السلطان من فاس ، فطارت نفسه شعاعا واستشار بطانته من الشاوية فقال لهم : ان هذا الرجل قادم علينا لا محالة وليس له قصد الا أنا وأنتم فما الرأى ؟ قالوا : الرأى أن نبايعك ونحاربه ، قال : ذلك الذى أريد ،فبايعوه ، ولما انفصل السلطان عن رباط الفتح بعث فى مقدمته أخاه وخليفته المولى الطيب ، وعقد له على كتيبة من الخيل وتبعه السلطان على أثره ، ولما بات بقنطرة الحلاج جاءه الخبر بأن قبائل الشاوية قد بايعوا المولى عبد الملك بن ادريس ، واتصل بالمولى عبد الملك وهو بآنفا أن السلطان بائت بالقنطرة فتضاعف خوفه وفر فيمن بايعوه من أهل الشاوية وأخلى مدينة آنفا من خيله ورجله ، ففرح أهلها بخروجه من بين أظهرهم لئلا يعديهم جربه ، وبادروا باخراج المدافع ليلا اعلاما للسلطان بفراره ، ثم أنفذوا اليه رسلهم بجلية الخبر فهش لهم السلطان وبعث معهم كتيبة من الخيل تقيم بآنفا ، وتقدم هو بالعساكر الى قصبة على ابن الحسن فأغار على حلة مديونة وزناتة فنهبها ، وامتلات أيدى الجيش وأوغل المولى عبد الملك فى الفرار الى جهة أم الربيع ، وعاد السلطان بالنعم والماشية الى رباط الفتح فدخلها مؤيدا منصورا ، ونقل تجار النصارى الذين كانوا بآنفا الى رباط الفتح وأبطل مرساها ، واستمرت معطلة الى دولة السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام فأحياها كما سياتى ان شاء الله ، ثم ارتحل السلطان المولى سليمان الى مكناسة فاحتل بها وقال فى ذلك العلامة الاديب أبو محمد عبد القادر بن شقرون :

مولاى أنت الذى صفت مشاربه * ان تغز ناحية أوليتها جلدك
هذى البشائر وافت وهى قائلة :* أعوذ بالله من شر الذى حسدك
فاصعد على منبر الاقبال معتليا * فالسعد أنجز ما كان به وعدك

وانهض الى غاية الآمال تدركها * فالآن قالت لك العلياء: هات يدك
ولا تخف أبدا مـن سوء عاقبة * فليس يفلح من بالسوء قد قصدك
ألبسك الملـك العميم نائلــه * من الرضى حللا قوى بهـا مددك
فضلا من الحكم الترضى حكومته * جعلها كالشجا فى حلق من جحدك
فاشكر صنيع الذى أولاك مكرمة * تنل رضاه وتبلـغ بالرضى رشدك

قدوم عرب الرحامنة على السلطان المولى سليمان ومسيره الى مراكش واستيلاؤه عليها

قد قدمنا أن أهل الحوز افترقت كلمتهم عـلى قسمين : فبعضهم بايـع المولى حسين بن محمد ، وبعضهم أقام على بيعة أخيـه المولى هشام ، وأنـه نشأ عن ذلك حروب تفانى فيها الخلق .

فلما كانت سنة عشر ومائتين وألف قدم على السلطان بمكناسة جماعة من أعيان الرحامنة مبايعين له وسائلين له المسير معهم الى بلادهـم لتجتمع كلمتهم عليه ، فوعدهم بأنه اذا فرغ من أمر الشاويـة ومهد طريقه بها الى الحوز سار اليهم ، ثم قوى عزمه رحمه الله فخرج فى العساكر من مكناسة وقصد تامسنا ، فلما احتل بها قدم عليه أولاد أبى رزق وفر أولاد أبى عطية وأولاد حريز الذين عندهم المولى عبد الملك بن ادريس ، ولجأوا الى وادى أم الربيع فقصدهم السلطان هنالك وأوقع بهم ، وفر المولى عبد الملـك الى أخواله بالسوس فأقام عندهم الى أن شفع فيه أخوالسلطان المولى عبد السلام ابن محمد ، وأخته المولاة صفية ، وكانت زوجـة المولى عبد الملك ، فقبـل السلطان شفاعتهما فعفا عنه وعـاد الى فـاس واطمأن جنبه ، وأمـا الشاوية فانهم قدموا على السلطان تائبـين خاضعين فعفا عنهم وولى عليهـم الاستـاذ الغازى بن المدنى المزمرى ، فصلحت الاحوال على يده ، ورجع السلطان الى

فاس مظفرا منصورا فأقام بها الى أن دخلت سنة احدى عشرة ومائتين وألف فتهيأ للغزو وخرج الى بلاد دكالة فاستولى عليها وعلى مدينة آزمور وتيط ، وبايعه أهل تلك الناحية وقدم عليه أعيان دكالة تائبين وخرجوا من زمرة عبدة وسلطانهم المولى هشام وانتظموا في سلك الجماعة ، وهناك قدم عليه اعيان الرحامنة ثانية ببيعتهم فأكرم مقدمهم ، وزحف الى مراكش وهم في ركابه ، فلما شارفها فر عنها سلطانها المولى حسين الى زاوية المولى ابراهيم ابن أحمد الامغارى بالجبل ، فدخل السلطان المولى سليمان الى مراكش واستولى عليها وبايعه أهلها وقدم عليه بها قبائل الحوز والدير وقبائل حاحة والسوس بهداياهم مغتبطين ، فسر بهم وأكرمهم وأصلح بين قبائل الحوز وجمع كلمتهم وأهدر دماءهم ومهد بلادهم ورتب حاميتها وأنزل بقصبة مراكش أهل الحوز الذين كانوا بها أيام والده ، ورتب لهم الجرايات وأمر بألف من عبيد السوس يأتون لسكنى القصبة واستقامت الامور

دخول آسفي وصاحبها القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدي في طاعة السلطان المولى سليمان رحمه الله

كان عبد الرحمن بن ناصر هذا على ما وصفناه قبل من الوجاهة ونفوذ الكلمة بآسفي وأعمالها ، وكان مستوليا على جباية مرساها وخلد بها آثارا مثل الدار الكبرى التي على شاطىء البحر ، ومسجد الزاوية وغير ذلك ، وكان جوادا بالعطاء ، ولما استولى السلطان المولى سليمان رحمه الله على مراكش بعث اليه كاتبه أبا عبد الله محمد بن عثمان المكناسي ليأتيه به أو يأذن بحربه ، ولما وصل الكاتب المذكور اليه بآسفي ألفاه مريضا فاعتذر عن القدوم على السلطان بالمرض وكتب بيعته وأدى طاعته ، وانتقل المولى هشام عنه الى زاوية الشرابى فأقام بها فبعث اليه السلطان من أمنه وجاء به

اليه فلقاه مبرة وتكرمة وقدم اليه المراكب والكسى وأنزله بدار أخيه المولى المأمون ريثما استراح ثم بعثه الى رباط الفتح فاستوطنها ، ورتب له من الجراية ما يكفيه ، ولما قدم الكاتب ابن عثمان على السلطان ببيعة عبد الرحمن ابن ناصر واعتذر له عنه بالمرض قبل ظاهر عذره وأرجأ أمره الى يوم ما

وحكى صاحب الجيش : أن المولى هشاما لما قدم على السلطان بمراكش ونزل بدار أخيه المولى المأمون أتاه السلطان بعد ثلاث الى منزله راجلا لقرب المسافة ، ولما التقيا تعانقا وتراحما ، ثم جاء معه المولى هشام حتى دخل بستان النيل من باب الرئيس ونصب له السلطان كرسيا جلس عليه وجلس هو أمامه اعظاما له لكونه أسن منه ، ثم صار يستدعيه صباحا ومساء فيجلسان ويتحدثان ، ثم يفترقان ، وكان لا يتغدى ولا يتعشى الا وهو معه ، وكلما دخل عليه رفع مجلسه وأجله ، واذا ذكره لا يذكره الا بلفظ الاخوة بان يقول أخي مولاى هشام دون سائر بنى أبيه ، ولما طلب المولى هشام منه السكنى برباط الفتح أجابه اليها وقضى مآربه وأزاح علله ، ثم عاد الى مراكش فكانت منيته بها كما نذكره

دخول الصويرة واعمالها في طاعة السلطان المولى سليمان رحمه الله

كان من خبر دخول الصويرة وأعمالها فى طاعة السلطان المولى سليمان رحمه الله أن الحاج محمد بن عبد الصادق المسجينى وهو من عبيد الصويرة كان قد قدم من الحج عامئذ فمر على السلطان المولى سليمان وهو بالغرب فدخل عليه فولاه على الصويرة ، وكتب له العهد بذلك وأمره باخفائه حتى يختبر حال أهلها ويعلم أين هواهم ، اذ كان ذلك قبل أن يطأ السلطان بلاد الحوز ويستولى عليها ، وكانت الصويرة حينئذ من جملة النواحى التى الى نظر عبد الرحمن بن ناصر ومن فى حزبه وتحت غلبة حاحة وعصبيتها، وكان الوالى بها يومئذ القائد أبو مروان عبد الملك بن بيهى الحاحى وكانت

له نباهة وذكر في قبائل حاحة وما اتصل بها ، فقدم ابن عبد الصادق الصويرة على أنه قدم من حجه لا غير ، فأراح بمنزله ثلاثا ثم جاء الى باب القائد عبد الملك بن بيهى ، وأقام من جملة الاعوان في الخدمة المخزنية اذ تلك هي وظيفته ، وخف في خدمة القائد المذكور واعتمل في مرضاته وأظهر من النصح ما قدر عليه ، ولازم الباب ليلا ونهارا ، فكان عبد الملك لا يخرج الا ويجده قائما محتزما على الباب كما قال مسلم بن الوليد في فتى بني شيبان يزيد بن مزيد بن زائدة :

تراه في الامن في درع مضاعفة . لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

فلم يلبث أن حلي بعينيه وعظمت منزلته لديه ، فقدمه على الاعوان وعلى الحاشية حتى اتخذه صاحب رأيه وجعله عيبة سره ، وابن عبد الصادق في أثناء ذلك يحكم أمره مع اخوانه مسكينة وأهل آكادير سرا وأذنه صاغية لخبر السلطان متى يطأ بلاد الحوز ، فلما سمع بوصوله الى دكالة واستيلائه على آزمور وتيط أفضى بأمر ولايته الى خاصته وشيعته ، وواعدهم لمظاهرتهم اياه على أمره ليلة معلومة ، وعبد الملك لا علم له بما يراد به ، وكان ابن عبد الصادق فيما قيل قد أخذ عليه أنه اذا حدث أمر ولو ليلا يخرج اليه حتى يفاوضه فيما يكون عليه العمل ، فجاءه في تلك الليلة وقد هيأ جماعة من عبيد الصويرة الذين أعدهم للقيام معه وتركهم بحيث يسمعون كلامه اذا تكلم ، وقال لهم : اذا سمعتموني أكلمه وأراجعه في القول فبادروه واقبضوا عليه ، ثم تقدم واستأذن على عبد الملك فخرج اليه وبينما هو يكلمه أحاط به العبيد وقبضوا عليه وعلى جماعة من أصحابه من حاحة الذين كانوا يخدمونه ، ولم يملكو هم من أنفسهم شيئا حتى أخرجوهم عن البلد في تلك الساعة ، ودفعوا لعبد الملك فرسه وأغلقوا الباب خلفه ، وصفا لهم أمر البلد ، ومن الغد جمع ابن عبد الصادق أهل الصويرة وقرأ عليهم كتاب السلطان بولايته عليهم فأذعنوا وأجابوا ، ولم يرق فيها محجمة دم ، ثم ورد الخبر عقب ذلك بدخول السلطان الى مراكش واستيلائه عليها ، وبها تم له أمر المغرب وصفا له ملكه ، ولم يبق له فيها

منازع ، وذلك بعد مضى خمس سنين من ولايته رحمه الله ، ثم انه استخلف أخاه المولى الطيب نائبا عنه بمراكش وقفل الى فاس من عامه ، فمر على طريق تادلا وأمر عاملها القائد عبد الملك أن يغير على بنى زمور وينهب أموالهم ويقبض على مقاتلتهم ويلقاه بهم الى الصخرة ، فركب القائد عبد الملك فى الجيش الذى كان معه واحتال عليهم بأن أرسل اليهم بالقدوم عليه فرسانا ، فلما قدموا عليه أمر بالقبض عليهم وشدهم وثاقا وحاز خيلهم وسلاحهم ثم أغار على حلتهم فنهبها وقدم على السلطان بمالهم ورقابهم ، وكانوا مائتى رجل بالتثنية ، فبعث بهم السلطان الى مكناسة فسجنوا بها حتى صلحت أحوالهم بعد ذلك وسرحهم .

استرجاع السلطان المولى سليمان مدينة وجدة وأعمالها من يد الترك

وفى هذه السنة أعنى سنة احدى عشرة ومائتين والف بعث السلطان المولى سليمان بالعساكر من فاس الى وجدة فعقد على الودايا للقائد أبى السرور عياد بن ابى شفرة ، وعلى شراقة للقائد محمد بن خدة ، وعلى الاحلاف للقائد عبد الله بن الخضر ، وأمرهم أن يأتوا أرض وجدة ويدوخوها ويقاتلوا الترك الذين استحوذوا عليها ومانعوا دونها ، وكتب مع ذلك الى الباى محمد باشا فى أن يتخلى عنها وعن قبائلها التى كان يتصرف فيها أيام الفترة ، أو يأذن بالحرب فامتثل الباى محمد ذلك ولم يمانع ، بل كتب الى نائبه بها أن يتركها لاربابها ويتخلى عن قبائل بنى يزناسن وسقونة والمهاية واولاد زكرى وأولاد على ورأس العين فامتثل ، ودخل جيش السلطان لوجدة وجبى عامله زكواتها وأعشارها واستخلف نائبه بها ، وقفل بالعساكر على السلطان وهو بفاس ، وقد تمهد الملك ووشجت عروقه وألقى السعد بجرانه والحمد لله .

وفى هذه السنة قدم الشيخ الفقيه المتصوف أبو العباس أحمد التجانى

الى فس فاستوطنها ، وكان الباى محمد بن عثمان صاحب وهران قد أزعجه من تلمسان الى قرية أبى صمغون فأقام بها وأقبل أهلها عليه ، ثم لما مات الباى المذكور وولى بعده ابنه عثمان بن محمد سعى عنده بالشيخ التجانى فبعث الى أهل أبى صمغون وتهددهم ليخرجوه ، ولما سمع بذلك الشيخ المذكور خرج مع بعض تلامذته وأولاده وسلك طريق الصحراء حتى احتل بفاس ، ولما دخلها بعث رسوله بكتابه الى أمير المؤمنين المولى سليمان يعلمه بأنه هاجر اليه من جور الترك وظلمهم ، واستجار منهم بأهل البيت الكريم فقبله السلطان وأذن له فى الدخول عليه والحضور بمجلسه ، ولما اجتمع به ورأى سمته ومشاركته فى العلوم أقبل عليه واعتقده وأعطاه دارا معتبرة من دوره كان أنفق فى عمارتها نحوا من عشرين ألف مثقال ، ورتب له ما يكفيه ، وأقبل عليه الخلق واشتهر أمره بفاس والمغرب ، وهو شيخ الطائفة التجانية رحمه الله ونفعنا به .

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف فيها خرج السلطان فى العساكر من مكناسة يريد عبد الرحمن بن ناصر بآسفى وعزم على حربه الا أن يؤدى الطاعة هو وقبيله مباشرة طوعا أو كرها ، ولما عبر وادى أم الربيع قدم اليه القائد أبو السرور عياد بن أبى شفرة فى جيش الودايا وقال له : اذا قدمت عليه فازعجه للمجيء ، فان قدم فأقم أنت بآسفى ، وان امتنع من المجيء فاكتب الى وأقم هنالك حتى أقدم عليك . فلما وصل اليه القائد عياد لم يسعه الا المجيء لملاقاة السلطان ، فجاء وهو مريض فى محفته ومعه جموعه وقبائله حتى اجتمع بالسلطان بالموضع المعروف بمائة بير وبير بين عبدة ودكالة ، فبايعه مباشرة وأدى الطاعة هو واخوانه مباشرة كما اقترح السلطان ، وتحقق بأن تأخره انما كان للمرض الذى به ، فوفى له السلطان بعهده ، وزاد فى كرامته بوصوله معه الى آسفى ودخوله الى داره بعد تثبيط رؤساء الجيش له عن الدخول معه ، ثم عقد له على قبائله وأمره بقبض الواجب منهم ، زاد صاحب الجيش وشكره على ايوائه لاخيه المولى هشام ، ثم سار السلطان الى مراكش فدخلها مظفرا منصورا .

وفى هذه السنة حدث الوباء ببلاد المغرب وعم حاضره وبواديه ، ولما فشا بمراكش وأعمالها رجع السلطان الى مكناسة وترك أخاه المولى الطيب نائبا عنه بها ، فبلغه أثناء الطريق وفاة كاتبه أبى عبدالله محمد بن عثمان تركه بمراكش مصابا بالوباء .

قال صاحب البستان : فلما وصل السلطان الى مكناسة استقدمنى من فاس فقدمت عليه وقلدنى كتابته بعد أن أخرنى عنها سنة ، وفى أثناء ذلك بلغه وفاة اخوته الاربعة خليفته المولى الطيب والمولى هشام والمولى حسين والمولى عبد الرحمن بالوباء ، الثلاثة الاول بمراكش والرابع بالسوس ، ودفن المولى هشام والمولى حسين بقبة الى جنب الشيخ الجزولى رضى الله عنه ، وقبرهما مشهور بمراكش .

قال صاحب البستان : فبعثنى السلطان الى مراكش لآتيه بمتخلف اخوته الذين هلكوا بها ومتخلف الكاتب ابن عثمان ، وبعث معى خيلا وبغالا لاحمل المتخلف المذكور والوباء لا زال لم ينقطع ، قال : فوصلت الى مراكش وجمعت المتخلف ورجعت به الى فاس وقد ارتفع الوباء ، وازدهت الدنيا ، ودرت ألبان الجباية للسلطان ، وفى هذه المدة قدم على حضرة السلطان باشدور الاصبنيول فعقد معه شروط المهادنة ، وكان الذى تولى عقدها معه الكاتب ابن عثمان المكناسى قبل وفاته بيسير ، وهى ثمانية وثلاثون شرطا مرجعها الى الصلح والامان من الجانبين ، الا أنها أشد بيسير من الشروط التى انعقدت مع السلطان المرحوم سيدى محمد رحمه الله ، من ذلك أن شروط سيدى محمد كانت تتضمن أنه اذا تشاجر مسلم ونصرانى فالذى يفصل بينهما هو الحاكم الا أن القنصل يحضر وقت الفصل عسى أن يدفع عن ابن جنسه بحجة ان كانت ، وصارت شروط السلطان المولى سليمان تتضمن أن كل واحد منهما يتولى أخذ الحق منه حاكمه ويدفعه لخصمه ، واذا فر نصرانى من سبتة أو مليلية أو نكور أو بادس وأراد اسلاما فلا بد من حضور القنصل ان كان ، والا فالعدول يسمعون منه ثم شأنه وما يريد .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف فيها وجه السلطان كاتبه أبا عبد الله محمد الرهوني لجمع أموال المنقطعين ، فجمع منها ما قدر عليه وعاد سالما معافى

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين وألف فيها أرسل السلطان كاتبه المذكور عاملا على السوس ، ومعه طائفة من الجند ، فجبى قبائله ورجع وأحبه أهل السوس لحسن سيرته ولين جانبه ، وفي هذه السنة في اليوم الثامن من ربيع الثاني منها توفي الفقيه العلامة الماهر أبو عبد الله محمد المير السلاوي ، وكان من أهل المشاركة والتحقيق والخط الحسن رحمه الله .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين وألف فيها بعث السلطان العساكر لبرابرة آيت ومالو وعقد عليها للكاتب أبي عبد الله الحكماوي ، وبعث معه جماعة من قواد الجيش وقواد القبائل فلم يرضوا امارته عليهم ، اذ كلهم كانوا أسن منه وفيهم من هو أعرف بأحوال البربر ومكايدهم ، فخذلوه وقت اللقاء وجروا عليه الهزيمة واستولى البربر على أثاثهم ومدافعهم وجردوا الكثير منهم وقبضوا على الكاتب حتى أجاره بعض البربر فابقوا عليه الى أن بعثوا به الى السلطان .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين وألف فيها بعث السلطان الجيش الى بلاد درعة مع كاتبه أبي العباس أحمد آشقراس فدخلها واستولى على قصورها المغصوبة ، وأخرج منها العرب والبربر وجبى أموالها ومهد نواحيها وأمن سبلها حتى صار ما بين السوس ودرعة والفائجة مجالا للتجارة ، وممرا لابناء السبيل يغدون به ويروحون آمنين على أموالهم وأنفسهم .

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائتين وألف فيها بعث السلطان العساكر الى بلاد الريف مع أخيه المولى عبد القادر ، والقائد محمد بن خدة الشرقي وقائد العسكر أحمد بن العربي ، فجبى قبائل الريف من قلعية وكبدانة وغيرهما عن ثلاث سنين سلفت ، ولما رجعت العساكر أغارت على المطالسة وبني أبي يحيى بكسر الياء الاخيرة فاستاقوا ماشيتهم وسبيهم وقدموا بهما

على السلطان فسرح السلطان السبى .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين وألف فيها أغار آيت ادراسن على رفاق تافيلالت بطريق ملوية ونهبوا بعض القفل ، وذلك بسبب أن السلطان كان قد قبض على محمد بن محمد واعزيز وسجنه بالجزيرة ، وولى عليهم أخاه أبا عزة بن محمد واعزيز فلم يقبلوه ، وجمعوا كلمتهم على ابن عمه أبى عزة بن ناصر ، وكان منحرفا عن السلطان ومفارقا له فولوه أمرهم ، ولما رأى السلطان اعوجاجهم سرح لهم محمدا واعزيز وولاه عليهم وأمره بالقبض على أبى عزة بن ناصر فأبى ، فغضب السلطان عليه ثانية وهم به ففر محمد واعزيز وكشف وجه العصيان ، فنهض حينئذ الى آيت ادراسن فى العساكر وأرسل الى قبائل آيت ومالو أن يأتوهم من خلفهم ، وتقدم هو حتى نزل بقرب آعليل ووقعت الحرب ، فنصر الله السلطان وانهزم آيت ادراسن ونهبت مواشيهم ، واحتوى البربر على حللهم وفر أولاد واعزيز الثلاثة برؤوسهم لآيت ومالو ، وشرعت العساكر فى اخراج زروعهم الى أن استصفوها ، وأمر السلطان بهدم قصورهم فهدمت وأعطى كروان بلادهم ورجع الى فاس مظفرا منصورا ، ثم لم يقم بها الا يسيرا حتى خرج الى تازاوترك عامل فاس أبا العباس أحمد اليمورى ببلاد الحيأينة لقبض خراجهم ، ولما احتل بتازا جهز العساكر الى وجدة مع الشيخ عبد الله بن الخضر لجباية قبائلها ، وجهز جيشا آخر مع عامل سجلماسة أبى عبد الله محمد الصريدى فنزل ملوية وجبى قبائلها وطلع الى بلاد الصحراء مع أوديتها الى ناحية فجيج فجبى أموال تلك النواحى ، ثم توجه الى سجلماسة ففرق الجيش على أقاليم صحرائها درعة والفائجة وتدغة وفركلة وغريس وزيز والخندق ومدغرة والرتب فجبى أموال تلك القبائل كلها وقرر عماله ونوابه بكل اقليم منها ، ومهد طريق الصحراء ، ورجعت عساكره منصورة .

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين وألف فيها عزل السلطان القائد أبا العباس أحمد اليمورى عن فاس وولى عليها صهره المولى حبيب بن عبد

الهادى ، فقام بها أحسن قيام ، وكان ذا عقل ومروءة وسمت ودهاء ، وفيها توجه السلطان فى العساكر الى مراكش ، ولما احتل بهـا بعث جيشا الى السوس لنظر الكاتب أبى عبد الله الرهونى ، وبعث جيشا آخر الى عامل حاحة لنظر أبى العباس أحمد اليمورى ، ثم خرج السلطـان فى جيش ثالث الى ثغر الصويرة لمشاهدتها والوقوف على آثار والده بها ، فانتهى اليها وأقام بها أياما ، وفـرق المال على جندها أحرارا وعبيدا ، ونظر فى أمور مرساها وأمر بأصلاح مالابد منه فيها ، وعاد الى الغرب مؤيدا منصورا

فتنة الفقير أبى محمد عبد القادر ابن الشريف الفليتى واستحواذه على تلمسان وبيعته للسلطان المولى سليمان والسبب فى ذلك

لما كانت سنة عشرين ومائتين وألف هاجت الفتنة بين عرب تلمسان والترك ، وكان السبب فى ذلك أن باى وهران كان له انحراف عن الفقراء والمنتسبين وسوء اعتقاد فيهم ، فقتل بعض الطائفة الدرقاوية وأمـر بالقبض على مقدمهم أبى محمد عبد القادر بن الشريف الفليتى تلميذ الشيخ الاكبر أبى عبد الله سيدى محمد العربى بن أحمد الدرقاوى شيخ الطائفة المذكورة ففر أبو محمد عبد القادر المذكـور الى الصحـراء ونزل بحلة الاحرار ، فاجتمع عليه أهل طائفته وامتعضوا لمن قتل منهم والنفى مقدمهـم عن وطنه وعشيرته ، وامتعضت لهم عشائرهم من قبائل العرب الذى هنالـك وزحفوا لحرب الترك على حين غفلة منهم فقتلوهم فى كل وجه

ولما دخل فصل الربيع من السنة المذكـورة بعث صاحب الجزائـر عسكرا الى باى وهران وأمره بغزو العرب ، فنهض اليهـم ووقعت الحرب بينه وبينهم ، فانهزم الترك ثانية ونهب العرب محلتهم وتبعوهم الى وهران فحاصروهم ، ولما منى الباى منهم بالداء العضال ، كتب الى السلطان المـولى

سليمان يعرفه بما دهاه منهم ويطلب منه أن يبعث اليهم شيخهم أبا عبد الله المذكور ليكفهم عنه ويراجعوا طاعة المخزن ، فبعث السلطان رحمه الله الشيخ المذكور ومعه الامين الحاج الطاهر بادو المكناسي ، فانتهى الشيخ الى ابن الشريف وهو فى جموعه بظاهر وهران فشكا الى الشيخ ما نال الفقراء والمنتسبين وسائر الرعية من عسف الترك وجورهم وانتهائهم فى ذلك الى القتل والطرد عن الوطن ، فتوقف الشيخ وربما صدر منه بعض تقبيح لفعل الترك وماهم عليه ، فازدادت العرب بذلك تظاهرا على الترك وتكالبا عليهم ، فاتهم الباى السلطان بأنه الذى يغريهم لانه كان ينتظر الفرج على يده ويرجو رقع الخرق من جهته فأخفق سعيه ، وحينئذ نصب مدافعه فى وجه جموع العرب وفرقهم بالكور والضوبلى فانهزموا عن وهران ، وأبعدوا المفر ، ثم تذامروا وتحالفوا وزحفوا الى تلمسان فنزلوا عليها وحاصروها ، وكان أهل تلمسان خصوصا وقبائلها عموما لهم التفات كبير الى السلطان المولى سليمان رحمه الله لما أكرمه الله به ممن شرف النسب وطيب المنبت ، ولما اشتهر عنه من العدل والرفق بالرعية والشفقة عليها ، فكانوا يحبون الدخول فى طاعته والانخراط فى سلك رعيته ، فلما نزلت العرب على تلمسان تمشت الرسل بينهم وبين الحضر من أهلها ، واتفقوا على خلع طاعة الترك ومبايعة السلطان المولى سليمان ، ففتحوا باب المدينة ودخل ابن الشريف وطائفته وأخذ البيعة بها للسلطان المولى سليمان وخطب به على منابرها ، ووجه وفده وهديته الى السلطان مع شيخه أبى عبد الله المذكور ، ثم نهد فى عربه وحضره من أهل تلمسان لحرب الكرغلية الذين بالقصبة فأجحرهم بها وضيق عليهم فلم يبق للترك حينئذ شك فى أن ذلك كله بأمر السلطان ، فكتبوا الى الدولاتى وهو باشاهم الاعظم صاحب الجزائر يعلمونه بالواقع ، واستمرت الحرب بينهم وبين ابن الشريف فى وسط المدينة ، وعظم الخطب واشتد الكرب ، وقدم الشيخ على السلطان بوفد أهل تلمسان والعرب وهدية ابن الشريف وبيعته ، وأخبره بأن الناس فى شدة من أمر الترك وأنهم قد تطارحوا على بابه وعلقت آمالهم

به وراموا الاستظلال بظل عدله ، فرأى السلطان رحمه الله أن يسلك فى حقهم وحق الترك مسلكا هو أرفق بالجميع ، فبعث القـائد أبا السرور عياد بن أبى شفرة الوديى ، وأمره أن يحجز بين الحضر والترك حتى يقدم الباى الى تلمسان ، ورد معه الوفد الذين قدموا مع الشيخ وتقدم اليـه فى القبض على ابن الشريف ان هو لم يرجـع عن الحرب الى السلم ، ثـم كتب السلطان الى الباى بما أزال شكه وأبطل وهمه ، ولما شارف القـائد عياد تلمسان فر الشريف الى منجاته ، ودخل القائد عياد المدينة فحجز بين الفريقين وقدم الباى الى تلمسان فأصلح بينه وبين رعيته ، ومكنه من بلده ، وانقلب الى حال سبيله ، ومع ذلك لم يتم للترك ما أرادوا من أجل القحط الذى كان قد عم حتى عدمت الاقوات ، وجلا أهل تلمسان عنها الى بـلاد المغرب ، وكذا عربها وأهل جبالها كلهم جلـوا عن أوطانهم ، حتى لـم يبق لباشا الترك مع من يتكلم فضلا عن أن يتأمر ، فجعل يكتب الى السلطان ويرغب اليه أن يرد عليه أهل تلمسان وعربها ، فكلمهـم السلطان رحمه الله فى الرجوع فأبوا وقالوا : نذهب الى بلاد النصارى ولا نجاور التـرك فنجمع علينا الجوع والقتل ، فرق لهم السلطان وتركهم ، بل جبرهـم بان صار يعينهم بالعطاء ويتخولهم بـالصدقات المرة بعد المرة ، حتى كان عطـاؤه اياهم كالراتب المفروض ، وعالج داءهم مع الترك الى أن أخصبت بلادهـم ورخصت أسعارهم ، فتراجعوا حينئذ الى أوطانهـم ، وكتب السلطان الى الباى فى شأنهم بالعدل وحسن السيرة ، فامتثـل وكف أيدى الكـرغلية عنهم ، ولم يبق منهم بالمغرب الا من كان عليه دين للترك فلم يقدر عـلى الرجوع لان أرباب الديون لا يقيمون لهـم وزنا ولا يعملـون معهـم شرعا والله أعلم

ذكر ما اتفق للسلطان المولى سليمان رحمه الله في وسط دولته من الخصب والامن والسعادة واليمن

كان هذا السلطان رحمه الله موصوفا بالعدل ، معروفا بالخير ، مرفوع الذكر عند الخاصة والعامة ، قد ألقى الله عليه منه المحبة فأحبته القلوب ، ولهجت به الالسنة لحسن سيرته وطيب سريرته ، واتفق له في أواسط دولته من السعادة والامن والعافية ورخاء الاسعار ، وابتهاج الزمان ، وتبلج أنوار السعد والاقبال ، ما جعله الناس تاريخا وتحدثوا به دهرا طويلا ، حتى صارت أيام السلطان المولى سليمان مثلا في ألسنة العامه ولقد أدركنا الجم الغفير ممن أدرك أواسط دولته فكلهم يثني عليها بملء فيه ، ويذهب في اطرائها كل مذهب لولا ما كدر آخرها من فتنة البربر التي جرت معها فتنا أخر كما نذكر بعد ان شاء الله

فمما هيأ الله له من أسباب الخير والسعادة أنه بويع مطلوبا لا طالبا ، ومرغوبا لا راغبا ، ثم لما بويع كان ثلاثة من اخوته كلهم يزاحمه في المنصب ثم لم يزل أمرهم يضعف وأمره يقوى الى أن كفي الجميع من غير ضرب ولا طعن ، ولا بارز أحدا منهم قط ولا واجهه بسوء ، ومن ذلك أنه لما دخلت سنة احدى وعشرين ومائتين وألف وجه السلطان عامله الى صحراء فجيج وجبى أموالها واسترجع قصر المخزن الذي اغتصبه أهلها من يد العبيد الذين كانوا به أيام السلطان المولى اسمعيل رحمه الله ، ووجه في السنة المذكورة جيشا مع عامل فاس باعقيل السوسي ، ومعه جماعة من قواد القبائل الى ناحية الشرق فنزل العامل مدينة وجدة وجبى تلك القبائل كلها ، ثم بداله فنهض الى عرب الاعشاش وكان ذلك خطأ منه في الرأي اذ كانت لهم شوكة وكان في غنى عن التعرض لهم بما در عليه من الجبايات الوافرة من تلك القبائل ، لكن الحرص لا يزال بصاحبه حتى يقطع عنقه ، فلما علموا بقصده اياهم عدلوا عن لقائه الى المحلة فأغاروا عليه

وانتهبوها فرجع أهلها منهزمين من غير قتال وتركوا أثقالهم بيد العدو ولم يجتمعوا الا على وادي ملوية ، ومن هنـــاك انفض الاحلاف الى بلادهم ، ووقف باعقيل بالجيش ، وأحجم عن القدوم خوفا مـن السلطـان ، فبعث اليه من قبض عليه وأتاه به فنكبه وعزله عن فاس وولى عليها وصيفه ابن عبد الصادق ، ثم عزله وولى عليها محمد واعزيز

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف فيها خرج السلطـان المولى سليمان بالعساكر الى تادلا يريد بنى موسى ، وآيت أعتاب ، ورفالة ، وبنى عياط الذين اووا بنى موسى ، فبث السلطان عليهم العساكـر فنهبوا بنى موسى ومن آواهم من رفالة وبنى عياط ، وأحرقـوا مداشرهم وقطعوا أشجارهم وأبلغوا فى النكاية الى أن أذعنوا الى الطاعة وجبوا زكواتهـــم وأعشارهم وعادوا منصورين ، وفى السنة المذكورة فتح على السلطان اقليـم تيكرارين وتوات من أقصى الصحراء ، وجبى عامله خراجهم وعاد سالمــا معافى ، وفيها حدثت الحرب بين السلطان مصطفى بن عبد الحميد العثمانى وبين الموسكوب ، فكتب العثمانى الى السلطان يطلب منه أن يشد عضـده بأن يقيم قراصينه بباب البوغاز مـــن مرسى طنجة لئـــلا تدخـــل قراصين الموسكوب منه وتعيث فى الجزر التى هى فى ملكـة العثمانى كما فعلت فى دولة عمه السلطان مصطفى بن أحمد ، فأمر السلطـــان رحمه الله رؤساء قراصينه بالتهيىء والمقام هنالك ففعلوا ولم يظهر شىء ، حكـــى هذا الخبر صاحب البستـــان

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين وألف فيها عقد السلطان لوصيفه القائد أحمد بن مبارك صاحب الطابع على جيش كثيف ، وضم اليه جماعـة من قواد الجند والقبائل وسار حتى نزل على حدود بلاد آيت ومالو وأحاطت العساكر السلطانية بهم من كل جهة ، وكان ذلك فى فصل الشتاء فمنعوهـم من النزول الى البسيط للمرعى ، وجلب الميـــرة الى أن ضاعت مواشيهـــم وأذعنوا لدفع ما وظف عليهم فدفعوا الماشية والكراع وخلى سبيلهم ، وفيها خرج السلطان من مكناسة لتفقد أحوال الثغور البحرية وكان المتولى عـلى

جمعها القائد الشهير أبو زيد عبد الرحمن بن على أشعاش التطوانى فعزله السلطان فى هذه المرة وولى عليها القائد محمد السلاوى البخارى ، ثم ولاه على قبائل الغرب والجبال كلها ، وتتبع السلطان رحمه الله الثغور كلها وأحسن الى أهلها .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين وألف فيها خرج السلطان الى تادلا يريد عرب ورديغة وقبائل البربر الذين هنالك فاغارت عساكر السلطان عليهم ووقعت بينهم حرب فظيعة هلك فيها عدد من الفريقين ، ثم انتصرت العساكر السلطانية عليهم فهزموهم ونهبوا أموالهم وألجأوهم الى الطاعة فجاؤوا تائبين فعفا عنهم ، ثم أنفذ جيشا كثيفا لآيت يسرى بعد أن قبض منهم على عدد معتبر فشنوا الغارة عليهم وقاتلوهم فأذعنوا لاعطاء المال ، ولما بذلوه سرح لهم اخوانهم المقبوض عليهم وعاد السلطان مظفرا منصورا .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين وألف فيها غزا السلطان بلاد الريف فنزل عين زورة وسرح الكتائب فى قبائل الريف فحاربوها وهزموها وقتلوا مقاتلتها وسلبوا ذراريها وحرقوا مداشرها وألجأوهم الى الطاعة فقدموا على السلطان تائبين فعفا عنهم على أن يدفعوا ما ترتب عليهم ، ثم عين السلطان الامناء الذين استوفوه منهم على التمام ، وعاد مظفرا منصورا ، وفى هذه السنين كلها كانت الرعية فى غاية الطمأنينة والعافية والامن والخصب والرخاء وكمال السرور والهناء ، حتى كانت هذه المدة غرة فى جبهة ذلك العصر ودمية فى محراب ذلك القصر ، ثم انعكست الاحوال وتراكمت الاهوال ، وعظمت الاوجال ، واتسع فى الفتنة المجال ، وتم على هذا السلطان الجليل العالم النبيل ، فى آخر عمره مالم يتم على أحد من ملوك بنى أبيه ، ولله الامر من قبل ومن بعد

بدء هيجان فتنة البربر وما نشأ عنها من التفاقم الاكبر

لما دخلت سنة ست وعشرين ومائتين وألف قامت الفتنة بين قبائل البربر وكان ابتداؤها أولا بين آيت ادراسن وكروان ، وبين أعدائهم آيت ومالو أهل جبل فازاز ، ثم لما انتشبوا الحرب غدرت كروان باخوانهم آيت ادراسن وانحازوا الى آيت ومالو فانهزمت آيت ادراسن ووضع آيت ومالو فيهم السيف ونهبوا حلتهم بما فيها وتركوهم بالقاع مدقعين ، ولعصا الذل مهطعين ، ولم يفلت منهم الا أصحاب الخيل الذين نجوا بنواصيها ، وقدموا على السلطان شاكين باكين ، فقام وقعد لذلك لما أوجب الله عليه من النظر لهم اذ هم رعيته وشيعته وشيعة والده من قبله ، فجهز العساكر لنصرتهم وعادوا الى حرب كروان فظاهرهم آيت ومالو عليهم وهزموهم مرة أخرى ، ثم بعد هذا اتفقت البربر على حرب آيت ادراسن مناوأة للسلطان وبغضا في قائدهم محمد واعزيز الذي كان يوليه عليهم وبعثوا الى دجالهم مهاوش المعد عندهم لامثالها ، وتحالفوا عنده على معصية السلطان وطاعة الشيطان ، وعاثوا في الطرقات والرعايا واتسع الخرق وعظم الفتق ، فسارت اليهم العساكر من باب السلطان حتى نزلت بأحواز صفرو وكانت انظر القائد محمد الصريدي الذي يبغضه البربر كبغض محمد واعزيز أو أكثر ، فكشفوا القناع في العصيان وزحفوا الى الجيش وهو نازل حول صفرو فأحاطوا به وانتهبوه ، ففر من أفلت منه وتحصن الباقي بمدينة صفرو ، ونهبت القرى المجاورة لها وعاثوا في طرقات الصحراء فنهبوا من وجدوا بها مقبلا أو مدبرا وأعضل الداء واعوز الدواء والسلطان مقيم بمكناسة يعالج داءهم فما نفع فيه ترياق ، وشمخت أنوف البربر وكلما بعث اليهم جيشا هزموه أو سرية انتهبوها ، قيل ان منشأ ذلك كان من أجل تمسك السلطان رحمه الله بمحمد واعزيز وجبرهم على طاعته ، وكانوا قد نفروا عنه لسوء سيرته فيهم والمعروف من حال السلطان المولى سليمان رحمه الله

خلاف هذا فانه كــان قلما تشكو رعية إليـه بعاملها الا ويعزله عنها تحريا للعدل واتهاما للعمال ، حتى لقد عيب عليه ذلك فـي بعض الاحوال مــن جهة السياسة ، ولما أعيا السلطان أمرهم تركهم فوضى ووكل القائـد عياد ابن أبي شفرة بتدبير أمرها وتوجه الى مراكش فكان عيـاد على أمرهــم أعجز ، وبسياستهم أجهل ، وصار يتألفهم بالعطاء ويجري المؤن على كــل من يقدم عليه منهم من طعام وعلف ونحو ذلك ، فكان ذلك مما زاد فـــي طغيانهم حتى كانوا ينهبون اموال الناس ومتاعهم بـــاب فاس ، ويدخلون لقبض الخفارة وأخذ الميرة ، واذا تكلم أحـــد من أهـــل البلد قال القائد المذكور : ان السلطان أمرني بذلك وربما عاقب من يعترض عليه ، وانما أمره السلطان أن يسوسهم على الوجه الذي لا ضرر فيـــه عـلى الدولـــة ولا على الرعية والله أعلم .

اجلاب السلطـــان المولى سليمان على برابرة كــروان ورجوعه عنهم من اصرو وما نشأ عن ذلك

لما وصل السلطان الى مراكش استنفر قبائل الحوز كلها وقدم بهم الى مكناسة ، واستنفر قبائل الغرب من الاحلاف والحياينة وأهل الفحص ، وأهل الغرب ، وبني حسن ، وأهل الثغور وضرب البعث على جيش العبيد والوداية وشراقة وأولاد جامع واستصحب معه البربر الذين هم في طاعته حتى لــم يبق أحد بالمغرب ، وخرج في هذا الجمع العظيم قاصدا كروان وهـم يومئذ بتاسماكت ، ولما وصل الى الموضع المعروف باصرو وبقي بينهم وبينه نصف مرحلة بحيث صار يرى محلتهم ويرون محلته بدا لـه فرجـــع يريد آيت يوسي ، فكان ذلك الرجوع سبب الخذلان ، ولما رأته عيون كروان راجعا ظنوا به جبنا فجرؤوا على الجيش وتبعوه من خلفه الى أن خالطوا أخرياته

الناس فأوقعوا بهم وقتلوا ونهبوا ، وأين أوله بينهما مرحلة ، ولا علم للسابق بما جرى على اللاحق ، ثم نزل السلطان على آيت يوسى بقرب آعليل وصاروا بنو مكيلد أمامه وكروان من خلفه ولم يكن علم بما وقع في العسكر من النهب والقتل الى آن ورد عليه منهزمة العبيد ليلا فأخبروه بما وقع ، وأن قائد عسكره أبا عبد الله محمد بن الشاهد قد قتل في جماعة من القواد وغيرهم ، ففت ذلك في عضده وتجلد رحمه الله ليلته تلك ، ولما أصبح ركبت العساكر وقصدت آيت ومالو الذين كانوا مع آيت يوسى ولما وقعت الحرب انهزم عسكر السلطان وألجأهم البربر الى شعب لا منفذ له فترجلوا وتركوا الخيل ونجوا بأعناقهم وحمتهم آيت يمور وآيت ادراسن حتى خلصوهم ، وكانت حلتهم قريبا من العسكر فلو تبعوهم لوقعوا عليها ، ولما حصلت هذه المزية لهؤلاء البربر الذين هم شيعة السلطان ولم تظهر للعرب مزية حقدوا ذلك عليهم وصاروا كل من دنا من المحلة منهم قبضوا عليه وقتلوه ، وقالوا : ان البربر كلهم سواء ، فلما وقع ذلك بشيعة السلطان امتعضوا ورفعوا أمرهم اليه فأمر كاتبه وعامله محمدا السلاوى أن ينظر في أمرهم فبحث القائد المذكور حتى أطلع على حقيقة الامر وعلم فساد نية البربر لما وقع بهم من القتل وسط المحلة ، ورأى أن القصاص في ذلك الوقت متعذر وأن عاقبته غير مأمونة فأشار على السلطان بالرجوع قبل أن يتسع الخرق على الراقع ، فرجع وكان رجوعه أكبر غنيمة ، وكثرة هذه الجموع بلا ترتيب سبب تلك الهزيمة والامر كله لله ، وهذه الوقعة تعرف عند الناس بوقعة آصرو اضافة الى الموضع الذى انتهى اليه السلطان من بلاد البربر ، ثم رجع عنه وقد جعلها العامة تاريخا يقولون كان ذلك عام وقعة آصرو والله تعالى أعلم .

١١٨

مراسلة صاحب تونس حمودة باشا ابن على باى للسلطان المولى سليمان رحمه الله وما اتفق فى ذلك

* وفى هذه المدة أو ما يقرب منها بعث صاحب تونس وهـــو الرئيس حموده باشا ابن على باى العالم الاديب الطائر الصيت الشيـخ أبـــا اسحق ابراهيم بن عبد القادر الرياحى الى السلطان المـــولى سليمان رحمه الله ، فقدم عليه حضرة فاس ومعه هديـــة وكتاب يتضمن طلب الامداد بالميـــرة لحدوث المسغبة بالبلاد التونسية ، فأعظم السلطان رحمه الله مقدم هذا الشيخ واهتزت له فاس، وامتدح السلطان بقصيدة من جيد شعره يقول فى أولها :

ان عز من خير الانـــام مزار * فلنا بزورة نجلـه استبشـــار

ومن جملتها قوله :

هذا الخليفة وابن أكرم مرسل * وسليل من تمطى لـــه الاكوار
وخلاصة الاشراف والخلفاء من * بيت البتـــول وحبذا الاطهـــار
وأجل وارث ملك اسمعيل من * بطـــل شذا أخبـــاره معطـــار
وأعز سلطان وأشرف مالـــك * شرفت بملـك يمينـــه الاحرار
وأحق من تحت السماء بأن يرى * ملـك البسيطة والورى أنصـــار
لكـــن اذا كل القلوب تحبـه * فلغيره الاجسام وهـــى نفـــار
هذا سليمان الرضى ابن محمد * مـــن أشرقت لجبينه الانـــوار
هـــذا الذى رد الخلافة غضـة * وسمـــا بـــه للمسلمين منـــار
وأعز ديـــن الله فهـــو بشكره * فى أيكهـــا تترنـــم الاطيـــار

فأعجب السلطان ومن حضر بها ، وأمده بمطلبه مـــن الميرة وبهدية جليلة ، وآب الشيخ من سفارته بخير مآب .

وصول كتاب صاحب الحجاز عبد الله بن سعود الوهابي الى فاس وما قاله العلماء في ذلك

وفي هذه المدة أيضا وصل كتاب عبد الله بن سعود الوهابي النابغ بجزيرة العرب المتغلب على الحرمين الشريفين المظهر لمذهبه بهما الى فاس المحروسة ، وأصل هذه الطائفة الوهابية كما عند صاحب التعريبات الشافية وغيره أن فقيرا من عرب نجد يقال له : سليمان ، رأى في المنام كأن شعلة من نار خرجت من بدنه وانتشرت وصارت تأكل ما قابلها ، فقص رؤياه على بعض المعبرين ففسرها له بأن أحد أولاده يجدد دولة قوية ، فتحققت الرؤيا في ابن ابنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان ، فالمؤسس للمذهب هو محمد بن عبد الوهاب ، ولكن نسب الى عبد الوهاب فلما كبر محمد احترمه أهل بلاده ثم أخبر بأنه قرشي ، ومن أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، وألف لهم قواعد وعقائد وهي عبادة الله واحد قديم قادر حق رحمن يثيب المطيع ويعاقب العاصي ، وأن القرآن قديم يجب اتباعه دون الفروع المستنبطة ، وأن محمدا رسول الله وحبيبه ، ولكن لا ينبغي وصفه بأوصاف المدح والتعظيم اذ لا يليق ذلك الا بالقديم ، وأن الله تعالى حيث لم يرض بهذا الاشراك سخره ليهدي الناس الى سواء الطريق ، فمن امتثل فبها ونعمت ، ومن أبى فهو جدير بالقتل ، فهذه أصول مذهبه ، وكان قد بثه أولا سرا فقلده أناس ثم سافر الى الشام لهذا الامر فلما لم يجد به مراده رجع الى بلاد العرب بعد غيبته عنها ثلاث سنين ، فأتصل بشيخ من أشياخ عرب نجد يقال له : عبد الله بن سعود ، وكان شهما كريم النفس ، فقلده وقام بنصرة مذهبه ، وقاتل عليه حتى أظهره ، واقتسم الرياسة هو ومحمد بن عبد الوهاب ، فابن عبد الوهاب صاحب الاجتهاد في مسائل الدين ، وابن سعود أمير الوهابية وصاحب حربهم ، ولا زال أمر هؤلاء الوهابية يظهر شيئا فشيئا الى أن تغلبوا على الحجاز والحرمين

الشريفين وسائر بلاد العرب، ثم قال صاحب التعريبات الشافية : ان مساجد الوهابية خالية عن المنارات والقباب وغيرها من البدع المستحسنة ، لا يعظمون الائمة ولا الاولياء ، ويدفنون موتاهم من غير مشهد واحتفال ، يأكلون خبز الشعير والتمر والجراد والسمك ، ولا يأكلون اللحم والارز الا نادرا ، ولا يشربون القهوة ، وملابسهم ومساكنهم غير مزينة اه .

ولما استولى ابن سعود على الحرمين الشريفين بعث كتبه الى الآفاق ، كالعراق والشام ومصر والمغرب ، يدعو الناس الى اتباع مذهبه ، والتمسك بدعوته ، ولما وصل كتابه الى تونس بعث مفتيها نسخة منه الى علماء فاس فتصدى للجواب عنه الشيخ العلامة الاديب أبو الفيض حمدون بن الحاج .

قال صاحب الجيش : كان تصدى الشيخ أبى الفيض لذلك الجواب بأمر السلطان وعلى لسانه ، وذهب بجوابه ولده المولى ابراهيم بن سليمان حين سافر للحج قلت : وهذا يقتضى أن كتاب ابن سعود ورد على السلطان المولى سليمان بالقصد الاول لا أن نسخةمنه وردت بواسطة علماء تونس والله تعالى أعلم .

حج المولى أبى اسحق ابراهيم ابن السلطان المولى سليمان رحمه الله

وفى هذه السنة أعنى سنة ست وعشرين ومائتين وألف وجه السلطان المولى سليمان رحمه الله ولده الاستاذ الافضل المولى أبا اسحق ابراهيم بن سليمان الى الحجاز لاداء فريضة الحج مع الركب النبوى الذى جرت العادة بخروجه من فاس على هيئة بديعة من الاحتفال ، وابراز الاخبية لظاهر البلد ، وقرع الطبول واظهار الزينة ، وكانت الملوك تعتنى بذلك وتختار له أصناف الناس من العلماء والاعيان والتجار والقاضى وشيخ الركب وغير ذلك ، مما يضاهى ركب مصر والشام وغيرهما ، فوجه السلطان ولده المذكور فى جماعة من علماء المغرب وأعيانه مثل الفقيه

العلامة القاضي أبي الفضل العباس ابن كيران ، والفقيه الشريف البركة المولى الامين بن جعفر الحسني الرتبي ، والفقيه العلامة الشهير أبي عبد الله محمد العربي الساحلي ، وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه ، فوصلوا الى الحجاز وقضوا المناسك وزاروا الروضة المشرفة على حين تعذر ذلك وعدم استيفائه على ما ينبغي لاشتداد شوكة الوهابيين بالحجاز يومئذ ومضايقتهم لحجاج الآفاق في أمور حجهم وزيارتهم الا على مقتضى مذهبهم .

حكى صاحب الجيش : أن المولى ابراهيم ذهب الى الحج واستصحب معه جواب السلطان ، فكان سببا لتسهيل الامر عليهم وعلى كل من تعلق بهم من الحجاج شرقا وغربا ، حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الامن والامان ، والبر والاحسان ، قال : حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى ابراهيم في تلك السنة ، أنهم ما رأوا من ذلك السلطان يعني ابن سعود ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة ، وانما شاهدوا منه ومن أتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الاسلام ، من صلاة وطهارة وصيام ، ونهي عن المنكر الحرام ، وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام التي كانت تفعل بهما جهارا من غير نكير ، وذكروا أن حاله كحال آحاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ولا مركوب ولا لباس ، وأنه لما اجتمع بالشريف المولى ابراهيم أظهر له التعظيم الواجب لاهل البيت الكريم ، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته ، وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي أبو اسحق ابراهيم الزداغي ، فكان من جملة ما قال ابن سعود لهم : ان الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية ، فأي شيء رأيتمونا خالفنا من السنة ، وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا ، فقال له القاضي : بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوى ، فقال لهم: معاذ الله !انما نقول كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة ، فهل في هذا من مخالفة، قالوا لا وبمثل هذا نقول نحن أيضا ، ثم قال له القاضي : وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة اخوانه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم

فلما سمع ذكر النبى صلى الله عليه وسلم ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه وقال : معاذ الله انما نقول انه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره ، وكذا غيره من الانبياء ، حياة فوق حياة الشهداء ، ثم قال له القاضى : وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر الاموات مع ثبوتها فى الصحاح التى لا يمكن انكارها فقال : معاذ الله أن ننكر ما ثبت فى شرعنا وهل منعناكم أنتم لما عرفنا أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها ، وانما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالالوهية ، ويطلبون من الاموات أن تقضى لهم أغراضهم التى لا تقضيها الا الربوبية ، وانما سبيل الزيارة الاعتبار بحال الموتى ، وتذكر مصير الزائر الى ما صار اليه المزور ، ثم يدعو له بالمغفرة ويستشفع به الى الله تعالى ويسأل الله تعالى المنفرد بالاعطاء والمنع بجاه ذلك الميت ان كان ممن يليق أن يستشفع به ، هذا قول امامنا أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، ولما كان العوام فى غاية البعد عن ادراك هذا المعنى منعناهم سدا للذريعة ، فأى مخالفة للسنة فى هذا القدر اه .

ثم قال صاحب الجيش : هذا ما حدث به أولئك المذكورون ، سمعنا ذلك من بعضهم جماعة ، ثم سألنا الباقى أفرادا فاتفق خبرهم على ذلك اه.

قلت : مسئلة زيارة قبور الانبياء والاولياء مشهورة فى كتب الائمة وهى من القرب المرغوب فيها عند الجمهور ، ومنعها قوم من الحنابلة وشدد تقى الدين ابن تيمية منهم فيها محتجا بقوله عليه الصلاة والسلام : لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الاقصى ، وهو عند الجمهور مؤول بأن المعنى لا تشد الرحال لصلاة فى مسجد الا الى ثلاثة مساجد اه. وقد بسط القول فى هذا صاحب المواهب اللدنية ، والقول الفصل أن التبرك بآثار الانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء رضى الله عنهم ، وزيارة مشاهدهم من الامر المعروف عند أمة محمد صلى الله عليه وسلم المجمع عليه خلفا وسلفا ، لا يسع انكاره ، غير أن للزيارة آدابا تجب المحافظة عليها ، وشروطا لابد من مراعاتها ، والوقوف لديها ، ثم القول بمنعها مطلقا سدا للذريعة فى حق العامة ، اذهم أكثر الناس وغولا

في ذلك فيه نظر ، أما الانبياء فلا ينبغي لعاقل أن يحرم نفسه من الوقوف على مشاهدهم والتبرك بتربتهم والاحتماء بحماهم ، ولا أن يقول بذلك لمزيد ارتفاع درجتهم عند الله تعالى ، ولندور اتفاق زيارتهم لاكثر الغرباء ، وأما الاولياء فالقول بمنع زيارتهم سدا للذريعة مع بيان العلة واشهارها بين الناس ، حتى لا يلتبس عليهم المقصود ، قول وجيه لا تأباه قواعد الشريعة بل تقتضيه والله أعلم . وهذا القول هو الذى رآه الشيخ الفقيه الصوفي أبو العباس أحمد التجاني رحمه الله حتى نهى أصحابه عن زيارة الاوليـاء .

وأقول : ان السلطان المولى سليمان رحمه الله كان يرى شيئا من ذلك ولاجله كتب رسالته المشهورة التى تكلم فيها على حال متفقرة الوقت وحذر فيها رضى الله عنه من الخروج عن السنة والتغالى فى البدعة ، وبين فيها بعض آداب زيارة الاولياء ، وحذر من تغالى العوام فى ذلك وأغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين جزاه الله خيرا ، ومن كلامه فيها ما نصه : تنبيه : من الغلو البعيد ابتهال أهل مراكش بهذه الكلمة «سبعة رجال» ، فهل كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عليهم الى أن قال : فعلينا أن نقتدى بسبعة رجال ولا نتخذهم آلهة لئلا يؤول الحال فيهم الى ما آل اليه فى يغوث ويعوق ونسرا ، الى آخر كلامه ، وصدق رحمه الله فكم من ضلالة وكفر أصلها الغلو فى التعظيم ، وما ضلت النصارى الا من غلوهم فى عيسى وأمه عليهما السلام ، قال الله تعالى : (ياأهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق) الآية ، ومن ذلك قصة يغوث ويعوق ونسرا المشار اليها ، وهى مذكورة فى الصحيح وفى كتب التفسير

وحكى ابن اسحق فى السيرة : أن أصل حدوث عبادة الحجر فى بلاد العرب ، أن آل اسمعيل عليه السلام لما كثروا حول الحرم ، وضاقت بهم فجاج مكة تفرقوا فى النواحى وأخذوا معهم أحجارا من الحرم تبركا بها ، فكان أحدهم يضع الحجر فى بيته فيطوف ويتمسح به ويعظمه ، ثم توالت السنون وخلفت الخلوف فعبدوا تلك الاحجار ، ثم عبدوا غيرها

أوذهبت منهم ديانة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام الا يسيرا جدا بقي فيهم الى أن صبحهم الاسلام ، هذا معنى ما ذكره ابن اسحق ، وقد تكلم الشاطبى وغيره من العلماء فيما يقرب من هذا ، وذكروا أن الغلو فى التعظيم أصل من أصول الضلال ، ولو لم يكن فى ذلك الا قضية الشيعة لكان كافيا ، فالحاصل أن خير الامور الوسط ، ومن هنا أيضا كان السلطان المولى سليمان رحمه الله قد أبطل بدعة المواسم بالمغرب ، وهى لعمرى جديرة بالابطال ، فسقى الله ثراه ، وجعل فى عليين مثواه .

ولما كان رمضان من سنة سبع وعشرين ومائتين وألف قدم المولى ابراهيم ابن السلطان المذكور من الحجاز ونزل بطنجة وكان قدومه فى قرصان الانجليز لان والده رحمه الله كان قد وجهه اليه مع بعض قراصينه الى الاسكندرية ، فصادفوه قد انحدر الى جزيرة مالطة فركب المولى المذكور فيما خف من حاشيته فى قرصان النجليز وسبق الى طنجة فاحتل بها ، ثم سار الى حضرة والده بمكناسة فأقام عنده ثلاثا ريثما استراح ، ثم انفصل عنه الى داره بفاس ، فخرج لملاقاته جيش الودايا وأشراف فاس وأعلامها ، وسائر عامتها بفرح وسرور ، وكان يوم دخوله يوما مشهودا ، ولما وصل القوم الذين كانوا معه نشروا محاسنه وفضائله ، ومكارمه المحمودة وفواضله وما فعله من البر فى طريق الحج خصوصا فى مفاوز الحجاز ، فقد أنفق فيها على الضعفاء والمساكين ما لا يحصى ، وشاع ذكره فى الحرمين الشريفين وتجاوزهما الى مصر والشام والعراقين ، ولما نفذ ما عنده استسلف من التجار الذين كانوا معه أموالا طائلة أنفقها فى سبيل الله ، ولما قدم أربابها على السلطان عرفوه بما استسلفه منهم ولده وأطلعوه على حساباتهم فعرف أن ما فعله ولده صواب ، فأمر رحمه الله لاولئك التجار بقضاء ما أسلفوه وأن يزاد لهم مقدار ربحه تطييبا لنفوسهم ، وقال : انما تتعاطون التجارة لتنمو أموالكم وتربحوا ، فلا ينبغى أن ننقصكم من ربحكم شيئا ، فأما نحن فربحنا هو ما أنفقه ولدنا فى سبيل الله

وقد مدح هذا النجل الارضى جماعة من أدباء مصر وغيرها بقصائد

نفيسة ، ومن جملة من مدحه الفقيه العلامة الاديب أبو اسحق ابراهيم عبد القادر الرياحي التونسي ، فانه بعث بقصيدة رائقة إلى والده السلطان المرحوم يمدح النجل المذكور ويهنئه بالقدوم ، وألم فيهـا بذكـر السلطان فأعجبته وهزت من عطفه ، وأمـر كتاب دولتـه أن يأخذوا منهـا نسخا وشرحها بعضهم ونصها :

هـذى المنى فانعـم بطيب وصـال … فلطالمـا أضنـاك طـول مطـال
مـاذا وكـم أوليتنـى يامخبـرى … بقدومه مـن منـة ونوالى
بشرتنـى بحيـاتى العظمـى التى … قد كنت أحسبهـا حديث خيـال
بشرتنى بابـن الرسول لـو انما … روحى ملكـت بذلتها فى الحـال
بشرتنى بسلالـة الخلفـاء مـن … أمداحهـم تثنى بكـل مقـال
من حبهم فرض الكتاب أمـا ترى … الا المـودة حين يتلو التـالى
من ضمهم شمل العبـاء وأذهبـوا … رجسا فيالك مـن مقام عـالى
من قومـوا أود المكـارم بعـد ما … شادوا الهدى بمعارف ونصال
لولاهم كـان الورى فى ظلمـة … مـدت غياهبها بكـل ضـلال
آبـاءك الاطهـار فاقصـد ياأبـا … اسحق يانجـل المليك العـالى
ياحبـه وصفيـه مـن قومـه … وخياره مـن سائـر الانجـال
لـو لـم تكن أهلا لصفـو وداده … لـم يستنبـك لجـدك المفضـال
لكـن تـوسم فيـك كـل فضيـلة … فحبى يمينـك رايـة الاقبـال
وأقام جودك بل وجودك زاد مـن … يبغـى بيت اللـه حـط رحـال
أنت استطاعتهـم فما عـذر الـذى … تـرك الزيـارة خيفـة الاقـلال
وبك المشاعر أطربت طـرب التى … وجـدت عـلى وله فقيـد فصـال
ووصلتهـا رحمـا هنـاك قطيـعة … دهرا ولـم تبلـل بـه ببـلال
وتأنس الحرمـان منـك بطاعة … أغنتهمـا عـن وابـل هطـال
كرم لكـم أدريه يـوم أفاضـه … عنى سليمـان بـاى سجـال
وهب الالوف وكان أكرم منـزل … يسلى الغريب ببـره المتوال
يـوم التشرف لى بلثم يمينه … وتمتعى مـن وجهـه بجمـال

وتلذذي بخطابه المعسول اذ … حفت به للدرس أي رجال

لم أنسه يوما حسبت نعيمه … بلذائذ الجنات ضرب مثال

عجبا له يحيي القلوب بعلمه … ويميت جند الفقر منه بمال

واذا تقلد للوغى فحسامه … تعنو الرقاب له بدون قتال

تتلوه بالفتح المبين عساكر … قد أرهفت بالنصر حد نصال

تخشى الملوك مقامه ولذكره … رعبا تطير فرائص الابطال

وينال آمله بخفض جناحه … ماليس يخطر قط منه ببال

حتى سعى لصفى منهله الذى … يسعى لمروته ذوو الاثقال

وأتت لمغربه الشريف مشارق … والشمس تغرب لاقتضاء كمال

لما تكدر صفوها بضلالة … جاءته كيما ترتوى بزلال

ومتى تخلف عاجز فبقلبه … يسعى لفعل شعائر الاجلال

أمنية وقعت أشرت لذكرها … فى مدحه قدما بصدق مقال

تهوى المشارق أن تكون مغاربا … لتنال من جدواه كل منال

يافخر دين الله منه بناصر … وسعادة الدنيا به من وال

لا تفتخر فاس ولا مراكش … بولائه كل الانام موال

أوليس فى كل البقاع ثناؤه … ورد البكور وسحة الآصال

أولم يشد المدين والعلماء والـ … أشراف والصلحاء أى جلال

أولم يعم بجوده أقطارها … لا فرق بين جنوبها وشمال

أولم يسر ركبانها بمحاسن … ضاءت لها سرج بجنح ليال

أوليس أحيا سنة العمرين فى … زمن الى بدع الهوى ميال

شيم يهز الراسيات سماعها … ويعجن فى أنف الزمان غوال

أوصاف والدك الامام المرتضى … للدين والدنيا بحسن خلال

ذاك الربيع أبو الربيع ومن به … حيى الهدى وشرائع الافضال

كل الكمال له وأنت مقره … والفرع عين الاصل عند مآل

يابن المليك ابن المليك ابن المليـ … ـك ابن المليك سلالة الاقيال

أنسيتم ذكر العبابسة الاولى … زالوا وما زالوا بعين جلال

لكم الفخار بذاته وسواكم مستمسك من فخركم بظلال
ولى الفخار بأن نسجت مديحكم حللا تجد وكل شيء بال
أملى معانيها على ودادكم فجرى به طبع كما السلسال
ولو أننى حاولت مدح سواكم عقل القريحة عنه أى عقال
فكأنما طبعى شريف حيثما لا يهتدى لسوى مديح الآل
أو قد درى أن المديح تعرض وسواكم لا يرتضى لسؤال
أبقاكم كهفا يلاذ بمجدكم مختاركم لانالة الامال
وأدام للاسلام والملك الذى هو رحمة وسعت بغير جدال
وعليكم وعلى الذى يهواكم أزكى الرضى من حضرة المتعال
ما دام ذكركم بكل صحيفة تبعا لاحمد سيد الارسال
صلى عليه مسلما رب الورى وعلى مقدم حزبه والتالى

وعزز هذه القصيدة بمثلها بحرا وقافية ورويا الفقيه العلامة الادب أبو الفيض حمدون بن الحاج الفاسي يقول فى مطلعها :

بشراك ابراهيم بالاقبال اقبال عز لم يكن بالبال

وهى طويلة تركناها اختصارا ، وفى هذه السنة توفى الشريف البركة المولى على ابن المولى أحمد الوزانى ، وذلك يوم الثلاثاء آخر يوم ربيع الاول سنة ست وعشرين ومائتين وألف

غزو السلطان المولى سليمان بلاد الريف والسبب في ذلك

لما كانت سنة سبع وعشرين ومائتين وألف بلغ السلطان أن قبائل الريف من قلعية وغيرهم صاروا يبيعون الزرع للنصارى ويسوقونه من بلادهم ، فعقد لعامله على الثغور أبى عبد الله محمد السلاوى على جيش كثيف وأنفذه اليهم فسار العامل المذكور وقصد قلعية عش الفساد ، ولما شارفهم سرب اليهم العساكر فنهبوا أموالهم وحرقوا مداشرهم ، وانتسفوا أرضهم

وديارهم ، وتركوهم أفقر من ابن المدلق ، ثم بث عماله فى تلك القبائل فجبوها واستوفوا زكواتها وأعشارها ، وعاد ظافرا ، وفى هذه السنة وذلك صباح يوم الجمعة السابع عشر من محرم منها توفى الشيخ العلامة الامام خاتمة المحققين بالمغرب سيدى محمد الطيب بن عبد المجيد بن عبد السلام ابن كيران الفاسى ، صاحب التآليف البديعة ، والحواشى المحررة ، مثل شرح الحكم العطائية ، وشرح السيرة النبوية ، وغير ذلك من التآليف المعروفة والموجودة بأيدى الناس

ثم لما دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف بلغ السلطان ثانيا أن أهل الريف لا زالوا مقيمين على بيع الزرع للنصارى ، وأنهم أضافوا الى بيع الزرع بيع الماشية ، وقد كان السلطان منع النصارى من وسق ذلك بالمراسى ، فافتات هؤلاء القوم على السلطان وأعطوهم من ذلك ما أرادوا طمعا فى الربح ، وكان السلطان قد تقدم الى القائد محمد السلاوى فى كفهم عن ذلك لانه كان قد ولاه عليهم وأضافهم الى من كان الى نظره من أهل الجبل والثغور ، فكان لا يلتفت اليهم وربما قبض أهل المروءة منهم على سفلتهم ممن يتعاطى ذلك ويبعثون بهم اليه فيسرحهم على طمع ، فاتسع الخرق وصار كلهم يفعل ذلك ، ولما تحقق السلطان بفعلهم أمر رؤساء قراصينه أن يذهبوا الى جهة الريف ومراسيها ، وكل من عثروا عليه بها من مراكب النصارى فليأخذوه ، فساروا وقبضوا على بعض النصارى فأسروهم ولم يقنعه ذلك حتى أمر بغزو الريف وعزم على النهوض اليهم بنفسه ، وأذن فى الناس بذلك وجهز العساكر مع القائد محمد السلاوى ، ووجه معه ولده المولى ابراهيم بعساكر الثغور ، وعرب سفيان وبنى مالك ، فساروا على طريق الجبل ، وخرج السلطان من فاس فى السنة المذكورة ومعه السواد الاعظم ، فسلك الجادة الى تازا وكارت حتى نفذ الى بلاد الريف ، فلم يرعهم الا العساكر محيطة بهم من كل وجه فنهبوهم وحرقوا مداشرهم واستخرجوا أمراسهم ودفائنهم ، وولى السلطان عليهم أحمد بن عبد الصادق الريفى ، وتركه فى بلادهم فى حصة من العسكر يستخلص منهم

الاموال وعاد السلطان الى دار ملكه مؤيدا منصورا .

خروج السلطان المولى سليمان الى بلاد الحوز وتمهيدها ثم دخوله مراكش

كان السلطان المولى سليمان رحمه الله قد ولى على قبائل تامسنا القائد كريران الحريزى ، فيقال انه أساء السيرة فيهم فنبذوا طاعتــه ، وخرجوا عليه ، فقدم على السلطان مستصرخا عليهم فخرج اليهم فى العساكر سنــة ثلاثين ومائتين وألف ، وتقدم الى جيرانهم مــن القبائل بأن يزحفوا اليهم من خلفهم ففعلوا ، وهجم هو عليهم من أمامهم وأوقع بهم وقعة شنعاء أتلفت موجودهم ، وأباحت نساءهم وأولادهم ، وفر منهم طائفــة فعبروا وادى أم الربيع زمان مده فهلك جلهم ،ثم ترك فيهم عامله فى حصة مــن الجند وأمره باستخلاص الاموال منهم ، وتقدم هو الى ناحية مراكش لقمع أهــل الفساد من قبائل الحوز مثل دكالة وعبدة والشياظمة الذين خرجوا أيضا على عاملهم الحاج محمد بن عبد الصادق صاحب الصويرة ، فأصلــح من شأنهــم وعزله عنهم لما علمه من سوء سيرته فيهم ، ونقله من الصويـرة الى مراكش ، ثـم منها الى فاس ، فولى أخاه أبا العباس أحمد على عسكر القلعة بمراكش وعاد رحمه الله الى الغرب .

وفى هذه السنة فى الثالث عشر من رمضان منها توفى الشيخ العلامة الفقيه الامام أبــو عبد الله محمد بن أحمــد بن محمــد بن يوسف الحاج الرهونى صاحب الحاشية الكبيرة على مختصر الشيخ خليـــل وغيرها مــن التآليف النافعة ، والخطب البارعة ، وباعه فى العلوم خصوصا الفقه مقــرر معلوم رحمه الله ونفعنا به ، وفى ليلة الاثنين الخامس عشر من شوال مــن السنة المذكورة توفى الشيخ العالم العارف الامام أبو العباس أحمد التجانى

شيخ الطائفة التجانية ، وكانت وفاته بفاس المحروسة وضريحه بهـا شهير عليه بناء حفيل رحمه الله ونفعنا به .

غزو السلطان المولى سليمان قبائل الصحراء وايقاعه بآيت عطة والسبب فى ذلك

لما كانت سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف بلـغ السلطان المـولى سليمان أن بعض قبائل الصحراء كعرب الصباح وبرابرة آيت عطـه اشتغلوا بالفساد ، وعظم ضررهم واستولوا على قصور المخزن التـى هنالك من عهد السلطان المولى اسمعيل ، فعقد لابنه المولى ابراهيم على جيش كثيف ووجهه اليهم ، فسار ونزل أولا على قصور العرب ونصب عليهم آلة الحرب فبددهم ، ثم زاد الى قصور آيت عطه فنصب عليهم الآلة كذلك وضيـق عليهم الى أن طلبوا الامان فأمنهم فطلبوا أن يفـرج بالجيش عنهـم قليـلا حتى يخرجوا بعيالهم خوفا من معرة الجيش ، فأشفق لهم وأفرج عنهم ، وكان ذلك مكيدة منهم ، فلما نفس عن مخنقهم أدخلوا معهم ما شاءوا من رجال وسلاح وقوت وتمادوا على الحرب فسقط فى يد المولى ابراهيم وحمى أنفه وكـان معـه جماعة وافرة من أعيانهم رهنا عنده فقتل طائفة منهم ، وساق نحو المائـة الى فاس فقتلهم بباب المحروق ، ولما أنهى خبر فعلـة البربـر الى السلطان عاب على ابنه افراجه عنهم أولا وقتل الرهائن ثانيا ، ثم انهم أوفدوا جماعة منهم على السلطان راغبين اليه أن يبقيهم بالقصور ، فردهم بالخيبة وقال لهم : لا بد لى من الوصول الى تلك القصور ان شاء الله حـتى تكون لى أولكم ، ولما انسلخ رمضان من السنة وأقام سنة عيد الفطر شرع فى تجهيز العساكر الى الصحراء وقمع ظلمة آيت عطه ، ثم بعث فى مقدمته السواد الاعظـم من جيش العبيد وعقد عليهم لوصيفه الانجب القائد أحمد بـن مبارك صاحب

الخاتم ، وبعث معه الطبجية بالمدافع والمهاريس وآلة الحصار والهدم ، فخرجوا من فاس فى زى فاخر وشوكة تامة ، وبعد انفصالهم عنها طرأ على السلطان من بعض الثغور البحرية خبر بأن عمارة العدو تروج بالبحر وتجتمع عند جبل طارق ولم ندر الى أين تريد ، فتأخر السلطان عن الخروج حتى يتبين له أمر هذه العمارة ، ثم ورد الخبر اليقين بأنها قــد قصدت ثغر الجزائر ، وأصاب الفرنج من هدم الابراج وتخريب الدور والمساجد وحرق الاشجار شيئا كثيرا ، لكن لما رجعوا مفلولين مقتولين هان الامــر وصغرت المصيبة ، ولما جاء البشير بانهزام الفرنج عن الجزائر قوى عزم السلطان على متابعــة من وجه من عسكره الى الصحراء ، فخرج فى غرة ذى القعدة من السنــة المذكورة فيمن تخلف معه من العسكر وقبائل العرب والبربر ، وجد السير الى أن عبر وادى ملوية فلقيه البشير هنالك بخبر الفتــح والاستيلاء عــلى القصور ، وقتل أهلها وسبيهم ونهب بضائعهم وأمتعتهم ، فجد السير الى أن خيم بأغريس ، ومنها كتب الى القائد أحمد أن يوافيه بالجيش لبــلاد فركلة للنزول على القصور الخربات التى بها آيت عطة ، فاجتمعوا مع السلطان بها ونصبوا عليها المدافع والمهاريس ودام الرمى عليها ثلاثة أيام حتى كثر الهدم والقتل وعاينوا الموت الاحمر فأرسلوا الى السلطان النساء والصبيان للشفاعة فى الخروج برؤوسهم فأمنهم ، ولما جن الليل خرجوا حاملين أولادهم على ظهورهم خوفا من معرة الجيش ، ولما أصبح السلطان أمر بنهب مــا فــى القصور من القوت والمتاع والكراع ، وكمل فتــح هذه الامــاكن التى كانت نقمة لاهل ذلك القطر الصحراوى ، ولما من الله على السلطان بهذا الفتــح شكر صنع الله له بأن فرق على العسكر وقبائل تلك الاقطار مــا وسعهــم مــن الخيرات .

قال صاحب الجيش : أعطى الشرفاء مائة ألف مثقال غير مــا كــان يعطيهم فى كل سنة ، وقسم رحمه الله ذلك بخط يــده فكتب لدار مولاى عبد الله كذا ، ولشريفات حموبكة كذا ، ولشرفاء تافيلالت كــذا ، ولشرفاء تيزيمى واولاد الزهراء كذا ، ولشرفاء الرتب كذا ، ولشرفاء مدغرة كذا ،

ولشرفاء زيز والخنق والقصابي كذا ، وأعطى الطلبة والعميان والمقعدين والزمنى وزوايا تافيلالت مائة ألف مثقال قسم ذلك بخط يده أيضا ، وجعل للفقيه المدرس أربعة أسهم ، ولغيره سهمين ، والسهم من كذا ، وللطالب الذى يحفظ القرآن برسمه حتى صفا لوحه سهمان ، ولغيره سهم ، والسهم من كذا ، ولا فرق بين الاحرار والحراطين ، ولكل واحد من الضعفاء والعمى والمقعدين كذا الاحرار والحراطين سواء وللزوايا كذا ، فلزاوية الشيخ سيدى الغازى كذا ، ولزاوية سيدى أبى بكر بن عمر كذا ، ولزاوية سيدى أحمد الحبيب كذا ، ولزاوية سيدى على بن عبد الله كذا ، ولزاوية ضريح مولانا على الشريف كذا ، ولمقبرة أخنسوس كذا ، ووجه المال مع الامين السيد المعطى مرينو الرباطى ، وأمر الشرفاء أن يعينوا أربعين من ثقاتهم وامنائهم حتى لا تقع زيادة فيما كتبه بيده ولا نقصان ، وأمر القاضى أن يعين عشرة من الطلبة وعشرة من العوام للقيام على تفرقة ذلك ، ثم أعطى المدرسين زيادة على ما تقدم ، وكذا الائمة والمؤذنين ، ولم ينس أحدا كل ذلك بخط يده رحمه الله .

قال صاحب الجيش : ولا زال هذا الزمام عندى ، ثم بعد قضاء وطره من الزيارة والصلة توجه الى مراكش على طريق الفائجة لتفقد أحوال جيش الحوز الذى كان وجهه من مراكش لاقليم درعة ، فبلغه أثناء الطريق أن آيت عطه الذين بدرعة لما سمعوا بقربه منهم خرجوا من القصور هاربين وتركوها يبابا وتحصنوا بجبل صاغرو ، ولما دخل السلطان مراكش سرح العساكر الى السوس لتفقد أحواله وجباية أمواله وتمهيد أطرافه ، وأخذ هو رحمه الله فى استصلاح قبائل الحوز من دكالة وعبدة والشياظمة فقتل وغزا وسجن وولى من ولى ، وطهر تلك الاعمال من ولاة السوء الذين كانوا بها ، وعاد الى حضرته بفاس ، وكان دخوله اليها سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وألف ، ولما دخلها أخذ فى تجهيز ولديه المولى على والمولى عمر لاداء فريضة الحج الى أن استوفى الغرض فى ذلك ، وعين من يتوجه معهما من الخدم والتجار وسائر الحاشية ، وخرجا مع الركب النبوى على الهيئة

المعهودة فى حفظ الله ، وفى هذه السنة عزل السلطان وصيفه ابن عبد الصادق عن فاس وولى عليها كاتبه أبا العباس أحمد الرفاعى الرباطى الدعو القسطالى ، كان يعلم أولاده فنقله عن ذلك الى مرتبة الولاية وأوصاه أن يسير بالعدل فى الضعفاء والمساكين ، ويشتد على الفجرة والمتمردين ، وفى هذه السنة عشية يوم الاثنين سابع ربيع الثانى منها توفى الشيخ العلامة المحقق الاديب البليغ أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن حمدون بن عبد الرحمن السلمى المرداسى الشهير بابن الحاج صاحب التآليف الحسنة ، والفوائد المستحسنة، والخطب النافعة، والحكم الجامعة ، رحمه الله ونفعنا به .

وفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف عزل السلطان الفقيه أبا العباس عن فاس لعجزه عن القيام بالخطة وولى على فاس خديمه الحاج أبا عبد الله محمد الصفار من بيت رياسة ، وفى هذه السنة أبطل السلطان الجهاد فى البحر ومنع رؤساءه من القرصنة به على الاجناس ، وفرق بعض قراصينه على الايالات المجاورة مثل الجزائر وطرابلس ، وما بقى منها أنزل منها المدافع وغيرها من آلة الحرب وأعرض عن أمر البحر رأسا بعد أن كانت قراصين المغرب أكثر وأحسن من قراصين صاحب الجزائر وتونس ، قاله منويل ، وفى هذه السنة قدم ولدا السلطان المولى على والمولى عمر من المشرق مع الركب ونزلوا بثغر طنجة، وكان السلطان قد بعث اليهما بمركب من مراكب النجليز فانتهى الى الاسكندرية وحملهما ومن معهما من الخدم والتجار وسائر الحاج ، ولما نزلوا بطنجةحدث الوباء بالمغرب فقال الناس : ان ذلك بسببهم ، فانتشر أولا بتلك السواحل ومنها شاع فى الحواضر والبوادى الى أن بلغ فاسا ومكناسة فى بقية العام .

ولما دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف شاع الوباء وكثر فى بلاد الغرب فتوجه السلطان الى مراكش وكان الامر لا زال محتملا ، ثم زاد وتفاحش حتى أصاب الناس منه أمر عظيم ، وفى هذا الوباء توفى الشيخ المرابط البركة سيدى العربى بن الولى الاشهر سيدى المعطى بن

الصالح الشرقاوى ، وضريحه شهير بأبى الجعد رحمه الله ونفعنا به وأسلافه آميـــن .

وقعة ظيان وما جرى فيها على السلطان المولى سليمان رحمه الله

لما وصل السلطان رحمه الله الى مراكش سنة أربـــع وثلاثين ومائتين وألف ، أقام بها الى رجب منها ثم أخذ فى الاستعداد لغزو برابرة فازاز ، وهم آيت ومالو بطن من صنهاجة ، وعرفت الوقعة بوقعة ظيـان فخذ منهم ، فحشد السلطان رحمه الله عرب الحـــوز كلهـم وكتب الى العبيد بمكناسة يأمرهم أن يوافوه بتادلا ، وكتب الى ولده وخليفته بفاس المـولى ابراهيـم أن يوافيه بها بجيش الودايا وشراقة وعرب الغرب وبرابرته وعسكر الثغور ، وكان الناس يومئذ فى شدة من هذا الوباء الذى عـم الحواضر والبوادى ، وكان السلطان لما أخذ فى استنفار هذه القبائل لا علم لـه بتفاحش الوبـــاء بالمغرب ، وكان الواجب على ابن السلطان أن يعلـم أباه بما الناس فيـــه مـن فتنة الوباء فيعفيهم من الغزو أو يؤخره الى يوم مـا ، فجمع ولـــد السلطان الجموع وجلهم كاره ، وسار لميعـاد أبيه فوافاه بتـادلا ، فاجتمـع للسلطان فيما يقال من الجيوش نحو ستين ألفا وزحف الى البربـر فانتهى الى بسيط آدخسان وبها مزارع البربر وفدنها ، فأرسل السلطـان الجيوش فى تلـــك الزروع وكانت شيئا كثيرا فأتوا عليها ، وبعث البربر اليه بنسائهم وولدانهم للشفاعة وأن يدفعوا للسلطان كل ما يأمرهم به من المال وينصرف عنهم فأبى ، وزحف اليهم فقاتلهم يوما الى الليل ، ولقد أخبرنى من حضر الوقعـــة أن المقاتلة كانت فى هذا اليوم من عرب الغرب ومن برابرة زمور وجـــروان وآيت ادراسن ، الا أن القتل استحر فى العـــرب دون البربر ، وذلك أن كبير زمور الحاج محمد بن الغازى دس الى ظيان بأنما نحن وأنتم واحد ، فاذا كان اللقاء فلا ترمونا ولا نرميكم الا بالبارود وحده ، وذلك أن السلطان

لما قدمهم للقتال فى أول يوم منه وأخر عرب الحوز استرابوا بأنه انما أراد أن يصدم بعضهم ببعض ، وتسلم له العرب ففعل ابن الغازى ما فعل ، ولما راح مقاتلة العرب مع العشى أخبروا السلطان بأن هؤلاء البربر الذين معنا لا أمان فيهم وانما ظلوا يتراموں بالبارود لا غير ، ولاجل ذلك قد هلك من اخواننا كثير ولم يهلك منهم أحد ، فأسرها السلطان فى نفسه ولم يبدها لهم، ولما كان الغد وركب الناس القتال أرسل الى البربر أن لا يركب منهم أحد وقال لهم : انى أردت أن أجرب العرب اليوم وأختبر فائدتهم ، فأظهروا الطاعة وتقدم العرب الى القتال وأقام البربر فى أخبيتهم الى منتصف النهار ، ثم ركبوا خيولهم وتسابقوا اليها عن آخرهم ، قال المخبر بهذا الخبر: شاهدتهم ساعة ركبوا فكنت لا ألتفت الى جهة الا رأيتها حمراء من كثرة سروجهم التى كانت على ظهور الخيل اذذاك ، ثم تصايحت البربر فيما بينها وتقدمت براياتها الى الجهة التى فيها القتال وأتوا من خلف العرب الذين كانوا فى نحر العدو وهم يتصايحون فلم يردهم الا صياح البربر من خلفهم وراياتهم قد أطلت عليهم من كل جهة وكانت شيئا كثيرا ، فظنوا أن ظيان قد التحقتهم من خلفهم فخشعت نفوسهم وفشلوا ورجعوا منهزمين لا يلوى حميم على حميم، فأخذتهم البربر من بين ايديهم ومن خلفهم يقتلون ويسلبون ، وحصل انزعاج كبير فى المحلة وتمت الهزيمة عليها ، ولم يبق بها الا جيش الودايا والعبيد، هكذا أخبرنى من شاهد هذه الوقعة ممن يوثق به

وساق صاحب الجيش الخبر عنها بأن قال : كان انخذال برابرة زمور برأى كبيرهم الحاج محمد بن الغازى ، وكانت له وجاهة فى الدولة وكان الحسن بن حمو واعزيز كبير آيت ادراسن يساميه فى المنزلة ، ولما خرج المولى ابراهيم بن السلطان فى هذه الغزوة كان ابن واعزيز قد حظى لديه حتى صار من أخص ندمائه، فنفس ابن الغازى عليه ذلك ودبر بأن جر الهزيمة على الجيش اجمع ، فانه أظهر الفرار وقت اللقاء حتى سرى الفشل فى الناس وانهزموا ، ثم عطفت البرابر مع العشى على محلة السلطان فشرعوا فى نهبها وأحاط عسكر العبيد بها من كل جهة ، وصاروا يقاتلون البربر على أطراف

الاخبية ، ولما أقبل المساء ترك العبيد الاخبية وأرزوا الى افراك السلطان ، وصار القتال على أفراك الى وقت العشاء فهلك من العبيد خلق كثير وصار القتال بالسيوف والرماح ، وما زال أصحاب السلطان يترسون عليه بأنفسهم حتى عجزوا عن الدفاع ، وخلص البربر الى السلطان وأراد رجل منهم يقال انه من بنى مكيلد أن يجرده فأعلمه بأنه السلطان ، فاستحلفه البربرى فحلف له، فنزل عن فرسه وأركبه وطار به الى خيمته ، وكان البربر يلقونه وهو ذاهب به فيقولون: من هذا الذى معك فيقول : أخى أصابته جراحة، ولما وصل به الى خيمته أعلن بأنه السلطان فأقبلت نساء الحى من كل جهة يفرحن ويضربن بالدفوف ، ثم جعلن يتمسحن بأطرافه تبركا به وينظرون اليه اعجابا به حتى أضجرنه ، ولما جاء رجال الحى أعظموا حلوله بين أظهرهم وأجلوه ، وسعوا فيما يرضيه ويلائمه من وطاء ومطعم ومشرب بكل ما قدروا عليه ، فلم يقر له قرار معهم ، ويقال انه بقى عندهم ثلاثا لا يأكل ولا يشرب أسفا على ما أصابه ، الا انه كان يسد رمقه بشىء من الحليب والتمر ، وتنصل البربر له مما شجر بينهم وبينه وأظهروا له غاية الخضوع والاستكانة حتى أنهم كتفوا نساءهم وقدموهن اليه مستشفعين بهن على عادتهم فى ذلك ، وبعد ثلاث أركبوه وقدموا به فى جماعة من الخيل الى قصبة آكراى فنزلوا به قريبا منها ، وبعث رحمه الله الى مكناسة يعلم الجيش بمكانه ، فجاءوه مسرعين ، ودخل مكناسة بعد أن أحسن الى ذلك الفتى البربرى والى جميع أهل حيه غاية الاحسان ، وأمر رحمه الله أن يعطى لكل من أتى سليبا من المنهزمين حائك وثلاثون أوقية ، ففرق من ذلك شيئا كثيرا بباب منصور العلج من مكناسة ، وأصيب المولى ابراهيم ابن السلطان فى هذه الوقعة بجراحات معظمها فى رأسه فحمل جريحا الى فاس فمات بها ، وكانت مصيبته على السلطان أعظم مما أصابه فى نفسه والامر لله وحده

قال صاحب الجيش : كان السلطان الحازم سيدى محمد بن عبد الله لا يرد الشفاعة فى مثل هذا المقام وربما دس الى من يظهر ذا لكصورة حتى يكون نهوضه عن عز وذلك من حسن سياسته ، وكانت هذه الوقعة الفادحة

سبب سقوط هيبة السلطان المولى سليمان من قلوب الرعية فلم يمتثل له بعدها أمر فى عصاتها حتى لقى الله تعالى

ولما دخلت سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف كثر عيث البربر وافسادهم السابلة ، واستحوذوا على مزارع مكناسة ومسارحها ، فنصب لهم السلطان رحمه الله حبالة الطمع وكادهم بها بأن صار كلما وفد عليه جماعة منهم كساها وأحسن اليها ، فتسامعوا بذلك فقادهم الطمع الى أن وفد عليه منهم فى مرة واحدة سبعمائة فارس من أعيانهم فقبض عليهم وجردهم من الخيل والسلاح وأودعهم السجن ، ثم أمر بالقبض على كل من وجد منهم بسوق مكناسة وصفرو فقبض بصفرو على نحو الثلاثمائة من آيت يوسى ، وقامت بسبب ذلك فتنة البربر على ساق ، فانهم امتعضوا لمن قبض عليه من اخوانهم وزحفوا الى مكناسة وحاصروها وجاءوا معهم بدجالهم أبى بكر مهاوش وتحزبوا وصاروا يدا واحدة على كل من يتكلم بالعربية بالمغرب ، وكان مهاوش فى هذه الايام قد امر امره لانه لما عزم السلطان على غزوهم كان يعدهم بأن الظهور يكون لهم ، فلما صدق عليهم ظنه اعتقدوه وافتتنوا به وزحفوا الى مكناسة فضيقوا على السلطان بها ، فجعل رحمه الله يعالج أمرهم بالحرب تارة والسلم أخرى الى أن طلبوا منه أن يسرح لهم اخوانهم ويرجعوا الى الطاعة والدخول فى الجماعة ، فسرحهم لهم على يد المرابط أبى محمد عبد الله بن حمزة العياشى ، فلما ظفروا باخوانهم نقضوا العهد الذى أخذ عليهم المرابط المذكور وعادوا الى العيث وافساد السابلة ، ثم تبعهم على ذلك قبائل العرب واختلط الحابل بالنابل واشتد الامر وبلغ الحزام الطبيين ولله در العلامة أبى مروان عبد الملك التاجموعتى اذ يقول :

هم البرابر لا ترجو نوالهم ... وسل من الله تعجيل النوى لهم
لا بلغ الله قلبا منهم أملا ... وبلغ الله قلبى ما نوى لهم

ثم لما سقطت هيبة السلطان وزال وقعه من القلوب سرى فساد القبائل الى الجند ، فان العبيد عدوا على كبيرهم القائد أحمد بن مبارك صاحب الخاتم فقتلوه افتياتا على السلطان، مع أنه كان من أخص دولته لنجابته وكفايته وديانته،

واعتماد السلطان عليه في سائر مهماته ، ولما قتلوه اعتذروا للسلطان بأعذار كاذبة فقبل ظاهر عذرهم وطوى لهم على البت

قال أكنسوس : كان القائد أحمد وأبواه واخوته قد أعطاهم السلطان سيدى محمد بن عبد الله لابنه المولى سليمان ، فنشأ القائد أحمد في كفالته وتخلق بأخلاقه من زمن الصبا الى مماته ، وكانت حياته مقرونة بسعادة السلطان العادل المولى سليمان ، فانه من يوم قتل رحمه الله سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف لم يلتئم شمل المملكة حتى توفى السلطان المذكور

ذكر آل مهاوش وأوليتهم وما آل اليه امرهم

أما الذى كان منهم في دولة السلطان سيدى محمد بن عبد الله فاسمه محمد وناصر ، والواو فى لغة البربر بمعنى ابن ، وكان والده مرابطا من آيت مهاوش ، فرقة من آيت سخمان منهم ، وكان جده أبو بكر من أتباع الشيخ أبى العباس سيدى أحمد بن ناصر الدرعى رحمه الله ، وكان الشيخ المذكور قد جرى فى مجلسه يوما ذكر الدجال فقال الشيخ : لا يخرج الدجال حتى تخرج دجاجيل من جملتهم مهاوش ، ومعناه من جملتهم ولد هذا الرجل ، فكان الامر كذلك فانه لما شب محمد وناصر قرأ القرآن والعربية والفقه وحصل على طرف من علم الشريعة ، ثم تنسك وتزهد ولبس الخشن فيقال انه حصل له نوع من الكشف شاع به خبره عند البربر ، وأكبوا عليه . واشتهر أمره أيام السلطان سيدى محمد بن عبد الله ، ولما انتهى اليه أمره نهض الى قبيلة جروان الذين كانوا يخدمونه فنهبهم بسببه ، وفر مهاوش الى رؤوس الجبال ، وبقى مختفيا الى أن بويع السلطان المولى يزيد رحمه الله ، وكان قد اتصل بمهاوش قبل ولايته وذلك حين فر من والده ولجأ اليه حسبما مر ، فآواه مهاوش وأحسن اليه

ولما بويع السلطان المذكور وفد عليه مهاوش فى جماعة من قومه ففرح

بهم المولى يزيد ، وأعطى مهاوش عشرة آلاف ريال ، وأعطى الذين قدموا معه مائة ألف ريال ، ولما هلك محمد وناصر هذا ترك عدة أولاد أكبرهم أبو بكر ومحمد والحسن ، الا أنهم تبعوا سيرة أبيهم فى مجرد الدجيل والتمويه على جهلة البربر وتثبيطهم على طاعة السلطان ، ولم يكن معهم ما كان مع والدهم من التظاهر بالخير والدين ، فامر أمرهم عند أهل جبل فازاز واعتقدوهم ووقفوا عند اشارتهم ، ثم لما جاءت دولة السلطان المولى سليمان رحمه الله ، واتفقت له الهزيمة التى مر ذكرها وامتلات أيدى البربر من خيل المخزن وسلاحه وأثاث الجند وفرشه بطروا وظهر لهم ان ذلك انما نالوه ببركة مهاوش ، لانه كان يعدهم بشىء من ذلك ، فتمكن ناموسه من قلوبهم واستحكمت طاعتهم له وتمردوا على السلطان بسبب ما كانوا يسمعون منه ، الا أن كيده كان قاصرا على أهل لسانه ووطنه ، لا يتعداهم الى غيرهم، ثم بعد ذلك بزمان انطفأ ذباله ولم يزل فى انتقاص الى الآن ، والله غالب على أمره

حدوث الفتنة بفاس وقيامهم على عاملهم الصفار

لما توالت هذه الفتن على السلطان رحمه الله وانفتقت عليه الفتوق وصار الناس كأنهم فوضى لا سلطان لهم ، قام عامة أهل فاس على عاملهم الحاج محمد الصفار ، فأرادوا عزله وتعصبت له طائفة من أهل عدوته وافترقت الكلمة بفاس حتى أدى ذلك الى الحرب وسفك الدماء ونهب الدكاكين ، وتراموا بالرصاص من أعلا منار مسجد الرصيف ، وبلغ ذلك السلطان وهو يومئذ بمكناسة يعالج داء البربر فزاده ذلك وهنا على وهن ، فكتب الى أهل فاس كتابا شحنه بالوعظ والعتب وأمر ابنه المولى عليا أن يقرأه عليهم، فجمعهم وقرأه عليهم حتى سمعوه وفهموه ، ونص الكتاب المذكور :
(بسم الله الرحمن الرحيم) وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم ، الى

أهل فاس السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعـــد ، فان العثمانى باصطنبول وأمره ممتثل بتلمسان والهند واليمن وما رأوه قط ولكن أمر الله يمتثلون ، (يأأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم) وكان صلى الله عليه وسلم لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح واعلموا أن العمال ثلاثة ، عامل أكل السحت وأطعمه الغوغاء والسفلة ، وعامل لم يأكل ولم يطعم غيره انتصف من الظالم ، وعامل أكل وحده ولم يطعم غيره ، فالاول تحبه العامة والسفلة ويبغضه الله والسلطان والصالحـــون ، والثانى يحبه الله ويكفيه ما أهمه من أمر السلطان ، والثالث كعمـــال اليوم يأكـــل وحده ويمنع رفده ولا ينصر المظلوم فهذا يبغضه الله ورسوله والسلطـــان والناس أجمعون ، وهذا معنى حديث أزهد فيما فى أيـدى الناس يحبـــك الناس الخ . وحديث العمال ثلاثة الخ . فلو كان للصفار مائدة خمر وطعـام يأخذه من الاسواق ، ويتغدى عنده ويتعشى السفلة والفساق ، ويدعو اليوم ابن كيران ، وغدا ابن شقرون ، وبعده بنيس وابن جلون ، ويفرق عليهـم من الذعائر لاحبوه وما قاموا عليه ، ولو أردتـــم النصيحـــة لله ولرسوله ولاميره لقدم علينا ثلاثة منكم أو ذكرتم ذلك لولدنا مولاى على أصلحه الله فأخبرنا بذلك ، وقل للصفار الكلاب لا تتهارش الا على الطعام والجيف ، فاذا رأت كلبا بباب دار سيده ولا شيء أمامه لم تعرج عليه ، وان رأته يأكل فان هو تعامى وأشركهم فيما يأكل أكلوا معه وسكتوا ، وان هو قطب وجهه وكشر عن أنيابه تراموا عليه وغلبوه على ما فى يده، وهذا الصفار لم يتق الله ويزهد الزهد الذى ينصره الله به ، ولم يلاق الناس بوجه طلق ويطرف مما يأكله فسلطهم الله عليه ، ولما رأى يوسف بن تاشفين النعمة التى فيها ابـــن عباد قال : أكل أصحابه وأعوانـه مثلـه ؟ فقالــوا لا فقـــال : انهم يبغضونه ويسلمونه للمكاره لاستبداده دونهم ، ولتغيير المنكر شروط وما يعقلها الا العالمون ، وكم من مرة قلنا لكم العلماء هم ينكرون ما ينكر ويعلموننا بمـــا كان ، ولكن الجلوس بلا شغل ، والفراغ وعدم الحمد حملكم على ما يحرم عليكم الكلام فيه

ان الشباب والفراغ والجده   مفسدة للمرء أى مفسدة

وأما بيت مال الله والاحباس فالله حسيب من بدل ، وقد كنتم تتكلمون على المكس والحرير والقشينية وغير ذلك فأرى حكم الله من ذلك ، وانظروا لمن تعرفونه من العمال ، وأما الفسق فهو عادة وديدن كل من قام فى الفتنة وكم مرة رمت قطعه فلم أجد اليه سبيلا ، لان جل كبرائكم بالمصارى والعرصات ، وانما أولى عليكم البرانى لانكم لا تحسدونه وان أكل وحده ، والحاسد يريد زوال النعمة عن محسوده ، والتجار لان التاجر لا يطمع فى مال أحد ، ويكفيه الرفعة والجاه لنماء ماله ، وانظروا ما أجبتكم به وما كتبتم لنا به واعرضوه على فقهائكم ، فمن قال الحق منا ومن قال الباطل ، أخذتم بحظكم من الفتن اه

وهذه الرسالة قد شرحها الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن عبد الكريم اليازغى ، وكان أهل فاس قد كتبوا الى السلطان رحمه الله فى شان عاملهم الصفار المذكور ، واعتذروا عن خروجهم عليه بأنه اشتغل بما لا يرضى الله من الفسق ، ومد اليد الى الحريم ، فأنكروا عليه فأجاب السلطان رحمه الله بالرسالة المذكورة

خروج السلطان المولى سليمان من مكناسة الى فاس وما لقى من سفهاء البربر في طريقه اليها

قد تقدم لنا أن البربر طلبوا من السلطان تسريح اخوانهم وانه بذلك تصلح أحوالهم ويراجعون الطاعة ، ولما سرحهم نكثوا العهد وازدادوا تمردا فلما أعيا السلطان أمرهم وكل أمرهم الى الله وعزم على الخروج من مكناسة الى فاس ، لما حدث بها من الشغب أيضا ، فولى على مكناسة ، وجند العبيد ولده المولى الحسن ، وكان له علم وحزم ، ثم خرج السلطان رحمه الله من

مكناسة ليلا على خطر عظيم ، وأسرى ليلته ولم يعلم البربر بخروجه حتى أصبح وقد جاوز المهدومة وشارف وادى النجاة ، فتبعوه على الصعب والذلول ونهبوا كل من تخلف من الجيش واستولوا على كثير من روام السلطان ، وكان مع السلطان فى تلك الليلة المرابط البركة أبو محمد عبد الله بن حمزة العياشى ، فجعل يكف البربر عن الجيش فلم يغن شيئا لانه كان كلما كفهم من ناحية أغاروا من ناحية أخرى ، وخلص السلطان الى فاس وقد ازداد حنقه على البربر ، فلما دخلها أمر بنهب دور البربر القاطنين بفاس فنهبوا كل من فيه رائحة البربرية ولو قديما ، فكان ذلك فتنة فى الارض وفسادا كبيرا ، وأقام السلطان بفاس الى رجب من السنة المذكورة أعنى سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف ، ثم خرج لاصلاح نواحى بلاد الهبط فوصل فى خرجته هذه الى قصر كتامة فمهد تلك البلاد وأمن سبلها ، ورجع الى رباط الفتح فقدم عليه بها قبائل الحوز على بكرة أبيهم من حاحا والشياظمة وعبدة والرحامنة وأهل السوس والسراغنة وزمران وأهل دكالة وقبائل الشاوية وتادلا ، وقدم عليه أيضا قبائل بنى حسن وعبيد الديوان ، وقبض فى هذه المرة على نحو المائة من زعير واودعهم السجن ، ودخل شهر رمضان ففرق عمال القبائل كلا الى عمله ، وأمرهم بالقدوم عليه لعيد الفطر ويستصحبوا زكواتهم وأعشارهم ، وكان قد عزم على المقام برباط الفتح الى أن يقيم سنة العيد به ، وتجتمع عليه العساكر فيتوجه بها لغزو البربر ، ثم بداله رحمه الله فسافر مع قبائل الحوز الى مراكش فى عاشر رمضان المذكور

ذكر ما حدث من الفتن بفاس واعمالها بعد سفر السلطان المولى سليمان الى مراكش

لما عزم السلطان المولى سليمان رحمه الله على السفر الى مراكش ندب جند العبيد الى السفر معه فتثاقلوا عليه ، وظهر منهم قلة المبالاة به وأحس منهم بذلك فأعرض عنهم ، وبعد يوم أو يومين انسل من بين أظهرهم وقصد محلة أهل الحوز ، فدخل قبة القائد محمد بن الجيلانى ولد محمد الصغير السرغينى وكان السلطان يطمئن اليه منذ كان رفيقه فى نكبتـه عند ظيان اذ كان ابـن الجيلانى المذكور مأسورا عندهم وسرحوه للسلطان فرافقه الى مكناسـة حسبما مر ، ولما احتل السلطان بمحلة أهل الحوز ازداد فساد نيـة العبيد ، وسافر السلطان الى مراكش وترك مضاربه وأثاثه بيدهم فتوزعوها وعادوا الى مكناسة وسمع الناس بما ارتكبه هؤلاء العبيد فى حق السلطان ، فعـاد شباب الفتنة الى عنفوانه ، وسرى فى الحواضر والبوادى سم افعوانه ، فخب عبيد مكناسة بعد قدوم اخوانهم عليهم فى الفتنـة ووضعوا وامتنـع عمـان الغرب وبنى حسن من دفع الزكوات والاعشار ، وطردوا جبـاة السلطان وعمد الودايا بفاس الى حارة اليهود التى بين أظهرهم بفاس الجديد فانتهبوها واستصفوا موجودها ، وأخذوا ما كان تحت أيدى اليهود من كتان وحـرير وفضة ، وذهب لتجار أهل فاس اذ كانوا يخيطون لهم ويصنعون ما تدعـو الحاجة الى خياطته وصنعته فضاعت فى ذلك أموال لا يحصيها قلم حاسب ، ثم جردوهم رجالا ونساء وسبوا نساءهم ، وافتضوا أبكارهم ، وسفكوا دماءهم ، وشربوا الخمور فى نهار رمضان ، وقتلوا الاطفال ازدحاما على النهب ، ثم تجاوزوا هذا كله الى حفر البيوت على الدفائن ، فوقعوا بسبب ذلك على أموال طائلة ، ولما رأوا ذلك قبضوا على أعيانهم وتجارهم وصادروهم بالضرب والنكال ليدلوهم على ما دفنوه من المال ، ومن عنده يهودية حسناء حالوا بينـه وبينها حتى يفتديها بالمال ، وكان هذا الحادث العظيم فى الثـالث عشر من رمضـان

سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف ، ولما فرغوا من اليهود التفتوا الى أهل فاس فاستاقوا السرح وبهائم الحرث والجنات ، ومنعوا الداخل والخارج ، فقام بفاس هرج عظيم وغلقوا الابواب ومالوا على من وجدوه من الودايا داخل البلد فأوقعوا بهم ونهبوهم ، وحمل الناس السلاح ونقلت البضائع والسلع من الاسواق الى الدور خوفا عليها ، واجتمع أهل الحل والعقد منهم فعينوا من يقوم بأمرهم فقدم اللمطيون رجلا منهم يقال له الحاج احمد الحارثى ، وقدم أهل العدوة رجلا منهم يقال له قدور المقرف ، وقدم أهل الاندلس رجلا منهم يقال له عبد الرحمن بن فارس ، فضبطوا البلد ، وبينماهم كذاك قدم عليهم جماعة من أعيان الودايا وتلافوا أمرهم معهم والتزموا رد ما نهبوه لهم من السرح وما نهب فى جملة أموال اليهود مما كان يصنع عندهم ، فخمدت بذلك نار الفتنة بعض الشىء ، وقد قال أدباء الوقت فى هذا الخطب الذى اتفق فى هذه المدة جملة من الاشعار ، من ذلك قول الكاتب البارع أبى عبد الله محمد بن ادريس الفاسى :

أعين العين للمحبين داء ... والدوا فى شفاهها والشفاء
فاذا ما رمين سهما نصب ... فالهوى قد هوى به والهواء
كيف يعدل نحو رأيى عذول ... من رمته ظبى اللحاظ الظباء
سعد ساعد أخا الغرام بقرب ... من سعاد فقد عناه العناء
زارنى ضيف طيفها فشجانى ... وسرى الطيف للمحب جباء
هب شوقى اذهب نشر كباها ... وعرتنى من ذكرها العرواء
فسقى عهدها العهاد وحيا ... الملك العادل الحياء الحياء
ليس الا أبا الربيع ربيع ... خلقه الجود والجدى والوفاء
بسليمان قد سلمنا وسدنا ... فالعلى منزل له والعلاء
ملك ملك العلا والمعالى ... وسما فله الفخار سماء
غرة المجد درة العقد من قد ... راق من فضله السنا والسناء
نجل خير الورى وأفضل من قد ... نبأت بظهوره الانبياء
من اذا رجاه راج لنول ... قبل حل الحبى أتاه الحباء

خلق دمث وخلق بهي — من ذكي نوره تغار ذكاء
كفه كفت الفساد وكفت — كل عاد فما له أكفاء
راحة راحة لكل فقير — بحياء تحيا به الاحياء
روضة راضت العلوم ولكن — عرفها العرف والثراء الثناء
قد روى فضله الافاضل طرا — فعلى الفضل والرواة رواء
لابى القاسم الظيانى لديهم — فضل سبق له علا وعلاء
جمع الوصف أحكم الرصف صدق — وأتاه الانشاء كيف يشاء
صالح ناصح أمين رصين — قد ثناه الى علاك السماء
كيف لا يحسن السناء ويسمو — في امام له المعالى رداء
انما هو معجز مستقل — يقتدى بفعاله العقلاء
بسط العدل في البسيطة فالدي — ن له بسطة به وارتقاء
وغدا باقامة الدين فالغر — ب غريبا أنصاره الغرباء
لم يجد في البرابر الغلف برا — شأنه البر في البدا والبراء
نقضو العهد خالفوا الامر والنه — ى الا انهم هم السفهاء
خالفوا منتقى الخلائق جهلا — بعماهم فلا عداهم عماء
عادة في جدودهم جددوها — لهم الدهر الارتداد ، رداء
قد دعاهم مهاوش لضلال — فعليهم وبالهم والوباء
شق جهلا عصا الامام شقاق — وعصى الله لا هناه الهناء
واقتفى اثرهم الغواة ضلالا — فغاباهم ما أن عليه غباء
واذا خبثت أصول فروع — لاح من فعلهم عليه لواء
وكذا العرب أعربوا عن مسو — فهم في سوى الخروج سواء
نافقوا رافقوا الخبيثين كفرا — همزوا لمزوا فليس براء
والودايا جاءوا بادوء عيب — داؤهم ما له الزمان دواء
قتلوا سلبوا أخافوا وحافوا — ما ثناهم عن القبيح ثناء
ما رعوا ذمة ولا فعل ذم — بل عراهم من الحياء عراء
وامام الانام يحلم عنهم — ويوالى وما يفيد الولاء

نهبو حارة اليهود وهدوا | دورهم وعرى النساء سباء
لو تراهم بين الرعايا عراة | يحتذيهم رجالهم والنساء
خفروا ذمة النبى فذموا | لعماء فلا سقاهم عماء
ياامام الهدى عليك بقوم | ملأ الغرب بغيهم والبغاء
قد طم ظلمهم وعم أذاهم | وانجلى عنهم فحق الجلاء
كم سدلت عليهم أى ستر | ووهبت فما أفاد العطاء
وحدوت الى الرشاد فحادوا | ودعوت فما أفاد الدعاء
نلت رشدا برشدهم وجهادا | فأبى منهم الرشاد ابناء
واذا خذل الاله اناسا | من محياهم يزول الحياء
فعبيد الاله خير عبيد | قد كفى منهم الامام كفاء
حاربوا ضاربو على الحق راعوا | ذمة الله لا عداهم علاء
فاتخذهم مواليا وجنودا | واصطفيهم فانهم أصفياء
قد أصاب الاعادى منهم عذاب | ودهى منهم الدهاة دهاء
واذا سخر الاله أناسا | لسعيد فانهم سعداء
يااله الانام خذ بيديه | وأعنه فقد عنا العناء
فينام الانام فى ظل أمن | ورداه للماردين رداء
وعليه السلام ما سار سار | وشدت فوق ورقها الورقاء

ثم حدث على تفئة ذلك فتنة أخرى بفاس بسبب نزاع جرى بين قاضيها الفقيه أبى الفضل عباس بن احمد التاودى ، وبين مفتيها الفقيه أبى عبد الله محمد بن ابراهيم الدكالى ، فى قضية الشريفين الشفشاونى والعراقى من أهل فاس ، وهى معلومة فانهى الامر الى السلطان فأخر الفقيه أبا عبد الله عن الفتوى فغضب للمفتى جماعة من المدرسين وطلبة العلم وتعصبوا له ، وتحزبوا على القاضى ، فكتبوا رسما يتضمن الشهادة بجوره وجهله ووضعوا خطوطهم وناطوا به قصيدة تتضمن الشكوى به وشرح حاله للسلطان ، ووجهوا بهما اليه ونص القصيدة :

ياأيها الملك الذى عدالته | أحيت مآثرها الصديق أو عمرا

يا أيها الملك الذي مناقبه ... في غرة الدهر قد لاحت لنا قمرا
أنت الذي وضع الاشياء موضعها ... وفي العلوم الذي أحيا الذي اندثرا
أنت الذي صير الدين القويم كما ... أوصى به من سما الاملاك والبشرا
ولم يزل بك في عز وفي حرم ... يجني ذوو العلم من رياضه ثمرا
تذب عنه بأسياف وآونة ... بفكرة تحكم الاحكام والصورا
ومن يرم هدمه تأخذه صاعقة ... من راحتيك فلا تبقى له أثرا
وقد شكا الدين من هضم ومن كمد ... أصابه فهو يبكي الدمع منهمرا
سطت عليه يد القاضي الذي غمرت ... أقضية الجور منه البدو والحضرا
أعفى مراسمه جورا وأبدله ... جهلا بما يذهب الالباب والفكرا
جاء الولاية وهو من شبيبته ... يرى القضا حرفة يجني بها وطرا
فلم يكن همه فيه سوى قنص ... أو نخوة تترك الضعيف منكسرا
أما حقوق الورى فانها عدم ... مجهولة جعلت منبوذة بعرا
فاستنقذت ملة المختار جدك من ... هذا الذي ما درى وردا ولا صدرا
يأتي الحكومة عباسا ومنقبضا ... مما به من سقام يجلب الكدرا
فلا يرى أرسم الخصمين من ملل ... لكن يحكم أوهاما بها جهرا
ويستبد برأيه وحيث بدت ... فتوى يتبصره ألقى بها حجرا
ولا يمكن خصما قد دعاه الى ... تسجيله ما رأى في الحكم معتبرا
ملت قلوب الورى منه وليس لهم ... الاك يامن به الاسلام قد نصرا
ضجوا لعزتكم يشكون سيرته ... بعبرة تترك الفؤاد منفطرا
فادركن ياعماد الدين صارمه ... رعية ترتجي من حلمكم مطرا
فأنزلنه لقد طغى بعزته ... ولم يخف في غد لظى ولا سقرا
واصرفه عنهم كصرفه ضعيفهم ... واعزله عزلا فان الامر قد أمرا
فأنت غيثهم ان ازمة أزمت ... وأنت كهفهم ان حادث ظهرا

ولما وصل الرسم والقصيدة الى السلطان رأى أن ذلك من التعصب الذي يحدث بين الاقران فرفضه لكمال أناته وعقله ، ولم يقبل شهادة عالم على مثله ، فلما رأوا ان السلطان لم يساعدهم هجموا على القاضي

وهو بمجلس حكمه وأرادوا قتله ، وسدد نحوه الشريف أبو عبد الله محمد الطاهر الكتانى كابوسا أخرجه فيه فأخطأه ، فانزعج القاضى ولزم بيته وقدموا مكانه الفقيه أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدلائى ، ثم عزلوه وولوا مكانه الفقيه أبا عبد الله محمد العربى بن أحمد الزرهونى فكانت عاقبة أمره أنه لما أفضى الامر الى السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام رحمه الله نفاه الى الصويرة والله تعالى أعلم .

خروج اهل فاس على السلطان المولى سليمان وبيعتهم للولى ابراهيم بن يزيد والسبب في ذلك

لما استمر السلطان المولى سليمان رحمه الله مقيما بمراكش والفتن بفاس وسائر بلاد الغرب قد تجاوزت مداها ، وعم أذاها ، ورفعت الشكايات اليه من فاس وغيرها بما الناس فيه من الكرب العظيم ، والخطب الجسيم ، كتب رحمه الله بخط يده كتابا الى أهل فاس يرشدهم الى ما فيه صلاحهم من حلف البربر والاعتماد عليهم فى حراسة بلادهم وسائر مرافقهم كما كانوا قديما أيام الفترة فى دولة السلطان المولى عبد الله الى أن يفرغ من شأن الحوز ويقدم عليهم ، هكذا زعم صاحب البستان

قال أكنسوس : كان مراد السلطان بذلك الكتاب تهييج أهل فاس على التمسك بطاعته وترغيبهم فى محبته ونصرته ، وقد فعل مثل ذلك بمراكش ، فانه جمع أعيانها وأعيان الرحامنة عقب صلاة الجمعة وقال لهم : « قد رأيتم ما جرت به الاقدار من فساد قلوب الرعية وتمادى القبائل على الغى والفساد ، ومن يوم رجعنا من وقعة ظيان ونحن نعالج أمر الناس فلم يزدادوا الا فسادا ، وقد جرى على الملوك المتقدمين أكثر من هذا فلم ينقصهم ذلك عند رعيتهم بل قاموا معهم وأعانوهم على أهل الفساد حتى

أصلحوهم ، وانى قد عجزت بشهادة الله لانى ما وجدت معينا على الحق ، وكم مرة تحدثنى نفسى أن أترك هذا الامر وأتجرد لعبادة ربى حتى أموت » فقال من حضر من أعيان الرحامنة وغيرهم : «يامولانا بارك الله لنا فى عمرك وجعلنا فداءك ، ونحن أمامك ووراءك ، فمرنا بما تشاء فقولك مطاع ، وأمرك ممتثل ، وما رأينا منك الا الخير » فسر السلطان بمقالتهم ودعا لهم بخير ، ولما فعل مع أهل مراكش هذا الامر أراد أن يسلك مثله مع أهل فاس فوقع ما وقع ، ولما بعث السلطان بالكتاب المذكور الى ابنه المولى على بفاس أمره أن يقرأه على أهلها بمحضر الفقيه المفتى السيد محمد بن ابراهيم الدكالى ، والفقيه الشريف السيد محمد بن الطاهر الفيلالى ، والفقيه الكاتب السيد أبى القاسم الطيانى ، والامين السيد الحاج الطالب ابن جلون الفاسى ، فجمعهم المولى على فى المسجد الذى بباب داره بزقاق الحجر وقرأ عليهم الكتاب المذكور ، وكان المسجد غاصا بالخاصة والعامة فازدحموا عليه ليروا الكتاب بأعينهم وأكثروا عليه ، فضجر وقام ودخل داره وأغلقها عليه فقال بعض الناس : ان السلطان قد خلع نفسه وقال لكم : قدموا من ترضونه ، وقال آخرون : انه لم يخلع نفسه ، وجعل آخرون يقرعون باب المولى على ويقولون : أخرج الينا كتاب السلطان حتى نقرأه ونعلم ما فيه ، فقال لهم : انى أحرقته فازدادوا ريبة وصدقوا بأن السلطان قد خلع نفسه ، واجتمع رؤساء أهل فاس منهم الحاج محمد ابن عبد الرزيق ، والسيد محمد بن سليمان ، وعلال العافية ، وقدور بن عامر الجامعى ، ولم يكن من أهل فاس وانما كان قاطنا بالطالعة ، وهؤلاء من أهل عدوة الاندلس ، وكذلك غيرهم من أهل عدوة القرويين واللمطيين ، ثم جمعوا الطلبة الذين حضروا قراءة الكتاب ، وألزموهم أن يكتب كل واحد منهم ما سمع ، فكتب كل واحد ما ظهر له ثم حازوا خطوطهم وخلصوا منها ما هو مرادهم وهو أن السلطان عجز وعزل نفسه ، وأمر الناس أن ينظروا لانفسهم ، هذا والحرب قائمة بين أهل فاس والودايا فكتب أهل فاس الى قواد البربر يستنصرونهم على الودايا ويستقدمونهم

للنظر والخوض معهم فيمن يتولى أمر الناس ، فقدم الحسن بن حمو واعزيز المطيرى كبير آيت ادراسن في وجوه قومه ، وقدم الحاج محمد بن الغازى كبير زمور وبنى حكم في وجوه قومه ، فاجتمعوا بأهل فاس وتفاوضوا في أمر البيعة ، فوقع اختيارهم على المولى ابراهيم بن يزيد ، وكـان ذا سمت وانقباض ، وصهر السلطان على ابنته ، وكان يسكن بدرب ابـن زيان قرب المدرسة العنانية ، فكان لا يخرج الا من الجمعة الى الجمعة يصلى بالمدرسة ثم يعود الى داره ، فاختاروه لذلك من غير اختبار ولا تمحيص ، ثم قالوا : ان السلطان لا بد له من مال ورجال ، فتكفل ابن واعزيز بالرجال وقال : عندنا من الخيل والرجال ما لن يغلب من قلة ، وتكفل الحـاج الطالب بـن جلون بالمال وأحال على جماعة من التجار وسماهم ، وذكر أن السلطان لما عزم على السفر الى مراكش ودع عندهم بواسطته مالا له بال ، ولما تم لهم ما أرادوا غدوا على المولى ابراهيم بن يزيد فأحضروه وشرطوا عليه شروطا منها اخراج الودايا من فاس الجديد ، وكانوا كلما شرطوا عليـه شرطا حرك لهم رأسه أى نعم ، ثم بايعوه صبيحة الرابع والعشرين مـن محرم سنة ست وثلاثين ومائتين والف ، ويقال انهم لما خاطبوه أولا امتنع فقالوا له : ان لم نبايعك بايعنا رجلا من آل المولى ادريس رضى الله عنـه ، فخـاف خروج الامر من بيتهم وأجاب والله أعلم ، وحضر هذه البيعة الشريف سيدى الحاج العربى بن على الوزانى ، والشيـخ أبـو عبد الله سيدى محمد العربـى الدرقاوى ، وكان ابن الغازى الزمورى مـن أخص اتباعه ، وهـو رئيس البربر فى ذلك الوقت ، وعليه وعلى ابن واعزيز كانت تدور هـذه الامور ، وحضرها أيضا أبو بكر مهاوش كبير آيت ومالو ، ولما أحكموا أمرهم كتبـوا الى العبيد بمكناسة ليساعدوهم فامتنعوا ، الا أن من كان يبغـض السلطـان منهم وعدهم سرا ، ثم كتبوا الى الودايا بمثل ما كتبوا به الى العبيد فكانـوا عنها أبعد ، فبعث أهل فاس الشيخ أبا عبد الله الدرقاوى الى الودايا ليأتـى ببيعتهم وكان له فيهم أتباع فقبضوا عليه واودعوه السجن ، وكتبوا بذلك الى السلطان فما سخط ولا رضى ، واستمر المولى ابراهيم والبربر مقيمين بفاس

الى أن نفذ ما عندهم من المال الذى أظهره لهم الحاج الطالب ابن جلون ، فاتفق رأيهم على الخروج من فاس وكان من أمرهم ما نذكره .

مسير المولى ابراهيم بن يزيد الى تطاوين ووفاته بها

لما نفذ ما كان عند المولى ابراهيم بن يزيد وشيعته من المال واستهلكوه فى غير فائدة تفاوضوا فيما يصنعون ، فأجمع رأيهم على أن يسيروا الى المراسى بقصد فتحها والاستيلاء على مالها ، فخرجوا بالمولى ابراهيم مستبدين عليه ضاربين على يده ، وانما المتصرف والآمر والناهى هو أبو عبد الله محمد ابن سليمان ، وأما ابن عبد الرزيق وجماعة من أصحابه الذين أسسوا هذا الامر فانهم هلكوا فى حرب الودايا فى عشية واحدة فى وقعة ظهر المهراس، وحزت رؤوسهم وبعث بها الى السلطان بمراكش ، ولما برزوا من فاس مروا بآيت يمور ونزلوا بالولجة الطويلة ، وراودوا من هنالك من عرب بنى حسن وأهل الغرب ودخيسة وأولاد نصير على الانخراط فى سلكهم فأبوا عليهم ، وعزم القائد محمد بن يشو على أن يبيتهم بغارة شعواء تفرق جمعهم فدس اليهم محمد بن قاسم السفيانى اللوشى ، وكان منحرفا عن السلطان بما عزم عليه ابن يشو ، وأشار عليهم أن يعبروا النهر الى ناحيته ليحميهم ممن أرادهم ، فعبروا اليه وانضم اليهم فيمن معه وساروا الى قصر كتامة فنزلوا بالكدية الاسماعيلية ومنها كتبوا الى أهل الثغور العرائش وطنجة وتطاوين يدعونهم الى بيعة سلطانهم ، والدخول فى حزبهم ، فأما أهل العرائش وطنجة فأجابوا بالمنع ، وقيل ان أهل العرائش بايعوا ، ووفد عليه بعضهم ولعل ذلك كان فى ثانى حال ، وأما أهل تطاوين فامتثلوا وكان قاضى طنجة أبو العباس أحمد الفلوس قد عزم على بيعة المولى ابراهيم فنذر به عاملها أبو عبد الله محمد العربى السعيدى فنفاه وقدم للقضاء مكانه الفقيه الاديب أبا البقاء خالد الطنجى ، ولما ورد على المولى ابراهيم وحزبه

جواب أهل تطاوين بالقبول ساروا اليها فدخلوها واستولوا على مال المرسى ، وعلى مخازن السلطان وما فيها من سلاح وكتان وملف وغير ذلك ، فتوزعت البربر ثم انتهبوا ملاح اليهود واكتسحوه ، فعثروا فيه على أموال طائلة ، يقال أنهم وجدوا به عددا كثيرا من فنائق الضلون والبندقى ، فكان ابن الغازى الزمورى وغيره من رؤساء ذلك الجمع لا يعطون أصحابهم الا البندقى ، فكثر جمعهم لذلك ، ولما مضت لهم من قدومهم تطاوين سبعة وأربعون يوما توفى المولى ابراهيم رحمه الله ، وكان قد دخلها مريضا يقاد به فى المحفة فأخفوا موته ودفنوه بداره وكان من أمرهم ما نذكره

بيعة المولى السعيد بن يزيد بتطاوين ورجوعه الى فاس

لما توفى المولى ابراهيم بن يزيد أخفى رؤساء دولته موته ليلتين أو ثلاثا ثم دعوا أهل تطاوين الى بيعة أخيه المولى السعيد بن يزيد ، فافترقت كلمتهم ، فمنهم من أبى ومنهم من أجاب ، فأحضر ابن سليمان وابن الغازى وأشياعهما من أبى من أهل تطاوين وألزموهم البيعة فالتزموها وكتبوها وأحكموا عقدها ، وكان المتولى يومئذ بتطاوين الحاج عبد الرحمن ابن على أشعاش فأخروه وولوا مكانه أبا عبد الله محمد العربى بن يوسف المسلمانى ، وكان داهية شهما ، وبينماهم فى ذلك ورد عليهم الخبر بمجىء السلطان من مراكش ، وانه قد وصل الى قصر كتامة ففت ذالك فى عضدهم وخرجوا مبادرين الى فاس على طريق الجبل ، وكان من أمرهم ما نذكره

مجيء السلطان المولى سليمان من مراكش الى القصر ثم مسيره الى فاس وحصاره اياها

كان السلطان المولى سليمان رحمه الله فى هذه المدة مقيما بمراكش وكان العبيد قد ندموا على ما فرط منهم برباط الفتح من التخلف عن السلطان ونهب أثاثه حسبما مر ، فجعلوا يتسللون اليه من مكناسة مثنى وفرادى حتى اجتمع عنده جلهم لاسيما من كان منهم معروفا بعينه مثل القواد وأرباب الوظائف ، ولما بلغه ما كان من بيعة المولى ابراهيم بن يزيد تربص قليلا حتى اذا بلغه خروجه الى المراسى قلق وخرج من مراكش فى جيش العبيد وبعض قبائل الحوز يبادره اليها ، ولما وصل الى رباط الفتح عبر الى سلا ونزل برأس الماء ، ولما حضرت الجمعة دخل المدينة فصلى بالجامع الاعظم منها ، ودخل دار الحاج محمد بن عبد الله معنينو من أعيان أهل سلا ، واستصحب معه الفقيه المؤقت أبا العباس أحمد بن المكى الزواوى من أهل سلا أيضا بقصد القيام بوظيفة التوقيت ، ولما وصل السلطان الى قصر كتامة أتاه الخبر بدخول المولى ابراهيم الى تطاوين ، فأقام هنالك وكتب الى الودايا والى من بقى بمكناسة يحضهم على التمسك بالطاعة ، وكتب الى ولده المولى الطيب بفاس الجديد يأمره أن يبعث اليه بالفقيه الاديب أبى عبد الله محمد أكنسوس وهو صاحب كتاب الجيش

قال اكنسوس : فقدمنا على السلطان بريصانة على مرحلتين من القصر قاصدا تطاوين ومحاصرة المولى ابراهيم بن يزيد بها ، قال : فورد عليه كتاب من عند القائد أبى عبد الله العربى السعيدى صاحب طنجة بوفاة المولى ابراهيم وبيعة أخيه المولى السعيد ، وأنهم قد عادوا به الى فاس ، ولما تحقق بذلك رجع على طريق القصر يؤم فاسا ويسابق السعيد اليها ، فوافياها فى يوم واحد. فنزل السعيد بجموعه بقنطرة سبو ودخل السلطان دار الامارة بفاس الجديد مع الودايا ، ولما كان فجر الغد من تلك الليلة أغارت خيل

الودايا على محلة المولى السعيد بالقنطرة فانتسفوها بما فيها، وقتلوا من البربر وأهل فاس وغيرهم خلقا كثيرا ، واحتووا على أموال طائلة مما كانت البربر قد نهبته من ملاح تطاوين ، وأفلت المولى السعيد وبطانته بجريعة الذقن ، ودخلوا فاسا فأغلقوها عليهم وثابت اليهم نفوسهم ، وفى هذه الايام قتل المعلم الاكبر أبو العباس أحمد عنيقيد التطاونى ، وكان عجبا فى صناعة الرمى بالمهراس ، وكان المولى السعيد قد أتى به من تطاوين ليحاصر به على فاس الجديد فدس اليه السلطان من قتله ، ناداه رجل وهو فى محلة اصحابه ليلا يافلان أجب مولانا السلطان فظن أنه دعى الى المولى السعيد فقال : هاأناذا وبرز من خبائه فرماه المنادى برصاصة كان فيها حتفه ، ثم عزم السلطان على محاصرة فاس حتى يفيئوا الى أمر الله ولكن اكتفى من الحصار بمنعهم من الدخول والخروج ، وكان الودايا قد ألحوا عليه فى أن يرميهم بالبنب فأبى رحمه الله وقال : لو كانت البنبة التى نرميها تذهب حتى تقع بدار ابن سليمان أو بدار الطيب البياز أو غيرهما من رؤوس الفتنة لفعلنا ، ولكن انما تقع فى دار أرملة أو يتيم أو ضعيف حبسه العجز معهم ، ثم ان أهل فاس بدأوا بالرمى وكان معهم سعيد العلج عارفا بالرمى ، فجعلوا يقصدون دار السلطان ، فوقعت بنبة بالموضع الذى كان يجلس فيه للقراءة ووقعت أخرى بالمدرسة التى بباب داره ، وكان بها جماعة من طبجية سلا ورباط الفتح فقتلت منهم أربعة نفر ، منهم الباشا أبو عبد الله محمد بن محمد ابن حسين فنيش السلاوى ، فعند ذلك حنق السلطان وأمر أن يؤتى بالمهاريس الكبار من طنجة من فرمة ثمانين الى فرمة مائة ، فجىء بها ونصبها عليهم فكان القتال لا يفتر ليلا ونهارا والكور والبنب تختلف بين أهل البلدين فى كل وقت ، واستمر الحال على ذلك قريبا من عشرة أشهر ، ولا يدخل أحد الى فاس ولا يخرج منها الا على خطر ، وفى أثناء هذه المدة نهض السلطان الى طنجة للنظر فى أمر تطاوين الخارجة عليه ، بعد أن تقدم الى الودايا فى الحصار والتضيق على فاس الى أن يعود اليهم ، ولما استقر بطنجة بعث الى اهل تطاوين وراودهم على الرجوع الى الطاعة فأبوا ولجوا

فى عصيانهم ، فبعث اليهم جيشا كثيفا مع القائد حمان الصريدى البخارى فنزل بوادى أبى صفيحة وحاصرهم مدة ، فكانت الحرب بينه وبينهم سجالا مرة له ومرة عليه ، وهلكت نفوس من أعيان تطاوين وغيرهم

مجىء المولى عبد الرحمن بن هشام من الصويرة الى الغرب واستخلافه بفاس وما تخلل ذلك

كان المولى عبد الرحمن بن هشام فى ابتداء أمره بتافيلالت ، ولما توسم فيه عمه المولى سليمان مخايل الخير والنجابة استقدمه منها وولاه على الصويرة واعمالها ، فكفاه أمرها وقام بشأنها ، ثم لما كان المولى سليمان بطنجة فى هذه المرة واستعصى عليه أمر فاس وتطاوين وانصرم فصل الشتاء وأقبل فصل الربيع كتب الى ابن اخيه المولى عبد الرحمن المذكور ، يأمره بالقدوم عليه فى قبائل الحوز ، ويلقاه بهم برباط الفتح ، وكان غرض السلطان أن يزحف بهم الى فاس ، الا أن السياسة اقتضت أن يكون الامر هكذا ، فجمع المولى عبد الرحمن قبائل الحوز وقواده وقدم بهم الى رباط الفتح ، ولما لم يجدوا السلطان به تثاقلوا عن العبور مع المولى عبد الرحمن الى بلاد الغرب ، لان السلطان انما وعدهم أن يلقوه برباط الفتح ، فكتب المولى عبد الرحمن الى عمه يعلمه بصورة الحال ، وكان السلطان رحمه قد استوزر فى هذه المدة الفقيه أبا عبد الله أكنسوس فبعثه الى المولى عبد الرحمن ، وأصحبه مالا يفرقه على جيشه لينشطوا للقدوم ، وكان قدر المال خمسين أوقية لكل فارس ، وأمره اذا قدم ارض سلا ان ينزل عند عاملها أبى عبد الله محمد بن أبى عزة المعروف بأبى جميعة ، وبعث للمولى عبد الرحمن ليعبر اليه فى وجوه الجيش لقبض الصلة ، ولا يذكر لهم سفرا ، فاذا قبضوها فليقرأ عليهم كتابه ، وكان مضمنه أنه يأمرهم بالقدوم عليه لقصر

كتامة لقبض الكسوة التى أتى بها من طنجة ، وحينئذ يذهب معهم السلطان الى الحوز ، ففعل الوزير ذلك كله وتقدم المولى عبد الرحمن فى جيشه الى قصر كتامة .

قال الوزير المذكور : فلما جئنا القصر وجدنا السلطان لا زال مقيما بطنجة ، فتقدمت اليه وأعلمته بوصول المولى عبد الرحمن وجيشه الى القصر، فخرج السلطان من طنجة وجعل طريقه على آصيلا ، ولما بات بسوق الاحد بالغربية بعث اليه المولى المجذوب سيدى محمد بن مرزوق يدعوه للقدوم عليه والبيات عنده ، فأجاب دعوته ودخل عليه وتبرك به ، ومن هناك كتب الى ابن أخيه المولى عبد الرحمن أن يتقدم بالجيش الى العرائش ويلقاه به هنالك ، ففعل المولى عبد الرحمن وهناك اجتمع بعمه السلطان المولى سليمان، فسر بمقدمه ودعا له بخير وأثنى عليه بمحضر أولئك الملأ من الناس ، ثم دعا السلطان قواد الحوز فيهم القائد عبد الملك بن بيهى ، والقائد على ابن محمد الشيظمى ، والسيد محمد بن الغنيمى نائبا عن الحاج حمان العبدى ، وكان فى ركابه ابنه فضول بن حمان صغيرا ، والقائد بلعباس ابن المزوار الدكالى البوزرارى ، والحاج العربى بن رقية البوزرارى ، والقائد محمد بن حديدة البوعزيزى ، والقائد المعطى الحمرى ، والقائد الصديق بن الفقيه العمرانى ، ولم يكن فيهم من الرحامنة الا الحاج المعطى ابن محمد الحاج ، ولم يكن فيهم من السراغنة ولا من الشاوية أحد ، ولما اجتمعوا خرج عليهم السلطان وجلس على طنفسة ، ثم دعا بالقائد عبد الملك بن بيهى فأجلسه الى جنبه ودعا له بخير ، ثم قال : انكم تعبتم فى سبيل الله ونحن أتعب منكم ، ونسأل الله أن لا يضيع أجرنا وأجركم ، واعلموا أنكم فى طاعة الله وطاعة رسوله ، ولكم المزية التامة ، وقد وجب علينا الاحسان اليكم ، وقد ظهر لى انكم حين وصلتم الى هذا المحل لا ينبغى لكم أن ترجعوا بدون زيارة مولانا ادريس ، وكنت أردت أن أوجهكم الى بلادكم من هنا ولكن أنا لا يمكننى أن أرجع الا بعد أن يحكم الله بينى وبين هؤلاء الخارجين عن الحق ، وأنتم لايجمل بكم أن ترجعوا بغير سلطان،

فاصبروا قليلا وتمموا عملكم حتى تذهبوا ان شاء الله بسلطانكم فرحين مستبشرين ، فقالوا كلهم : سمعا وطاعة لا نفارقك حتى نرجع بك ولو مكثنا عشر سنين ، وعلى اثر هذا عقد السلطان لقائد خيل الجيش البخارى الحاج ابراهيم بن رزوق على مائتين من الخيل مفروضة من الحوزية والعبيد ، وأمره أن يسير الى تطاوين ويقيم بمرتيل ، ويمنع أهلها من الوصول الى المرسى ففعل ، وارتحل السلطان من العرائش يريد فاسا فى قبائل الحوز فمر ببلاد سفيان ونزل بسوق الاربعاء منها قرب ضريح سيدى عيسى بن الحسن المصباحى، فأصابه مرض هنالك وورد عليه الخبر بأن ابراهيم بن رزوق قد كاده صاحب تطاوين العربى بن يوسف حتى قبض عليه وعلى أصحابه وسلبهم وسجنهم ، فآلم هذا الخبر السلطان وزاده الى ما به من المرض ، ثم أبل منه بعد أيام فنهض الى فاس وعرج على طريق تازا ، ولما بات بسوق الخميس بالكدور من بلاد الحياينة أغارت عليه غياثة ومن شايعهم من أهل تلك النواحى ، وكانوا قد دخلوا فى بيعة أبى يزيد ، فداروا بالمحلة ونضحوها بالرصاص فقام السلطان وجعل يسكن الناس بنفسه ، ونهاهم عن الركوب والاضطراب فحفظ الله المحلة فى تلك الليلة ولم يصب أحد من الناس ولا من الدواب وأصبحت قتلى العدو مصرعة حول المحلة ، ثم دخل السلطان مدينة تازا فوفد عليه بها أهل الريف وعرب آنقاد والصحراء ، وجعلوا يزدحمون عليه ليروا وجهه ويقولون : انه والله للسلطان ، لان أهل فاس كانوا يشيعون موته ، ويكتبون بذلك الى القبائل ، ثم تقدم السلطان الى فاس فنزل بقنطرة وادى سبو وذلك أواخر رجب سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف ، وكان أهل فاس قد سئموا الحرب وعضهم الحصار وملوا دولة أبى يزيد ، فاختلفت كلمتهم عند ما قدم السلطان ، وهاجت الحرب داخل البلد بين شيعة السلطان وشيعة السعيد ، فكثرهم شيعة السلطان وفتحوا الباب وخرجوا اليه بالاشراف والصبيان والمصاحف وتهافتوا على فسطاطه تائبين خاضعين ، وجاء السعيد فى جوار المولى عبد الرحمن بن هشام ومعه الامين الحاج الطالب ابن جلون، فكان جواب السلطان لهم أن قال : (لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو

أرحم الراحمين) ، وكان رحمه اللهقد رأى وهو سائر الى فاس رؤيا وهى أنه دخل فاسا وزار تربة المولى ادريس رضى الله عنه ، وقلده سيفا وصعد المنار وأذن ، فكان من عجيب صنع الله أن فتح عليه فاسا ودخلها وزار المولى ادريس وأذن بمناره على الهيئة التى رأى ، وجاء رجل من أولاد البقال فقلده سيفا تصديقا للرؤيا ، ولما دخل ضريح المولى ادريس وجد الشريف البركة سيدى الحاج العربى بن على الوزانى هنالك فعاتبه السلطان عتابا خفيفا وزال ما بصدره عليه ، وانقطعت أسباب الفتن والحمد لله .

واعلم أن ما صدر من أهل فاس ومن وافقهم على هذه البيعة لا لوم عليهم فيه ، وما كان من حق السلطان رحمه الله أن يبعث اليهم بذلك الكتاب الذى أوقعهم فى حيص بيص ، وكان سببا لهذه الفتن ، وقول أكنسوس ان السلطان أراد تهييجهم على التمسك بطاعته كما فعل مع أهل مراكش ليس بشىء ، أو ما علم السلطان رحمه الله كلام الكبراء خصوصا الملوك مما تتوفر الدواعى على نقله ؟ وأن العامة اذا نقلته وضعته غالبا فى غير محله ، وفى الصحيح : أن عمر رضى الله عنه بلغه وهو بمنى أن رجلا قال : والله لو قد مات عمر لبايعنا فلانا يريد رجلا من غير قريش ، فقال عمر رضى الله عنه : لاقومن العشية فأحذر هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم ، فقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : لا تفعل ياأمير المؤمنين فان الموسم يجمع رعاع الناس يغلبون على مجلسك ، فأخاف أن يسمعوا منك كلمة فلا ينزلوها على وجهها ، ويطيروا بها عنك كل مطير ، فامهل حتى تقدم المدينة دار الهجرة ودار السنة فتخلص بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار فيحفظوا مقالتك ، وينزلوها على وجهها ، فقال عمر : والله لاقومن به فى أول مقام أقومه بالمدينة ، الحديث ، فانظر كيف منع عبد الرحمن عمر رضى الله عنه من الكلام بالموسم ، وبمحضر العامة خوفا من وقوع الفتنة وانقاد له عمر حيث علم أن ذلك هو الصواب ، وكان وقافا عند الحق ، هذا والناس ناس والزمان زمان وفى خير القرون، فكيف فى زمان قل علمه وكثر جهله، وغاض خيره

وفاض شره ، وأمر السلطان متداع مختل والفتنة قائمة على ساق كما رأيت، فلهذا قلنا ما كان من حق السلطان أن يبعث بذلك الكتاب الموجه بمقصدين، المحتمل احتمالين ، ولكن قضاء الله غالب .

ولما افتتح السلطان رحمه الله فاسا وصفا لـه أمرها عزم على النهوض الى تطاوين ، فاستخلف على فاس وأعمالها ابـن أخيـه الفارس الانجد ، السرى الاسعد ، المولى عبد الرحمن بـن هشام ، لعدالته وكفايته وحسـن سياسته ، وأخذ معه المولى السعيد بن يزيد ، وخرج فى جيش الودايا والعبيد وقبائل الحوز أوائل شعبان سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف ، فجعـل طريقه على بلاد سفيان ، ولما وصل الى الموضع المعروف بالحجر الواقف بيـن نهرى سبو وورغة ، قدم عليه هنالك القائد أبو عبد الله محمد بن العامرى اليحياوى فى قومه بنى‌حسن ، والقائد أبو عبد الله محمد المعتوجى السفيانى ، وقاسم ابن الخضر ، فى قومهما سفيان وبنى مالك ،وقدم عليه هنالـك أولاد الشيخ أبى عبد الله سيدى العربى الدرقاوى صبية صغارا يشفعون فى أبيهم ليسرحه لهم فوصلهم وكساهم وقال لهم : والله ما سجنته ولا أمرت بسجنه ، ولكن أتركوه فسيسرحه الله الذى سجنه فكان الامر كذلك ، فانـه بقى فـى السجن حتى توفى السلطان المولى سليمان وبويع المولى عبـد الرحمن بـن هشام فافتتح عمله بتسريحه ، ولما نزل السلطان رحمه بمشرع مسيعيدة مـن نهر سبو وفد عليه أهل تطاوين تائبين ومعهم قائدهـم العربى بـن يوسف المسلمانى ، وكان الناس يظنون أنه ينكل به وبمن قام معه فى الفتنة فلم يفل لهم الا خيرا ، حتى لقد قال له ابن يوسف : يامولانا ان أهل تطاوين لـم يفعلوا شيئا ، وانى أنا الذى فعلت ، يريد أن يبرئهم ويفديهم بنفسه ، فقال له السلطان رحمه الله : ما عندك ما تفعل أنت ولاهم ، وانما الفـاعل هـو الله تعالى وصفح عنهم وأحسن اليهم ، ولما صفا أمر تطاوين ولم يبـق ببلاد الغرب منازع انقلب السلطان راجعا الى الحـوز وجـد السير الى مراكش فدخلها فى رمضان من السنة المذكورة .

وقعة زاوية الشرادى وما جرى فيها على السلطان المولى سليمان رحمه الله

هؤلاء الشراردة أصلهم من عرب معقل من الصحراء ، وهم طوائف زرارة والشبانات ، وهم الخلص منهم ويضاف لهم بعض أولاد دليم وتكنة وذووبلال وغيرهم ، وكانت منازلهم فى دولة السلطان الاعظم سيدى محمد ابن عبد الله غربى مراكش على بعض يوم منها ، فنشأ فيهم الشيخ أبو العباس الشرادى من أهل الصلاح ومن أصحاب الشيخ سيدى أحمد بن ناصر الدرعى فاعتقدوه ، وربما ناله بعض الاحسان من السلطان المذكور ، ثم نشأ ابنه السيد أبى محمد بن أبى العباس ، فجرى مجرى أبيه ، وبنى الزاوية المنسوبة اليهم ، واعتقده قومه أيضا بل وغيرهم

فقد ذكر صاحب نشر المثانى : أن السيد محمدا هذا لما قدم من الحج سنة سبع وسبعين ومائة والف ، اجتاز بمدينة فاس فاجتمع عليه ناس منها وتلمذوا له وبنوا له زاوية بدرب الدرج من عدوة الاندلس ، وأثنى عليه وعلى أبيه فانظره ، ثم جاء ابنه المهدى بن محمد فسلك ذلك المسلك أيضا ، ونشأ فى دولة السلطان المولى سليمان رحمه الله ، واتخذ شيئا من كتب العلم من غير أن يكون له فيه يد تعتبر ، ثم تظاهر بمعرفة السيميا والحدثان فازداد ناموسه وتمكن من جهلة قومه ، وربما نمى شيء من أمره الى السلطان فتغافل عنه ، ثم لما قدم السلطان رحمه الله مراكش هذه المرة وجد أمره قد زاد واستفحل ، وكان الشراردة يومئذ قد حسنت حالهم فأثروا وكثروا ، وكان السلطان قد ولى عليهم رجلا منهم اسمه قاسم الشرادى ، فحدث بينه وبين المهدى ما يحدث بين المرابطين وأرباب الولاية ، وكان ربما التجأ جان الى زاوية المهدى فيقبض عليه القائد ويخرجه منها ، فاستحكمت العداوة بين القائد وبين المهدى ، ثم جرى شنآن بين المهدى وبين بعض قرابته ففر ذلك القريب الى مراكش ، وكان القائد قاسم بها

فشكا اليه عمه المهدى ، فاغتنمها القائد ودخل على السلطان فشرح له حال المهدى وما هو عليه من التهور والسمو بنفسه الى المحل الذى لا يبلغه ، وأنه لا يستقيم أمر المخزن بتلك القبيلة معه ، ولم يزل بـه حتى أعطاه السلطان مائتين من الخيل أغار بها على الزاوية فانتهبوها على حين غفلة من أهلها وجلهم غائب فى أعماله ، فتسامعوا بأن الخيل قد عاثت فى ديارهم وجاءوا على الصعب والذلول وأوقعوا بخيل المخزن واستلبوهم من خيلهم وسلاحهم وعادوا الى مراكش راجلين فعظم ذلك على السلطان واغتاظ واتفق أن كان مع السلطان عامل مراكش أبو حفص عمر بن أبى ستة ، وعامل الرحامنة القائد قاسم الرحمانى ، وكلاهما عدو للشراردة لا سيما الرحمانى ، فشنعوا فى ذلك بمحضر السلطان وأسدوا وألحموا فى غزو الشراردة وتأديبهم حتى لا يعودوا لمثلها ، وفى أثناء ذلك ندم الشراردة على ما كان منهم وبعثوا الى السلطان بالشفاعات وذبحوا عليه وعلى صلحاء مراكش فلم يقبل منهم ، ويقال ان ذلك لم يكن يبلغ السلطان لان النقض والابرام انما كان لعمر بن أبى ستة ، وقاسم الرحمانى ، وكان السلطان رحمه الله كالمغلوب على أمره معهما ، فلم يزالوا به حتى بعث الى قبائل الحوز يستنفرهم لغزو الشراردة فاجتمعوا عليه ، وكان معه جيش الودايا وكبارهم مثل الطاهر بن مسعود الحسانى ، والحاج محمد بن الطاهر ، وغيرهما ، ومعه القائد محمد بن العامرى فى بنى حسن وغيرهم من قبائل الغرب .

ولما أجمع السلطان الخروج اليهم قدم أمامه قاسما الرحمانى اذ كان قد تكفل له بأن يكفيه أمر الشراردة وحده ، فكان متسرعا اليهم قبل كل أحد ، فرابط بعين دادة ثمانية عشر يوما والوسائط تتردد بين السلطان وبين الشراردة ، وكادت كلمتهم تختلف اذ قام فيهم رجل مرابط اسمه الحبيب من أولاد سيدى أحمد الزاوية ، وبعث نحو الاربعين من الشراردة الى السلطان سعيا فى الصلح ، فأشار الرحمانى وابن أبى ستة فيما قيل على السلطان بالقبض عليهم ، فقبض عليهم وحيزت خيلهم وسلاحهم فشرى

الداء واعوز الدواء ، ثم زحف السلطان وانتشبت الحرب أول النهار ، ولما اشتد الحر وكان الزمان زمان مصيف تحاجزوا ، ، ثم عاد قاسم الرحمانى فأنشب الحرب مع العشى ، فكانت الدبرة عليه وقتل وحمل رأسه على رمح وانهزم جيش المخزن ووقع الفشل فى المحلة ، فتفرقت القبائل وباتوا لا يلوون على شيء ، ولما طلع النهار لم يبق مع السلطان الا جيش المخزن ، فزحف الشراردة الى المحلة ورأوا السلطان قد بقى فى قلة فطمعوا فيه وأنشبوا الحرب ، فانهزم الجيش الذين كانوا مع السلطان وتركوا المحلة بما فيها ، فتوزعتها الشراردة شذر مذر ، وانحاز السلطان فى حاشيته وقصد مراكش ، فلقيتهم فى طريقهم ساقية ماء حبستهم عن المرور ، وخالط الشراردة القوم الذين كانوا مع السلطان وجعلوا يستلبون من ظفروا به منهم ، وتراكم المنهزمة على السلطان ولجأوا اليه ، وقتل الشراردة عمر بن أبى ستة خلف ظهره

ولما رأى السلطان رحمه الله ذلك نادى فى الناس أن لا يقتل أحد نفسه على ولا على هذه الاسلاب ، أعطوهم منها ما شاءوا ، واجتمع نحو العشرين من كبار الشراردة وتقدموا الى السلطان فقالوا : يامولانا تحيز الينا لئلا تصيبك العامة ، فانحاز اليهم وكان راكبا على بغلته فالتفوا عليه وساروا به الى زاويتهم ، وأنزلوه بالدار المعروفة عندهم بدار الموسم ، واحترموه وغدوا وراحوا فى خدمته ، وكان معه وصيفه فرجى صبيا صغيرا وهو الذى ولى امارة فاس الجديد فى دولة السلطان المولى عبد الرحمن ابن هشام ، وكان معه أيضا عبد الخالق بن كريران الحريزى شابا كما بقل عذاره ، وبقى عندهم ثلاثة أيام ، وحضرت الجمعة فصلاها عندهم وخطبوا به ، ومن الغد ركبوا معه وصحبوه الى مراكش الى أن وصلوا الى عين أبى عكاز فودعوه ورجعوا ، ومما قال لهم عند الوداع : ان الذين أرادوا أن يفتحوا باب الفتنة على الناس قد سد الله أبوابها برؤوسهم ، يعنى الرحامنة وبعد وصول السلطان الى مراكش بيوم أو نحوه ، عدا الرحامنة على محمد ابن أبى ستة فقتلوه بسبب أن الشراردة كانوا قد اسروه ثم استحيوه واتخذوا

عنده عهدا ويدا بأنه اذا أفضت اليه ولاية مراكش بعد أخيه عمر المقتـــول يحسن في ادارة أمرهم عند السلطان ، فسمع الرحامنة بذلك فقتلوه .

قال صاحب الجيش : لما عزم السلطان على الخروج الى زاوية الشرادى بعثنى قبل ذلك بثلاث الى السوس فى شأن ابن أخيه المــولى بناصر بن عبد الرحمن ، وكان عاملا عليها فكثرت الشكايات به الى السلطان ، فبعثنى فـى شأنه قال : فلما جئت تارودانت تربصت قليلا فلم يفجأنا الا خبر الهزيـــمة على السلطان بالروايات المختلفة فقائل يقول انه قد قتل ، وآخر يقول انـــه قد مات حتف أنفه ، وآخر يقول لا بأس عليه ، ثم ورد علينا كتابان مـــن عند السلطان أحدهما بخط الكاتب مطبوعا ، والآخر بخـط يـده تحقيقا لسلامته يقول فيه : ان هذه الحركة ما وقعت الا لهلاك الظلمـة والملبسيـــن علينا ، المظهرين للمحبة لنا ، وهم فى الباطـــن أعدى الاعادى مثـــل قاسم الرحمانى ، وفلان وفلان ، وأما أولاد أبى ستة فقد قتل زرارة عمر عـــلى رائحة الرحامنة، وقتل الرحامنة محمدا على رائحة أهل السوس، والشريف سيدى محمد بن عبد الجليل الوزانى أصابته رصاصة رعاية رحمـــة الله عليه والحاصل هان علينا كسر الخابية بموت الفار ، وقـــد أحسنت فى التـربص فاترك الامر على طيته ، واصحب معك أشياخ السوس ، وعدهم منا بالاحسان ومساعدتهم على ما يطلبونه منا والسلام اه

ولما دخل السلطان مراكش راجع القوم الذين انهزموا عنه بصائرهـم وأقبلوا اليه خاضعين تائبين ، وعلى أبوابه فى العفو راغبين ، فما وسعـه الا الاعراض عن أفعالهم الذميمة ، وطاعتهم السقيمة ، ولا حول ولا قـوة الا بالله ، ثم أمرهم بالتهيىء لغزو برابرة الغرب فتوجهـوا الى بلادهم ليأتـــوا بحصصهم الى عيد المولد الكريم فانقضى أجله رحمه الله

وفاة امير المومنين المولى سليمان بن محمد رحمه الله

كان أمير المؤمنين المولى سليمان رحمه الله في هذه المدة قد سئم الحياة ومل العيش ، وأراد أن يترك أمر الناس لابن أخيه المولى عبد الرحمن ابن هشام ، ويتخلى هو لعبادة ربه الى أن يأتيه اليقين ، قال ذلك غير مرة ، وتعددت فيه رسائله ومكاتيبه ، فمما كتبه في ذلك هذه الوصية التي يقول فيها : الحمد لله لما رأيت ما وقع من الالحاد في الدين ، واستيلاء الفسقة والجهلة على أمر المسلمين ، وقد قال عمر : ان تابعناهم تابعناهم على مالا نرضى والا وقع الخلاف ، وأولئك عدول وهؤلاء كلهم فساق ، وقال عمر : فبايعنا أبا بكر فكان والله خيرا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق أبي بكر : يأبى الله ويدفع المسلمون ، ورشحه بتقديمه للصلاة اذ هي عماد الدين ، وقال أبو بكر للمسلمين : بايعوا عمر وأخذ له البيعة في حياته فلزمت وصحت بعد موته ، وقال عمر : هؤلاء الستة أفضل المسلمين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم العبد صهيب ، وقال : أبو عبيدة أمين هذه الامة ، وقال : مأأظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر ، وقال في أبي بكر وعمر أكثر من هذا ، فصار المدح للتعريف واجبا ، ولاظهار حال الرجل لينتفع به فأقول جعله الله خالصا لوجهه الكريم : ما أظن في أولاد مولانا الجد عبد الله ، ولا في أولاد سيدي محمد والدي رحمه الله ، ولا أولاد أولاده ، أفضل من مولاي عبد الرحمن بن هشام ، ولا أصلح لهذا الامر منه ، لانه ان شاء الله حفظه الله لا يشرب الخمر ولا يزني ولا يكذب ولا يخون ، ولا يقدم على الدماء والاموال بلا موجب ، ولو ملك ملك المشرقين ، لانها عبادة صهيبية ، ويصوم الفرض والنفل ويصلي الفرض والنفل ، وانما أتيت به من الصويرة ليراه الناس ويعرفوه ، وأخرجته من تافيلالت لاظهره لهم لان الدين النصيحة ، فان اتبعه أهل الحق صلح أمرهم كما صلح سيدي محمد جده وأبوه حي ، ولا يحتاجون الى ابدا ويغبطه أهل المغرب ويتبعونه

ان شاء الله ، وكان من اتبعه اتبع الهدى والنور ، ومن اتبع غيره اتبع الفتنة والضلال ، وأحذر الناس اولاد يزيد كما حذر والدى ، وقد رأى من اتبعه أو اتبع أولاده كيف خاض الظلمة ونالته دعوة والده وخرج على الامة ، وأما أنا فقد خفت قواى ووهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ، حفظنى الله فى أولادى والمسلمين آمين ، نصيحة وصية سليمان بن محمد لطف الله به اه

وفى أثناء هذه المدة وقعت غدرة ذوى بلال فى انتهابهم الصاكة الواردة من مرسى الصويرة ، وكان انتهابهم اياها باتفاق من الشياظمة الذين جاءوا معها ، وقائدهم على بن محمد الشيظمى هـو الذى انتهب أكثرها ، وكان فيها من الذخائر النفيسة والاموال الثقيلة شىء كثير ، وهذه الوقعة هى التى هدت اركان السلطان المولى سليمان رحمه الله فاعتراه مرضه الذى كـان سبب وفاته ، ولما أثقله المرض أعاد العهد للمولى عبد الرحمـن بن هشام وبعث به الى فاس اذ كان خليفة بها كما مر ،فدعـا رحمه الله بصحيفة بيضاء ودعا بالطابع الكبير فجىء به ولم يحضره الا أهله من النساء ، فطبع الصحيفة بيده وكتب بعض الكتاب وأكملته بعض حظاياه ممن كانت تحسن الكتابة، ثم طواه وختم عليه ودعا القائد الجيلانى الرحمانى الحويبوى وكان قائـد المشور وقال له : ادع لى فارسين يذهبان بهذا الكتاب الى فاس وقـد عينت لهما سخرة كبيرة يقبضانها هناك اذا أسرعا السير ، فكان ذلك الكتاب هـو العهد الذى قرىء بفاس ، ونصه : الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنـا محمد وآله وصحبه وسلم أخوالنا الوداية ورماة فاس وأعيانها ورؤساءها ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وعلى ابن عمنا الفقيه القاضى مولاى أحمد والفقيهين ابن ابراهيم والآزمى ، وبعد فقد وجدت من نفسى ما ليس بتارك أحدا فى الدنيا ، وهذه وصية اقدمها بين يدى أجلى والله ما بقى فى قلبـى مثقال ذرة على أحد من خلق الله ، لان ذلك أمر قد قدره الله وسبق علمـه به ، ولست فيه بأوحد ، وما وقع لمن قبلى أشنع وأفظع ، وانى قد عقدت بين أخوالى وأهل فاس أخوة بحول الله لاتنفصم يرثها الابناء عن الآباء ، وأوصى

الجميع بما أوصى الله به الاولين ، (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله) ، (وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله)، وبسنة رسول الله صلى اللهعليه وسلم: «عليكم بسنتى وسنةالخلفاء الراشدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجد ، ولن تزال هذه الامة بخير ما أخذوا بكتاب الله»، وقدعهدت لابن أخي مولاى عبد الرحمن بن هشام ورجوت الله أن يكون لى فى هذا الامر مثل ما لسليمان بن عبد الملك فى عهده لعمر بن عبد العزيز ، (انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، وقد انعقد الاجماع على عقد البيعة بالعهد ، والقاضى والفقيهان يبينون لكم هذا (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول) ، وانى أشهد الله أنى مقر بالسمع والطاعة لعبد الله عبد الرحمن بن هشام وببيعته ألقاه ، وقد أديت لامة رسول الله صلى الله عيه وسلم ما على من النصيحة ، وأرجو الله ان يثيبنى بهذه النية الصحيحة وهو المطلع على ما فى الضمائر ، والعالم بالسرائر والسلام وفى رابع ربيع النبوى عام ثمانية وثلاثين ومائتين وألف اه

ثم تمادى بالسلطان رحمه الله مرضه الى أن توفى ثالث عشر ربيع الاول وهو الثانى من عيد المولد الكريم من السنة المذكورة ، ومات رحمه الله ثابت الذهن صحيح الميز على غاية من اليقين والفرح بلقاء ربه ، ودفن بضريح جده المولى على الشريف بباب آيلان من مراكش ، وقد رثاه جماعة من أدباء العصر من ذلك قول الفقيه الاديب الكاتب البليغ أبى عبد الله محمد بن ادريس الفاسى :

نبأ عرى أوهى عرى الايمان	وأبان حسن الصبر عن امكان
شقت لموقعه القلوب وزلزلت	أرض النفوس ورج كل مكان
فقد الامام أبى الربيع المرتضى	جزعت لعظم مصابه الثقلان
وبكت عيون الدين ماء جفونها	وجدا عليه وكل ذى ايمان
لما نعى الناعون خير خليفة	وعرا الفؤاد طوارق الاحزان

مزقت ثوب تجلدى مـن فقده ... ونثرت در الدمع مـن أجفانى
عجبا لموت غاله اذ لم يخف ... فتك الملوك وسطوة السلطان
وسما لمنصبه المنيف ولم يهب ... غضب الجنود وغيرة الاعوان
لو كان ينفع خاض فرسان الوغا ... حرصا عليه مواقد النيران
وحموه بالنفس النفيسة انما ... يحمون روح العدل والاحسان
لكن قضاء الله حتم فلا يرى ... للمرء فى دفع القضاء يدان
والموت مورد كل حى كأسه ... وسوى المهيمن فى الحقيقة فان
ان غاب عنا شخصه فلقد ثوى ... فينا الثناء له بكل لسان
ومناقب ومفاخر ومآثر ... شاعت له فى سائر الاوطان
ومعارف وعوارف ووسائل ... ومسائل قد أوضحت ومعانى
وبدور أولاد وآل قد قفوا ... آثاره فى العلم والعرفان
تخذوا الديانة والصيانة شرعة ... وتقلدوا بصوارم الايقان
أخلاقهم ووجوههم وأكفهم ... كالزهر والازهار والامزان
ان حاربوا أبدوا شجاعة جدهم ... أو خاطبوا أزروا على سحبان
من كل من جعل القران سميره ... وسما بوصف العلم والتبيين
كم آية ظهرت له وكرامة ... دامت دلائلها مدى الازمان
قد كان أوحد دهره ولذاته ... فى العدل والتمكين والاحسان
قد كان عالم عصره وفريده ... فى الفهم والتحقيق والاتقان
قد كان فردا فى البلاغة ان جرت ... أقلامه بهرت بسحر بيان
من للعلى من بعده من للنهى ... من للتقى وتلاوة القرآن
يارمسه ما ذا حويت من العلى ... وطويت من علم ومن عرفان
يارمس كم واريت من كرم ومن ... جود ومن فضل ومن احسان
يارمس كم حجبت عنا شمسه ... وضياؤها فى سائر البلدان
ووسعت بحر علومه وسخائه ... فطمى بضيق بطنك البحران
فلو استطعت جعلت قلبى قبره ... حبا وأحشائى من الاكفان
ولو أن عمرى فى يدى لوهبته ... وفديته بالاهل والاخوان

لكن يخفف بعض أثقال الاسى علمى بــه فـى جنـة الرضوان

فسقى ثراه مـن المواهب ديمة وهمت عليه سحائب الغفـران

ورد الرسول بموت خير خليفـة وولايـة العهد الرفيـع الشان

فجزعت من حزن لما قـد نابنى وطربت مـن فرح بمـا أولانى

مـا مات من ترك الخليفة بعده مثـل المـؤيد عابـد الرحمن

ملك تسربل بالتـقى حتى ارتقـى مـن نهجه الاتقى عـلى كيـوان

ياواحدا فـى الفضل غير مشارك أقسمت ما لك فى البريـة ثـان

لله بيعتك التـى قـد أشبهت فيمـا تواتـر بيعـة الرضوان

قد أحكمتها يـد الشريعة والتـقى بعـرى النصوص وواضـح البرهان

سعد الذى أضحـى بهـا متمسكا وهـوى العنيد بهـوة الخسران

وجرى على التيسير أمرك فاستوى ملك الورى لك فى أقـل زمان

وأتت لنصرتك المغـارب كلهـا فبعيدها لـك فـى الحقيقة دانى

عقدوا على النصـح القلوب وانما عقدوا بنصرك رايـة الايمان

لو شئت من أهل المشارق طاعـة لأتوك من يمن ومن بغدان

هابتك أصناف الطغاة بزعمهم لمـا وثقت بنصرة الرحمن

وبسطت عدلك فى الورى فكأنمـا قـد عاش فـى أيامك العمران

ياأهل بيـت المصطفى أوصافكـم جلت عـن الاحصاء والحسبان

طاب المديح مـع الرثاء بذكركم فنظمتـه كقلائـد العقيـان



بقية اخبار السلطان المولى سليمان رحمه الله ومآثره وسيرته

لما بويع أمير المؤمنين المولى سليمان رحمه الله رد الفروع الى أصولها ، وأجرى الخلافة على قوانينها باقامة العدل والرفق بالرعية والضعفاء والمساكين، ومن وفور عقله وعدله اسقاط المكوس التـــى كانت موظفـة على حواضر المغرب فى الابواب والاسواق ، وعلى السلـع والغلل وعلى الجلد وعشبـة الدخان ، فقد كان يقبض فى ذلك أيام والده رحمه الله خمسمائة ألــف مثقال معلومة مثبتة فى الدفاتر مبيعة فى ذمم عمال البلدان وقـواد القبائل ، كل مدينة وما عليها ، ومن ذلك المكس كان سائـر العسكر فـــى الكسوة والسروج والسلاح والعدة والاقامة والخياطة والتنافيذ لوفود القبائل والعفاة والمؤنة للعسكر ولدور السلطان وسائر تعلقاته ، فكان ذلك المكس كافيـا لصوائر الدولة كلها ولا يدخل بيت المال الا مال المراسى وأعشار القبائــل وزكواتهم ، وكان مستفاد هذا المكس يعادل مال المراسى وأعشار القبائل ، فزهد فيه هذا السلطان العادل فعوضه الله أكثر منه من الحلال المحض الذى هو الزكوات والاعشار من القبائل وزكوات أموال التجار والعشر المأخوذ من تجار النصارى وأهل الذمة بالمراسى ، وأمـــا المسلمون فقد منعهم مـن التجارة بأرض العدو لئلا يؤدى ذلك الى تعشير ما بأيديهم أو المشاجرة مـع الاجناس هكذا بلغنا والله أعلم .

وكانت القبائل فى دولته قـد تمولت ونمت مواشيها وكثرت الخيرات لديها من عدله وحسن سيرته ، فصارت القبيلة التى كانت تعطى عشرة آلاف مثقال مضاربة أيام والده يستخرج منها على النصاب الشرعى عشرون وثلاثون ألف مثقال ، وذلك من توفيق الله له وتمسكه بالعدل والحلم والجود والحياء وجميل الصبر وحسن السياسة والتأنى فى الامور واجتنابه لما هو بضد ذلك .

فأما الحلم فهو دأبه وطبعه ، وقد اتفق اهل عصره على أنه كان أحلـم الناس فى زمانه ، وأملك لنفسه عند الغضب من أن يقع فى الخطأ ، ومذهبه

درء الحدود بالشبهات ، والتماس التأويل وقبول العذر ، حتى لقد حكى عنه أنه ما اعتمد البطش بأحد وتصدى لنكبته لغرض نفسانى أو لحظ دنيوى ، وحسبك من حلمه ما قابل به الخارجين عليه .

قال صاحب الجيش : لما عزمت على الخروج من فاس أيام الفتنة لملاقاة السلطان المولى سليمان بقصر كتامة ، جئت الى القاضى أبى الفضل عباس بن أحمد التاودى لاودعه فكان من جملة ما أوصانى به قال : قل لمولانا السلطان يقول لك عباس : انا نخاف اذا ظفرت بهؤلاء الظلمة أن تصفح عنهم ، فلما اجتمعت بالسلطان أبلغته مقالة القاضى فقال : كيف أصفح عنهم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى عزيز : لا أتركك تمسح سبلتك بمكة وتقول : خدعت محمدا مرتين ، فلما فتح الله عليه فلما كان جوابه أن قال : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، بل تعجل بالخروج منها مخافة أن يغريه بعض بطانته بأحد منهم ، فلعمرى لقد صدق من قال : ان التخلق يأتى دونه الخلق .

واما الدين والتقوى فذلك شعاره الذى يمتاز به ومذهبه الذى يدين الله به ، من أداء الفريضة لوقتها المختار حضرا وسفرا ، وقيام رمضان واحياء لياليه بالاشفاع ، ينتقى لذلك الاساتيذ ومشايخ القراء ويجمع أعيان العلماء لسرد الحديث الشريف وتفهمه والمذاكرة فيه على مر الليالى والايام ، ويتأكد ذلك عنده فى رمضان ، ويشاركهم بغزارة علمه وحسن ملكته ، ويتناول راية السبق فى فهم المسائل التى يعجز عنها غيره فيصيب المفصل ، ويواظب على صيام الايام المستحبة من كل شهر ، ويعظم العلماء الذين هم ورثة الانبياء ، ويرفع مناصبهم على سائر رجال دولته ، ويجرى عليهم الارزاق ويعطيهم الدور المعتبرة ، والضياع المغلة ، ويحسن مع ذلك الى من دونهم فى المرتبة من المدرسين وطلبة العلم ، ويؤثر المعتنين منهم وذوى الفهم بمزيد البر وتضعيف الجراية ، حتى لقد تنافس الناس فى أيامه فى اقتناء العلوم ، وانتحال صناعتها لاعتزاز العلم واهله فى دولته وسعة أرزاقهم .

وأما صبره عند الشدائد واحتمال العظائم ، وتجلده عند حلول الخطب

ونزول المقدور ، فحدث عن البحر ولا حرج ، وعن الجبل سكونا ورسوخ قدم .

قال صاحب البستان : ولو حدثنا بما شاهدناه منه لكان عجبا . وأما العدل فانه ما رىء فى ملوك عصره أعدل منه ، ومن عجيب سيرته أنه كان يلزم العمال رد ما يقبضونه من الرعايا على وجه الظلم من غير اقامة بينة عليهم على ما جرى به عمل الفقهاء من قلب الحكم فى الدعوى على الظلمة وأهل الجور حسبما ذكره الوانشريسى وغيره ، ومن عدله واقتصاده ما حكاه لنا الفقيه أبو العباس أحمد بن المكى الزواوى المؤقت بالمسجد الاعظم من سلا قال : مر السلطان المولى سليمان بسلا سنة ست وثلاثين ومائتين وألف فنزل برأس الماء واستدعانى للقيام بوظيفة التوقيت عنده قال : فدخلت عليه فاذا هو رجل طويل أبيض جميل الصورة ، ففاوضنى فى مسائل من التوقيت وكان يحسنه فأجبته عنها فأعجبه ذلك ، ثم وصلنى بضلونين وأخرج مجانته من جيبه ليحققها فرأيت مجدولها من صوف ، ثم حضرت صلاة العصر فتقدم وصلى بنا فرأيت سراويله مرقعة ، وكان امام صلاته الراتب هو الفقيه السيد الحاج العربى الساحلى ، لكنه صلى بنا تلك الصلاة ، ولما فرغنا من الصلاة وانقلبنا الى منازلنا جىء بالطعام وهو قصيعة من الكسكس عليها شىء من اللحم والخضرة ، وليس معها غيرها قال : وكانت عادة المولى سليمان فى السفر أن لا يتخذ كشينة أى مطبخا انما هو طعام يسير يصنع له ولبعض الخواص مما يكفى من غير اسراف ، حتى أن الكتاب كانوا يقبضون ست موزونات ويعولون أنفسهم ، وكانت أقواتهم وأزوادهم خفيفة اه

وأما سياسته الخاصة فى جبر القلوب ، واستئلاف الشارد ، وتسكين المرتاب ، وارضاء الولى ، ومجاداة العدو ، والدفاع بالتى هى أحسن عند اشتباه الامور ، ومعاناة الرجال بوجوه المكائد والحيل فى الامور التى لا ينفع فيها حرب ولا قوة فشىء لا يبلغ فيه شأوه ولا يشق غباره

وأما عادته فى الحرب فقد أخذ فيها بسيرة العجم بحيث لا يباشر

الحروب بنفسه ، ويعمل بعمل أهل الصدر الاول فيقف في قلب الجيش كالجبل الراسي ، وأمراؤه يباشرون الحروب بأنفسهم في الميمنة والميسرة ، وهو ردء لهم كلما رأى فرجة سدها أو خللا أصلحه ، وهو كالصقر مطل على حومة الوغى ، فاذا أمكنته فرصة انتهزها ، ومن شدة ثباته وعدم تزحزحه أنه كان لا يركب وقت الحرب الا البغلة ، وبذلك جرى عليه في وقعة ظيان والشراردة ما جرى فكان حماته يفرون عنه بلا حياء ويبقى هو ثابتا رحمه الله

وأما جمعه لاشتات العلوم فلقد كان وارثا من ورثة الانبياء ، حاملا للواء الشريعة جامعا مانعا ، اذا بوحث في الاخبار كان كجامع سفيان ، أوفي الاشعار فكنابغة ذبيان ، أو في الفطنة والفراسة فكاياس ، أو في النجدة والرأي فكالمهلب ، واذا خاض في السنة والكتاب أبدى ملكة مالك وابن شهاب ، ولو تصدى في الفقه للفتيا والتدريس لم يشك سامعه أنه ابن القاسم أو ابن ادريس ، واذا تكلم في علوم القرآن انهل بما يغمر مورد الظمآن

قال صاحب البستان : ولا يعرف مقدار هذا السلطان الا من تغرب عن الاوطان ، وحمل عصا التسيار ، ورمت به في الاقطار الاسفار ، وشاهد سيرة الملوك في العباد ، وما عمت به البلوى في سائر البلاد ، ولا يتحقق أهل المغرب بعدله الا بعد مغيبه وفقده .

المرء ما دام حيا يستهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

ومن آثاره الباقية وبناآته العادية فبفاس المسجد الاعظم بالرصيف الذي لا نظير له ، كان حفر أساسه المولى يزيد واشتغل عنه وتركه فافتتح هو عمله ببنائه وتشييده وأبقاه دينا على الملوك ، وبنى مسجد الديوان ، كان صغيرا فهدمه وزاد فيه أملاكا وجعله مسجدا جامعا تقام فيه الجمعة ، وبنى مسجد الشرابليين زاد فيه ووسعه وجعله مسجدا جامعا كذلك ، وبنى مسجد الشيخ أبي الحسن بن غالب وضريحه ، وبنى ضريح الشيخ أبي محمد عبد الوهاب التازي ، وهدم مدرسة الوادي

ومسجدها لتلاشيهما وجددهما على شكل آخر ، وجدد المدرسة العنانية وأصلح مسجد القصبة البالية وبيضه بالجص وزلجه ، وبنى باب الفتوح على هيئة ضخمة ، وباب بنى مسافر والباب الجديد على براح أبى الجلود ، وبنى القنطرة على الوادى بينهما ، وجدد قنطرة الرصيف مرتين ، وأصلح قنطرة وادى سبو ، وأصلح طرقات فاس الجديد كلها من داخل وخارج ورصفها بالحجارة ، وأصلح أبواب فاس الجديد كلها ورمم ما تلثم منها ، وجدد قصور الملك الخربة بها وزاد غيرها وأمر بتبييض مساجد الخطب وتبليط أرضها ، وبنى مسجد صفرو وجدد أسواره ، وبنى لاهله حماما به ، وبنى مسجد المنزل ببنى يازغة ، وبنى مسجد وجدة وحماما بها ، وأصلح قلعتها ودار امارتها ، وبنى مسجد وازان ومسجد تطاوين وأخرج أهل الذمة من جواره وبنى لهم حارة بطريق المدينة ، وبنى الصقائل والابراج بطنجة ، وجدد مسجد آصيلا وأسوارها ، وجدد قصور الملك بمكناسة بعد تلاشيها وأصلح القناطر التى بين فاس ومكناسة ، وبنى قنطرة على وادى سيدى حرازم بخولان ، وبنى مسجد الجزارين بسلا ووقف عليه أوقافا تقوم بمصلحته وأخرج يهودها من وسط البلد من حومة باب حسين ، وبنى لهم حارة على حدتها غربى البلد ، وبنى المسجد الاعظم بحومة السويقة من رباط الفتح وبنى دار البحر لنزوله ، وبنى قنطرة وادى حصار بتامسنا ، وبنى مسجد أبى الجعد بتادلا ، وبنى قنطرة وادى أم الربيع وقنطرة تانسيفت بمراكش بعد سقوطها وبنى المسجد الاعظم الذى كان أسسه على بن يوسف اللمتونى بمراكش وبناه بناء ضخما وأزال منارته التى كانت به قديما ، وشيد منارة أخرى بديعة الحسن رائقة الصنعة ، وأكمل مسجد الرحبة الذى كان أسسه والده رحمه الله ومات قبل تمامه ، وجدد قصور والده بمراكش وأصلحها وصان القصبة وعمرها ، ثم ختم رحمه الله ديوانه بالحسنة العظيمة ، والمنقبة الفخيمة ، وهى عهده بالخلافة لابن أخيه المولى عبد الرحمن بن هشام على كثرة أولاده ووجود بعض اخوته ، ولعمرى ان هذا العهد لمنقبة جليلة للعاهد والمعهود اليه ، أما العاهد فانا لم نسمع بعد أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب رضى الله عنه بأحد من خلفاء الاسلام وملوكه عدل بولاية العهد عن ولده المستحق لها الى غيره حتى كان هذا الامام الجليل ، الذى أحيا سيرة العمرين ، نعم قد عهد سليمان بن عبد الملك لابن عمه عمر بن عبد العزيز رحمهما الله ، لكن حكى ابن الاثير أن سليمان لما حضرته الوفاة عزم أن يعهد لابن له صغير فوعظه رجاء بن حيوة فرجع عن ذلك وشاوره في ابنه داود وكان غازيا بالقسطنطينية فقال له رجاء : لاتدرى أحى هو أم ميت، فحينئذ رجع الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وأما المعهود اليه فان في العهد اليه دون الابناء والاخوة شاهدا عدلا على كمال فضله واحرازه لخلال الخير وتبريزه فيها على من عداه من بنى أبيه وعشيرته ، ولعمرى ان ذلك لكذلك فان المولى عبد الرحمن بن هشام رحمه الله قد اشتهرت ديانته وأمانته عند القاصى والدان ، حتى صار لا يختلف فى عدالته اثنان .

تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع

وأولـــه :

الخبر عن دولة امير المومنين المولى عبد الرحمن بن هشام

فهرس الموضوعات

صحيفة

الخبر عن دولة أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله ٣
مجيء السلطان سيدى محمد بن عبد الله عقب البيعة من مراكش الى فاس وما اتفق له فى ذلك . ٤
احداث المكس بفاس وبسائر أمصار المغرب وما قيل فى ذلك . ٧
مقتل أبى الصخور الخمسى وما كان من أمره . ١٠
خروج السلطان سيدى محمد بن عبد الله الى الثغور وتفقده أحوالها ١١
ايقاع السلطان سيدى محمد بن عبد الله بالودايا والسبب فى ذلك ١٣
مجيء السلطان سيدى محمد بن عبد الله من مراكش الى الغرب مرة أخرى وما اتفق له فى ذلك ١٦
ايقاع السلطان سيدى محمد بن عبد الله بقبيلة مسفيوة والسبب فى ذلك ١٨
بناء مدينة الصويرة حرسها الله ٢٠
هجوم الفرنسيس على ثغر سلا والعرائش ورجوعه عنهما بالخيبة ٢١
مراسلة السلطان سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله لطاغية الاصبنيول وما اتفق فى ذلك ٢٣
اعتناء السلطان سيدى محمد بن عبد الله بثغر العرائش وشحنه بآلة الجهاد ٢٦
ايقاع السلطان سيدى محمد بن عبد الله بآيت يمور أهل تادلا ونقلهم الى سلفات والسبب فى ذلك ٢٧

اغراء السلطان سيدى محمد بن عبد الله بآيت ادراسن والسبب في ذلك ٢٨
مقتل عبد الحق فنيش السلاوى ونكبة أهل بيته والسبب في ذلك ٢٩
ورود هدية السلطان مصطفى العثمانى على السلطان سيدى محمد ابن عبد الله رحمهما الله ٣١
انعقاد الصهر بين السلطان سيدى محمد بن عبد الله وبين سلطان مكة الشريف سرور رحمه الله ٣٤
اعتناء السلطان سيدى محمد بن عبد الله بعبيد السوس والقبالة وجلبهم الى أجدال رباط الفتح ٣٥
فتح الجديدة ٣٥
سعى السلطان سيدى محمد بن عبد الله فى فكاك أسرى المسلمين وما يسر الله على يديه من ذلك ٣٨
حصار السلطان سيدى محمد بن عبد الله مدينة مليلية من ثغور الاصبنيول ٤٠
نهوض السلطان سيدى محمد بن عبد الله الى برابرة آيت ومالو والسبب فى ذلك ٤١
ذكر ما آل اليه أمر البكشارية الذين استخدمهم السلطان من قبائل الحوز ٤٤
خروج العبيد على السلطان سيدى محمد بن عبد الله ومبايعتهم لابنه المولى يزيد وما نشأ عن ذلك ٤٥
ذكر ما سلكه السلطان سيدى محمد بن عبد الله فى حق العبيد من التأديب الغريب ٤٧
ايقاع السلطان سيدى محمد بن عبد الله بأولاد أبى السباع وتشريدهم الى الصحراء وما يتبع ذلك ٥٠
ذهاب السلطان سيدى محمد بن عبد الله الى تافيلالت وتمهيده اياها والسبب فى ذلك ٥١

خروج السلطان سيدى محمد بن عبد الله الى الصويرة بقصد النزهة واغتنام الراحة وما اتفق له فى ذلك	٥٤
ذكر السبب الذى هاج غضب السلطان سيدى محمد بن عبد الله على ابنه المولى يزيد رحمه الله	٥٧
ذكر ما كان من السلطان سيدى محمد بن عبد الله الى أهل زاوية أبى الجعد حماها الله	٥٩
ذكر عدد عسكر الثغور فى دولة السلطان سيدى محمد بن عبد الله وما كان يقبضه من الراتب	٦١
قدوم المولى يزيد من المشرق واحترامه بضريح الشيخ عبد السلام ابن مشيش رضى الله عنه والسبب فى ذلك	٦٣
وفاة أمير المومنين سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله	٦٥
بقية أخبار السلطان سيدى محمد بن عبد الله ومآثره وسيرته	٦٦
الخبر عن دولة أمير المومنين المولى يزيد بن محمد وأوليته ونشأته رحمه الله	٧٢
بيعة أمير المومنين المولى يزيد بن محمد رحمه الله	٧٦
انتقال الودايا من مكناسة الى فاس وعبيد الثغور منها الى مكناسة	٨١
نقض الصلح مع جيش الاصبنيول وحصاره بسبتة	٨١
انتقاض أهل الحوز على السلطان المولى يزيد بن محمد وبيعتهم لاخيه المولى هشام رحمهما الله	٨٢
حدوث الفتنة بالمغرب وظهور الملوك الثلاثة من أولاد سيدى محمد ابن عبد الله وما نشأ عن ذلك	٨٦
الخبر عن دولة أمير المومنين أبى الربيع المولى سليمان بن محمد رحمه الله	٨٦
حرب السلطان المولى سليمان لاخيه المولى مسلمة وطرده الى بلاد المشرق	٩٠

نهب عرب أنقاد لركب حاج المغرب وما نشأ عن ذلك ٩٣
بعث السلطان المولى سليمان الجيوش الى الحوز ونهوضه على اثرها الى رباط الفتح وعوده الى فاس ٩٤
ثورة محمد بن عبد السلام الخمسى المعروف بزيطان بالجبل ٩٥
أخبار المولى هشام بن محمد بمراكش والحوز وما يتصل بذلك ٩٧
ثورة المولى عبد الملك بن ادريس بآنفا والسبب فى ذلك ٩٨
قدوم عرب الرحامنة على السلطان المولى سليمان ومسيره الى مراكش واستيلاؤه عليها ١٠٠
دخول آسفى وصاحبها القائد عبد الرحمن بن ناصر العبدى فى طاعة المولى سليمان رحمه الله ١٠١
دخول الصويرة وأعمالها فى طاعة السلطان المولى سليمان رحمه الله ١٠٢
استرجاع السلطان المولى سليمان مدينة وجدة وأعمالها من يد الترك ١٠٤
فتنة الفقير أبى محمد عبد القادر ابن الشريف الغليتى واستحواذه على تلمسان وبيعته للسلطان المولى سليمان والسبب فى ذلك ١٠٩
ذكر ما اتفق للسلطان المولى سليمان رحمه الله فى وسط دولته من الخصب والامن والسعادة واليمن ١١٢
بدء هيجان فتنة البربر وما نشأ عنها من التفاقم الاكبر ١١٥
اجلاب السلطان المولى سليمان على برابرة كرواز ورجوعه عنهم من آصرو وما نشأ عن ذلك ١١٦
مراسلة صاحب تونس حمودة باشا ابن علـى باى للسلطان المولى سليمان رحمه الله وما اتفق فى ذلك ١١٨
وصول كتاب صاحب الحجاز عبد الله بن سعود الوهابى الى فاس وما قاله العلماء فى ذلك ١١٩
حج المولى أبى اسحق ابراهيم ابن السلطان المولى سليمان رحمه الله ١٢٠
غزو السلطان المولى سليمان بلاد الريف والسبب فى ذلك ١٢٧

خروج السلطان المولى سليمان الى بلاد الحوز وتمهيدها ثم دخوله مراكش	١٢٩
غزو السلطان المولى سليمان قبائل الصحراء وايقاعه بآيت عطة والسبب فى ذلك	١٣٠
وقعة ظيان وما جرى فيها على السلطان المولى سليمان رحمه الله	١٣٤
ذكر آل مهاوش وأوليتهم وما آل اليه أمرهم	١٣٨
حدوث الفتنة بفاس وقيامهم على عاملهم الصفار	١٣٩
خروج السلطان المولى سليمان من مكناسة الى فاس وما لقى من سفهاء البربر فى طريقه اليها	١٤١
ذكر ما حدث من الفتن بفاس وأعمالها بعد سفر السلطان المولى سليمان الى مراكش	١٤٣
خروج أهل فاس على السلطان المولى سليمان وبيعتهم للمولى ابراهيم بن يزيد والسبب في ذلك	١٤٨
مسير المولى ابراهيم بن يزيد الى تطاوين ووفاته بها	١٥١
بيعة المولى السعيد بن يزيد بتطاوين ورجوعه الى فاس	١٥٢
مجيء السلطان المولى سليمان من مراكش الى القصر ثم مسيره الى فاس وحصاره اياها	١٥٣
مجيء المولى عبد الرحمن بن هشام من الصويرة الى الغرب واستخلافه بفاس وما تخلل ذلك	١٥٥
وقعة زاوية الشرادى وما جرى فيها على السلطان المولى سليمان رحمه الله	١٦٠
وفاة أمير المومنين المولى سليمان بن محمد رحمه الله	١٦٤
بقية أخبار السلطان المولى سليمان رحمه الله ومآثره وسيرته	١٦٩

فهرس الاعلام والقبائل

■■

حرف الالـف

الآزمى ١٦٥
آعليل ١١٧
آل اسمعيل ١٢٣
آل على ٨٣
آل فرج ٩١
آل مرينو ٩١
آل مهاوش ٩٦
آل المولى ادريس ١٥٠
آيت ادراسن ١٣- ١٤- ٢٧- ٤٦ - ٥١- ٧٣ - ١٠٨ - ١١٥ - ١١٧ - ١٣٤ - ١٥٠
آيت سكاتو ١٦
آيت سخمان ١٣٨
آيت سيبر ١٨
آيت عتاب ١١٣
آيت عطة ٥١ - ٥٣ - ٦٢ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢
آيت مهاوش ١٣٨
آيت ومالو ١٦ - ٢٧ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٧٤ - ٧٦ - ٩٦ - ١١٥ - ١١٧ - ١٣٤ - ١٥٠
آيت يسرى - ٤٣ - ١١٤
آيت يفلمان - ٥١ - ٥٣
آيت يمور - ١٣ - ١٤ - ٢٧ - ٥٠ - ٩١ - ١١٧
آيت يوسى - ١١٦ - ١١٧ - ١٣٧
ابراهيم عليه السلام ١٢٤
ابراهيم اميل السوسى ٥٤
ابراهيم ابن احمد الامغارى ١٠١
ابراهيم بن زروق ١٥٧
ابراهيم بن سليمان ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦
ابراهيم بن عمر ٧١ - ١٣٠
ابراهيم بـن يزيـد - ٩٦ - ١٥٠ ١٥١ - ١٥٢ ١٥٣
ابن ابراهيم ١٦٥
ابن الاثير ١٧٤
ابن اسحق ١٢٣ - ١٢٤
ابن خلدون ١٤٠
ابن حسن فنيش السلاوى ١٥٤
ابن حميدة ٦٣
ابن الداودى ٩٧

ابن سعود ١٢٠ ـ ١٢١
ابن سليمان ـ ١٥٢ ـ ١٥٤
ابن الشريف ـ ١١٠ ـ ١١١
ابن شقرون ١٤٠
ابن صالح ٦٩
ابن عبد الرزيق ١٥١
ابن عبد الصادق ١١٣
ابن عثمان ١٠٢
ابن عرفة ٦٧
ابن عيسى
ابن الغازى الزمورى ١٥٠ ـ ١٥٢
ابن المبارك ٥٦
ابن المدلق ١٢٨
ابن يوسف ١٥٩
أبو اسحق ابراهيم بن سليمان ـ ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٤
ابو اسحق ابراهيم الزداغى ١٢١
ابو اسحق ابراهيم عبد القادر الرياحى ١١٨ ـ ١٢٥
أبو اسحق الشاطبى ٦٧
أبو بكر رضى الله عنه ١٦٤
ابو بكر بن العربى ٦٧
ابو بكر بن عمر ١٣٢
ابو بكر بن محمد ١٣٩
ابو مهاوش ١٣٧ ـ ١٥٠
ابو البقاء خالد الطنجى ١٥١
ابو الحسن الحاج بن العروسى ٣٠
ابو الحسن على بن حرزهم ١٩
أبو الحسن على بن محمد ٧١
ابو الحسن على بن مارسيل ١٢ ـ ٢٥
ابو حفص بن أبى ستة ١٦١ ـ ١٦٢ ـ ١٦٣
ابو حفص عمر الورزيق ٥٧
ابو حفص عمر الفاسى ٧٣
أبو حفص الوقاش ١١
ابو حامد الغزالى ٧ ـ ٨ ـ ٦٨
ابو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الاله العلوى ٥٢ـ ٥٩ـ ٦٤ـ ٦٧ ـ ٧١ ـ ٧٦ ـ ٨٦ ـ ٨٧ ـ ٨٨ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ١١٠ ١١٢ ـ ١١٣ ـ ١١٥ ـ ١١٨ ـ ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢٣ ـ ١٢٤ ـ ١٢٧ ـ ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ ١٣٧ ـ ١٣٨ ـ ١٣٩ ـ ١٤٣ ـ ١٤٨ ـ ١٥٣ ـ ١٥٥ ـ ١٥٦ ـ ١٦٠ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥ ـ ١٦٩ ـ ١٧٠ ـ ١٧١
ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون ٦٧
ابو زيد عبد الرحمن بن الكامل ٥٥ـ ٥٦
ابو زيد عبد الرحمن بن على

أشعاش ١١٤
ابو زيد عبد الرحمن بن ناصر العبدى ٨٦
ابو زيد عبد الرحمن بن بوخريص - ٥٤ - ٥٦
ابو زيد عبد الرحمن المنجرة ٧
ابو السرور عياد بن ابى شفرة ١٠٤ - ١٠٥ - ١١١ - ١١٦
أبو الشتاء ٦٢
ابو العباس احمد ادراق ٤٣
ابو العباس احمد اشقراس ١٠٧
ابو العباس احمد بن عبد الصادق - ١٢٩ - ١٣٣
ابو العباس أحمد بن المكى المزوارى - ١٥٣ - ١٧١
ابو العباس احمد بن المكى السدراتى - ٢١ - ٢٢ - ٢٩ - ٣٧
ابو العباس احمد بن المهدى الغزال - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٤ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٥٤
ابو العباس احمد التجانى ٨٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٢٣ - ١٢٩
ابو العباس احمد الرفاعى ١٣٣
ابو العباس احمد السبتى ٦٩ - ٧٤
ابو العباس احمد الشدادى ٨٣
ابو العباس احمد الشاوى ١٥
ابو العباس احمد عنيقد السلاوى ١٥٤
ابو العباس احمد العلوس ١٥١
ابو العباس احمد الونان ٧١
ابو العباس الحاج احمد بن عاشر ٨٣ - ٨٤
ابو العباس التسرادى ١٦٠
ابو العباس اليمورى ١٠٨ - ١٠٩
ابو عبد الله التاودى ٦٩
أبو عبد الله الحاج الطاهر بادو ١١٠
أبو عبد الله الحكماوى ١٠٧
أبو عبد الله الحوات ٨٣
أبو عبد الله العربى السعيدى ١٥٣
أبو عبد الله عبد الكريم ابن زاكور ٦
أبو عبد الله الهزمرى ٥٥
أبو عبد الله محمد بن أبى بكر اليازغى ١٤١
أبو عبد الله محمد بن أبى عزة بوجميعة ١٥٥
أبو عبد الله محمدبن ابراهيم الدكالى ١٤٦ - ١٤٩
أبو عبد الله محمد بن أحمد العلوى ١٩
أبو عبد الله محمد بن ادريس ١٤٤ - ١٦٦
ابو عبد الله محمد بن حدو الدكالى ١٨
أبو عبد الله محمد بن الحسن الوزانى ٨٥

أبو عبد الله محمد بن زكرى ٨٣
أبو عبد الله محمد بن سليمان ١٥١
أبو عبد الله محمد بن الشاهد ١١٧
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدلائى ١٤٨
أبو عبد الله محمد بن عبد الصادق الطرابلسى ٧
أبو عبد الله محمد بن عبد الله العربى ٥٤ - ٦٦
أبو عبد الله محمد بن عثمان المكناسى ٥٧ - ١٠١ - ١٠٦
أبو عبد الله محمد بن عمر الوقاش ٦
أبو عبد الله محمد بن العامرى البحياوى ١٥٩
أبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس ٧
أبو عبد الله محمد بن ناصر ٢٤
أبو عبد الله محمد الرهونى ١٠٧ - ١٠٩ - ١٢٩
أبو عبد الله محمد الزعرى ٩٠ - ٩١
أبو عبد الله محمد الصغير ٤٤
أبو عبد الله محمد الطاهر الكتانى ١٤٨
أبو عبد الله محمد العربى بن أحمد الدرقاوى ١٠٩ - ١٥٠
أبو عبد الله محمد العربى الخمسى
أبو الصخور ١٠
أبو عبد الله محمد العربى بن يوسف المسلمانى ١٥٢
أبو عبد الله محمد العربى الساحلى ١٢١
أبو عبد الله محمد العربى السعدى ١٥١
أبو عبد الله محمد العربى السلاوى ١٢٨
أبو عبد الله محمد السوسى المنصورى ٨٣
أبو عبد الله محمد العربى الشركى ٥٩
أبو عبد الله محمد العربى الضريدى ١٠٨
أبو عبد الله محمد العربى تادوس ٧٢ - ٩١
أبو عبد الله محمد الكامل الرشيدى ٥٤ - ٦٦
أبو عبد الله محمد الهاشمى ٥٠ - ٨٦
أبو عبد الله المفتوحى السفيانى ١٥٩
أبو عبد الله محمد المستيوى ١٩
أبو عبد الله محمد المكى بن العربى ٩٠
أبو عبد الله محمد المير السلاوى ٥٤ - ٦٦ - ١٠٧
أبو عثمان سعيد الشليح الجزولى ٣٥ -

٦٩ ـ ٧٤
أبو عريف ٣٠
أبو عزيز ١٧٠
أبو عزة بن ناصر ١٠٨
أبو عزة بن محمد واعزيز ١٠٨
أبو العزم رحال الكوش ٣٣
أبو العلاء ادريس العراقى ٤
أبو عمر بن منظور ٨
أبو عمر عثمان التواتى ٨٤
أبو الفرج الاصبهانى ٦٦
أبو الفضل العباس بن أحمد التاودى ١٤٦ ـ ١٧٠
أبو الفضل العباس ابن كيران ١٢١
أبو الفضل العباس مرينو ٩٠
أبو الفضل حمدون ابن الحاج ١٢٠ ـ ١٢٧ ـ ١٣٣
أبو القاسم الصبانى ٤١ـ ٤٢ـ ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٥٢ـ ٥٤ـ ٦٠ ـ ٦٣ـ ٦٤ ـ ٩٣ ـ ١٤٩
أبو القاسم العمرى ٤
أبو مالك عبد الواحد الحميدى ٥٦
أبو محمد بن أبى العباس الشرادى ـ ١٦٠
أبو محمد عبد السلام بن محمد بن عبد الله ٣
أبو محمد عبد القادر بن الخضر ٧٣
أبو محمد عبد القادر بن الشريف الفليتى ١٠٩
أبو محمد عبد القادر ابن شقرون ٩٩
أبو محمد عبد القادر بوخريص ٧
أبو محمد عبد الكريم بن يحيى ٥٧
أبو محمد عبد الله بن حمزة العياشى ١٣٧ ـ ١٤٢
أبو محمد عبدالله بن محمد الرحمانى ٩٧
أبو محمد عبد الوهاب اليمورى ٥
أبو مدين الفاسى ٣ ـ ٩٢
أبو مروان عبد الملك بن بيهى الحاحى ١٠٢
أبو مروان عبد الملك التاجموعتى ١٣٧
أبو يعلى ٢٤
أحمد بن التاودى ابن سودة ٨٩
أحمد بن حنبل ١٢٢
أحمد بن الطيب الوزانى ٨٥
أحمد بن عبد الله ١٩
أحمد بن عثمان المكناسى ٥٤
أحمد بن العربى ١٠٧
أحمد بن مبارك ١٣٠ ـ ١٣٧
أحمد بن ناصر الدرعى ١٦٠
أحمد الحبيب ١٣٢
أحمد الخضر ١٩
أحمد العلوى ١٦٥
أحمد القائد ١٣١ ـ ١٣٨

أحمر ٩٨
الاحلاف ٧١ - ١٠٤ - ١١٣ - ١١٦
الاخماس ١٠ - ٩٦
أخنسوس ١٧ - ١٣٢ - ١٤٨
ادريس الاكبر ٧٥ - ١٥٦ - ١٥٨
ادريس بن المنتصر ١٧
ادريس بن هاشم الحسنى ٩٠
اسمعيل عليه السلام ١٢
اسمعيل بن الشريف ١١ - ١٣ - ١١٢ - ١٣٠
اسبانيا ٥٨ - ٦٢
الاشراف ٥٢ - ٧٠ - ٧٤ - ٧٦
الاشراف الادارسة ٧٥
أشراف الحجاز ٣٤
أشراف سجلماسة ٥١
أشراف زرهون ٤٦
أشراف مكة ٥٧
أشراف اليمن ٣٤
الاشعرية ٦٨
الاصبنيول ٨١
أكنسوس ٩٧- ١٣٨- ١٥٣- ١٥٥ ١٥٨
الامين بن جعفر الحسنى ١٢١
الانجليز ١٢٤
الانصار ١٥٨
أهل آكادير ١٠٣
أهل آنجرة ١١
أهل أبى صمغون ١٠٥
أهل الاخماس ٩٦
أهل البيت ٧٢
أهل تادلا ٢٧ - ٤٥
أهل تطاوين ٦ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٤ - ١٥٩
أهل تلمسان ١١٠ - ١١١
أهل الثغور ٤
أهل الثغور الهبطية ٨٧
أهل الجبل ٤٨ - ٧٦ - ٩١
أهل جبل فازاز ١١٥
أهل الجديدة ٣٦
أهل الجزائر ٣٨ - ٣٩ - ٥٨
أهل الحرمين ٣٤ - ٧٠
أهل الحوز ٨٦ - ١٠٠
أهل دكالة ٢٧ - ٣٧ - ٤٤ - ١٤٢
أهل الذمة ١٧٣
أهل رباط الفتح ١٢ - ٣٢ - ٨٧ - ٩٠
أهل الريف ١١ - ١٢- ٢٨- ٢٩ - ٦١ - ١٢٨ - ١٥٧
أهل زرهون ٩١
أهل زيغ ١٥
أهل الساحل ٢٢
أهل سجلماسة ٦٣ - ٧٦

أهل سلا ١٢ – ٣٢ – ١٥٣
أهل السوس ٢٠ – ١٠٧ – ١٤٢
أهل طنجة ٤٧ – ٧٦
أهل العدوة ١٤٤
أهل عدوة الاندلس ١٤٤ – ١٤٩
أهل عدوة الملطيين ١٤٩
أهل العدوتين ٨٧ – ٩١
أهل العرائش ٢٦ – ٤٧ – ٤٨ – ١٥١
أهل الغرب ١٢ – ١٨ – ٢٦ – ٨٧ – ١١٦ – ١٥١
أهل فاس ٣ – ٤ – ٥ – ١٤ – ١٧ – ٢٤ – ٧٦ – ٩١ – ١٣٩ – ١٤٠ – ١٤١ – ١٤٣ – ١٤٤ – ١٤٦ – ١٤٩ – ١٥٠ – ١٥٤ – ١٥٧ – ١٥٨ – ١٦٥
أهل الفحص ١١٦
أهل القصبة ٤٧
أهل مراكش ٤ – ٧٦ – ٧٧ – ٨٢ – ٨٦ – ٩٤ – ٩٧ – ٩٨ – ١٢٣ – ١٤٩ – ١٥٨
أهل المشرف ٣٤
أهل المغرب ٣ – ٤ – ٣٤ – ٣٨ – ٧٢ – ١٦٤
أولاد أبى أحمد ١٢
أولاد أبى السباع ٥٠
أولاد أبى ستة ١٦٣
أولاد أبى عطية ٤٥
أولاد أحمد الزاوية ١٦١
أولاد البقالى ١٥٨
أولاد بن زرك المزابى ٤٥
أولاد جامع ١١٦
أولاد جرير ١٠٠
أولاد دليم ١٦٠
أولاد زكرى ١٠٤
أولاد زنبير ٢٩
أولاد الشيخ أبى عبد الله العربى الدرقاوى ١٥٩
أولاد على ١٠٤
أولاد قاسم الصريدى ٩٥
أولاد نصير ١٥١
أولاد واعزيز ١٠٨
أولاد يزيد ١٦٥

حرف « البـاء »

الباشا العياشى ١٠
باعقيل السوسى ١١٢ – ١١٣
١٠٤ – ١٠٥ – ١١١
الباى ٩٢
الباى محمد بن عثمان باشا ٩٣ – ١٠٤ – ١٠٥ – ١١١
باى وهران ١٠٩
البخارى ٩٦
برابرة آيت ومالو ٤١ – ١٠٧

برايرة بنى يزناسن ٩٣
برابرة جروان ٣٩
برابرة زمور ٥١ ـ ١٣٥
برابرة شقيرين ١٦
برابرة الصحراء ٥١
برابرة الغرب ١٦٣
برابرة فازاز ١٣٤
البربر ٤ ـ ١٧ ـ ٤١ ـ ٤٣ ـ ٤٦ ـ
٤٩ـ ٥٠ـ ٥٢ـ ٥٣ـ ٦٢ـ ٧٣ ـ
٧٥ـ ٧٦ـ ٨٢ـ ٨٧ـ ٩١ـ ١٠٧ ـ
١٠٨ ـ١١٢ ١١٥ ـ ١١٦ ـ ١١٧ ـ
١٣٠ـ ١٣١ـ ١٣٤ـ ١٣٥ـ ١٣٦ ـ
١٣٧ـ ١٣٨ـ ١٣٩ـ ١٤١ـ ١٤٢ ـ
١٤٨ـ ١٤٩ ـ ١٥٠ ـ ١٥٢ ـ ١٥٤
البرتقال ٣٥
بطروس ٣٧
البكريون ٥٢
بلعباس بن المزوار الدكالى البوزرارى
١٥٦
بلقاسم الزمورى ٤١ـ ٤٢ـ ٤٣ ـ ٤٤
بناصر بن عبد الرحمن ١٦٣
بنو أبى يحيى ١٠٧
بنو جرفط ٢٢
بنو حرشن ٩٦
بنو حسن ١٨ ـ ٣٠ ـ ٤٨ ـ ٨٧ ـ
٩٠ ـ ٩٦ ـ ١١٦ ـ ١٤٣ ـ ١٥٩ ـ
١٦١
بنو حكم ٤١ـ ٤٣ـ ٤٤ـ ٥١ـ ١٥٠
بنو سادن ١٦
بنو شيبان ١٠٣
بنو عبد المومن ٦٨
بنو عياط ١١٣
بنو مالك ٤٨ ـ ٤٩ ـ ١٥٩
بنو مرين ٣٢
بنو مطير ٧٤
بنو مكيلد ١١٧ ـ ١٣٦
بنو موسى ١١٣
بنو يازغة ١٧٣
بنو يزيد ٩٦
بنو يدير ٩٦
بنيس ١٤٠

حرف « التـاء »

تادلا ١٤٢
التباع ٦٩
الترك ٥٨ ـ ٦٠ ـ ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ
١٠٩ ـ ١١٠ ـ ١١١
تقى الدين بن تيمية ١٢٢
تكنة ٥٠ ـ ١٦٠

حرف « الجيم »

جبور ١٣
تقي الدين بن تيمية ١٢٢
تكنة ٥٠ ١٦٠
جـروان ١٣ – ١٤ – ٢٧ – ٤٦ – ٥٠– ٥١– ٧٣– ٧٤– ١٠٨– ١١٦ – ١١٧– ١٣٤– ١٣٨–
الجزولى ٦٩ – ١٠٦
الجيش البخاري ١٥٧
الجيلالى الرحمانى ١٦٥

حرف الحـاء

الحاج ابراهيم بن رزوق ١٥٧
الحاج ابو عبدالله محمد الصفار ١٣٣
الحاج احمد الحارثى ١٤٤
الحاج التهامى قدور ١٩
الحاج حمان العبدى ١٥٦
الحاج الخياط عديل ١٧
الحاج سليمان التركى ٣٧
الحاج الطالب بن جلون ١٤٩ – ١٥٠ – ١٥١ – ١٥٧
الحاج عبد الله ٤٤
الحاج العربى بن رقية البوزرارى ١٥٦
الحاج العربى بن على الوزانى – ١٥٠ – ١٥٨
الحاج العربى بن يوسف أشعاش ١٥٢
الحاج العربى بن الساحلى ١٧١
الحاج الغزوانى بن البغدادى ٨٣
الحاج الفيلالى ٦٣
الحاج محمد بن الطاهر ١٦١
الحاج محمد بن عبد الصادق ١٠٢ – ١٠٣ – ١٢٩
الحاج محمد بن عبد الله معنينو ٨٥٣
الحـاج محمد بن الضارى – ١٣٤ - ١٣٥ – ١٥٠
الحاج محمد الصفـار – ١٦ – ١٧ – ٢٧ – ١٣٩ – ١٤٠ – ١٤١
الحاج المعطى بن محمد الحاج ١٥٦
حاحة ٤ – ٩٧ – ١٠١ – ١٠٣ – ١٠٩ ١٤٢
حبيب بن عبد الهادى ١٠٨
حبيب المالكى ٢٢ – ٣٠
الحسن بن اسمعيل ١٢ – ٥١ – ٥٢
الحسن بن حمو واعزيز المطيرى ١٣٥ – ١٥٠
الحسين بن محمد ٥٢ – ٧١ – ١٤١
حسن بن يزيد ٩٢
حسين بن محمد ٥٢ – ٦٣ – ٩٧ – ٩٨ – ١٠٠ – ١٠١ – ١٠٦ – ١٣٨
حماد الصريدى ١٥٥
حمودة باشا بن على باى ٩٢ – ١١٨

الحوز ١٤٨
الحياينة ١٦- ١٨- ٩١- ١١٦- ١٥٧

حرف الخـاء

الخلط ٤٩
خليل ٦٧ ـ ٨٥

حرف الدال

الدجال ١٣٨
دخيسة ١٥١
دراس بن اسمعيل ٦٩
دكالة ٩٨ ـ ١٠٥ ـ ١٢٩ ـ ١٣٢
الدولائى ١١٠
الدير ٤ ـ ١٠١
الدينمرك ٣٢ ـ ٣٣

حرف الذال

ذوو بلال ١٦٠ ـ ١٦٥

حرف الراء

رجاء بن حيوة ١٧٤
الرحامنـة ٨٢ ـ ٩٨ ـ ١٠١ ـ ١٤٢
١٤٨- ١٥٦- ١٦١- ١٦٢- ١٦٣
رفالة ١١٣
الرضى الورديغى ٣٠
الرهونى ٨٥

حرف الزاى

زرارة ١٦٠ ـ ١٦٣
زمور ٤١ ـ ٤٣ ـ ٤٤ ـ ٥١ ـ ١٠٤
زمور الشلح ١٨ ـ ١٥٠
زمران ٥٠ ـ ١٤٢
زناتة ٩٩

حرف السين

سبعة رجال ١٢٣
السراغنة ١٤٢ ـ ١٥٦
سرور ٣٤
سعيد بن العياشى ٤٨
السعيد بن محمد ١٥٣- ١٥٤ ـ ١٥٧
سعيد بن يزيد ١٥٢ ـ ١٥٩
سعيد الشلح الجزولى ٥٤
سعيد العلج ١٥٤
سعيد العميرى ٣ ـ ٤
سفيان ١٥٩
سقونة ١٠٤
سليمان بن احمد الفشتالى ٩٠
سليمان بن عبد الملك ١٦٦ ـ ١٧٤
السنوسى ٨٣
سمكت ٥٠
سويد ٣٣

حرف الشين

الشاطبي ١٢٤
الشاكر ٥٥
الشاهد ٤٥
الشاوية ٩٨ ـ ١٥٦
الشبانات ١٦٠
الشراردة ١٦٠ـ ١٦١ـ ١٦٢ـ ١٧٢
شراقة ١٨ ـ ٦٢ ـ ٩١ ـ ١٠٤ ـ
١١٦ ـ ١٣٤
الشريف سرور ٥٨
الشفشاوني ١٤٦
شقيرين ٧٤
شوشاوة الحوز ٥٠
الشياظمة ١٢٩ـ ١٣٢ـ ١٤٢ـ ١٦٥

حرف الصاد

صالح بن الرضى الورديغي ٣٩ ـ ٤٥
الصديق بن الفقيه العمراني ١٥٦
صفية ١٠٠
صلاح الدين بن أيوب ٥٢
صنهاجة ١٣٤
صهيب ١٦٤

حرف الطاء

الطائفة التجانية ٨٣
طاغية الاصبنيول ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ
٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٥٨ ـ ٧١ ـ ٧٢
الطاهر بناني ١٧ ـ ٢٥ ـ ٣١ ـ ٥٤
الطاهر بن عبد الحق فنيش ٦٠
الطاهر بن عبد السلام السلاوي ٢٥
ـ ٣١ ـ ٥٤
الطاهر بن مسعود الحساني ١٦١
طليق ٤٩
٩١ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٨ ـ
٩٩ ـ ١٠٤ ـ ١٠٦ ـ ١٥٣
الطيب بن محمد عبد الله ٧١ ـ ٩٠ ـ
الطيب بن محمد الوزاني ٨٥
الطيب البيار ١٥٤

حرف الظاء

ظيان ١٣٤ ـ ١٧٢

حرف العين

العباس البخاري ٦٥ ـ ٧٣ ـ ٧٤
عبد الباقي الزرقاني ٨٥ ـ ٩٦
عبدة ٨٢ ـ ٩٨ ـ ١٠١ ـ ١٠٥ ـ
١٢٩ ـ ١٣٢ ـ ١٤٢
عبد الحميد بن احمد العثماني ٥٣ ـ
٥٨ ـ ٦٠
عبد الحق فنيش السلاوي ١٢ ـ ٢٩
عبد الخالق بن كيران الحريزي ١٦٢

عبد الرحمن بن عبد الرحمن ٧٤
عبد الرحمن بن عوف ١٥٨
عبد الرحمن بن الكامل المراكشي ٥٤
عبد الرحمن بن فارس ١٤٤
عبد الرحمن بن ناصر العبدى ٩٧ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٥
عبد الرحمن بن هشام ٣٣ - ٩٩ - ١٤٨ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٩ - ١٦٢ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٧٣ - ١٧٤
عبد الرحمن المنجرة ٤
عبد السلام بن سليمان ٥١
عبد السلام بن على وعدى ١٢
عبد السلام بن محمد ٣٤ - ٥٧ - ٧١ - ١٠٠
عبد السلام بن مشيش ٦ - ٢٥ - ٦٤ - ٦٥
عبد الصادق بن احمد الريفى ١١ - ١٢ - ٢٧
عبد القادر أبو خريص ٣
عبد القادر بن احمد بن العربى ابن شقرون ٩٠
عبد القادر بن محمد ٧١ - ١٠٧
عبد الكريم راغون التطوانى ٣١
عبد الله بن اسمعيل ٣ - ٤ - ٦ - ٧ - ١٣ - ١٤ - ١٨ - ٢٩ - ٣٠ - ١٦٤
عبد الله الخضر ١٠٤ - ١٠٨
عبد الله بن سعود الوهابى ١١٩
عبد الله بن على ٦٣
عبد الله بن محمد ٧١ - ١٤٨
عبد الله السوسى ٤
عبد الملك ١٩ - ٩٩ - ١٠٤
عبد الملك بن ادريس ٥٧ - ٦٠ - ٩٨ - ١٠٠
عبد الملك بن بيهى ١٠٣ - ١٥٦
عبد الملك بن الحسن الفضيلى ٩٠
عبد النبى المنبهى ٢٨ - ٤٤
عبد الهادى الريفى ١٢
عبد الواحد بن محمد ٧١
العبيد ٤ - ١١ - ١٤ - ١٥ - ٢٦ - ٢٨ - ٣٣ - ٤٣ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٦١ - ٧٥ - ٨١ - ٨٧ - ٩١ - ١٠٣ - ١١٦ - ١١٧ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٤١ - ١٤٣ - ١٥٠ - ١٥٣ - ١٥٧ - ١٥٩
عبيد بنى حسن ٤٩
عبيد تافيلالت ٦٢
عبيد حاحة ٤٩
عبيد دكالة ٤٩
عبيد زعير ٤٩
عبيد سبتة ١١
عبيد الديوان ١٤٢

عبيد السراغنة ٤٩
عبيد سفيان ٤٩
عبيد السلوقية ٥ ـ ١٠
عبيد السوس ٣٥ ـ ٤٩ ـ ١٠١
عبيد الشاوية ٤٩
عبيد الصويرة ١٠٢ ـ ١٠٣
عبيد طنجة ٤٨
عبيد العرائش ٤٨
عبيد القبلة ٣٥
عبيد المخزن ٣٥
عبيد مكناسة ١٢ ـ ٣٥ ـ ٤٧
عبيد المهدية ٢٩
عثمان بن محمد ١٠٥
العثمانى ١٤٠
العجم ١٧١
العراقى ١٤٦
العرب ٤١ ـ ٤٩ ـ ٥٣ ـ ٦٦ ـ ٧٦
٨٧ـ ٩٣ ـ ١٠٧ ـ ١٠٩ ـ ١١٠ ـ
١١٧ـ ١٣٠ ـ ١٣١ ـ ١٣٥ ـ ١٤٣
عرب الاعشاش ١١٢
عرب آنكاد ١٥٧
عرب بنى حسن ٧١ ـ ١٥١
عرب تلمسان ١٠٩
عرب الحوز ١٣٤
عرب الخلط ٩١
عرب الرحامنة ١٠٠
عرب الصباح ١٣٠
عرب الغرب ٢٢ ـ ١٣٤
عرب معقل ١٦٠
عرب نجد ١١٩
عرب ورديغة ١١٤
العربى بن محمد الصفار ٢٧
العربى بن المعطى الشرقاوى ١٣٣
العربى بن يوسف المسلمانى ١٥٧
١٥٩
عسكر الحوز ٤
عقبة بن نافع ٥٥
علال بن مسعود ٦
علال العافية ١٤٩
على بن احمد الوزانى ١٢٧
على بن ادريس ٩٠ ـ
على بن حرزهم ٦٩
على بن حميدة الزرارى ٥٣
على بن سليمان ٥١ ـ ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ
١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ١٤٩
على بن الشريف ٥١ ـ ٦٣ ـ ٦٩
على بن عبد الرحمن ٧٤
على بن المفضل ٣٥
على بن عبد الله ١٣٢
على بن محمد بن عبد الله ١٩ ـ ٢٥ ـ
ـ ٣٤ ـ ٥٢

علي بن محمد الشيظمي ١٥٦ ـ ١٦٥
علي بن يوسف اللمتوني ١٧٣
علي الشريف ١٣٢ ـ ١٦٠
عمارة بن موسى ٢٤ ـ ٣٨
عمر رضي الله عنه ١٦٤ ـ ١٧٣
عمر بن أبي سلهام المزاري ٤٥
عمر بن سليمان ١٣٢ ـ ١٣٣
عمر بن عبد العزيز ١٦٦ ـ ١٧٤
عمر بن محمد ٧١
العلويون ٥٢
عيسى ١٢٣
عيسى بن الحسن المصباحي ١٥٧

حرف الغين

الغانو (الشيخ) ١٣٢
الغازي بن المدني المزمري ١٠٠
الغالب بالله السعدي ٣٦
الغزواني ٦٩
الغنيمي ٩٤ ـ ٩٥
عياشة ١٥٧

حرف الفاء

فاطمة بنت سليمان ٢٥ ـ ٧١
الفاسيون ٥٢
الفرايلية ٢٣
فرج ٧
فرجي ١٦٢
الفرنج ٢٤ ـ ١٣١
الفرنسيس ٢٠ ـ ٢١ ـ ٣٠ ـ ٧١
الفشتالي ٥٦ ـ ٦٧
فضول بن حمان ١٥٦
فنانشة سلا ٣٧ ـ ٨٢

حرف القاف

القادريون ٥٢
قاسم بن الخضر ١٥٩
قاسم الرحماني ١٦١ ـ ١٦٢ ـ ١٦٣
قسم الشرادي ١٦٠
قسم الصريدي ٩٥
قبائل آيت ومالو ١٠٨
قبائل أحمر ٩٧
قبائل البربر ٩١ ـ ١١٤ ـ ١١٥
قبائل بني حسن ١٤٢
قبائل بني يزناسن ١٠٤
قبائل تادلا ٣٩
قبائل تامسنا ٤٤
قبائل الجبل ١٠ ـ ١٧ ـ ٢٥ ـ ٩٥
قبائل الحوز ٤ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٣٦ ـ
٤٤ ـ ٤٦ ـ ٧٦ ـ ٨٢ ـ ٩٤ ـ ٩٧
١٠١ ـ ١١٦ ـ ١٢٩ ـ ١٣٢ ـ ١٤٢
ـ ١٥٣ ـ ١٥٥ ـ ١٥٧ ـ ١٥٨ ـ ١٦١
قبائل دكالة ٨٢ ـ ٩٧

قبائل الريف ٢٥ ـ ١٠٧ ـ ١١٤ ـ ١٢٧
قبائل السوس ٣٦ ـ ٥٠
قبائل الشاوية ٩٤ ـ ٩٨ ـ ٩٩ ـ ١٤٢
قبائل الشياظمة ٩٧
قبائل الصحراء ٧٦ ـ ١٣٠
قبائل عبدة ٩٧
قبائل العرب ٤ـ ٤٦ ٥٠ ـ ٧٦ ـ ١١٤ ـ ١١٦ ـ ١٣٧ ـ ١٦١
قبائل الغرب ٦ ـ ٤٨ ـ ٥٠
قبائل غمارة ١٠
قبائل الفحص ٩٦
قبائل مراكش ٣٦
قبيلة الاخماس ٩٥
قدور بن الخضر ١٥ ـ ١٦ ـ ٤٢ ـ ٤٣ ـ ٧٥
قدور بن عامر الجامعى ١٤٩
قدور المقروق ١٤٤
قريش ١٥٨

حرف الكاف

كريران الحريزى ١٢٩

حرف « اللام »

اللمطيون ١٤٤ ـ ١٤٩

حرف « الميم »

المأمون بن محمد ٧١ ـ ١٠٢
المحجوب بن قائد ٣٥
محمد بن ابراهيم ٩٠
محمد بن أبى ستة ١٧٢ ـ ١٦٣
محمد بن احمد ٤٥
محمد بن أحمد بن عبد الله
محمد بن احمد بنيس ٩٠
محمد بن أحمد البوزرارى ٤٤
محمد بن الجيلالى ١٤٣
محمد بن حدو الدكالى ٣٠
محمد حديدة البوعزيزى ١٥٦
محمد خدة الشرقى ١٠٤ ـ ١٠٧
محمد بن سليمان ١٤٩
محمد بن الطاهر الفيلالى ١٤٩
محمد بن عبد الجليل الوزانى ١٦٣
محمد بن عبد الرزيق ١٤٩
محمد بن عبد السلام زيطان ٩٥ـ ٩٦
محمد بن عبد السلام الفاسى ٨٩
محمد بن عبد الله ٣ـ ٤ـ ٦ـ ٧ ـ ١٠ـ ١١ـ ١٢ـ ١٣ـ ١٤ـ ١٦ ـ ١٨ـ ١٩ـ ٢٠ـ ٢٣ـ ٢٦ـ ٢٧ ـ ٢٨ـ ٢٩ـ ٣٠ـ ٣١ـ ٣٢ـ ٣٤ ـ ٣٥ـ ٣٧ـ ٣٨ـ ٤٠ـ ٤١ـ ٤٤ ـ ٤٥ـ ٤٧ـ ٥٤ـ ٥٥ـ ٦٠ـ ٦١ ـ

٦٦– ٦٨– ٧١– ٧٢– ٧٦– ١٠٦ –
١٣٨ – ١٦٠ – ١٦٤
محمد بن عبد المجيد الفاسي ٩٠
محمد بن عبد الملك ٢٧ – ٤٦
محمد بن عبد الوهاب ١١٩
محمد بن الغنيمي ١٥٦
محمد بن قاسم السفياني ١٥١
محمد بن مرزوق ١٥٦
محمد بن محد مدواعزيز ١٣– ٧٤ –
٧٥ – ٧٦ – ١٠٨ – ١١٣
محمد بن محمد وناصر ١٣٨– ١٣٩
محمد بن مسعود الطرنباطي ٩٠
محمد بن ناصر ٣٨
محمد بن يشو ١٥١
محمد التاودي بن الطالب ابن سودة
٤– ٧– ٨٥– ٨٩– ٩٦
محمد سكيرج ٥٤
محمد السلاوي البخاري ١١٤– ١١٧
محمد الشرقي ٨٣
محمد الصريدي ١١٥
محمد الصغير السرغيني ١٤٧
محمد الطيب بن كيران ١٢٨
محمد العالم بن اسمعيل ٥٢
محمد العربي الذيب ٧٦
محمد الهادي بن زين العابدين
العراقي ٩٠
محمد الهاشمي بن العروسي ٩٧
محمد واعزيز ١١٥
محمد والحاج اليموري ٥٠
محمد وناصر مهاوش ٣٩
محمود الشنكيطي ١٧
مجاط ٥٠
مختار ٤٣
المستضيء بن اسمعيل ١٢– ١٨– ٣٠
مسرور ٤٢
مسفيوة ١٨
مسلمة بن محمد ٦٢ – ٦٥ – ٧١ –
٨٦ – ٨٧ – ٩٠ – ٩١ – ٩٢ – ٩٣
١٠٢ – ١٠٥ – ١٠٦
مسلم بن الوليد ١٠٣
مصباح (القائد) ٢٦
مصطفى بن احمد مبارك ١١٣
مصطفى بن أحمد العثماني ١٧– ٢٥
٣١ – ١١٣
المطالسة ١٠٧
المعطى الحمري ١٥٦
المعطى مرينو ١٣٢
المغافرة ١٥
مغيث ٨٣
المكي فرج ٩١
المنصور ٦٩
المنصور السعدي ٥٦ ٦٧

منويل ٨١ - ٨٢ - ١٣٣
المهاجرون ١٥٨
مهاوش ٧٤ - ٧٦ - ١١٥ - ١٣٩
المهاية ١٠٤
المهدى بن محمد الشرادى ١٦٠- ١٦١
المهدى الحكاك المراكشى ٥٤
الموحدون ٣٢
موسى بن محمد ٧١
مديونة ٩٩
مرموشة ١٨
المرابطون ١٦٠
الموسكوب ١١٣
المولاة حبيبة ٦٤
ميمون الصحراوى ٦٩

حرف « النون »

النجليز ٧١ - ١٣٣
النصارى ١١ - ٢٠ - ٤٠ - ٤٩ - ٧٠ - ١٢٣ - ١٢٨
نصارى الاصبنيول ٨١

حرف « الهاء »

هشام بن عبد الملك ٩٤
هشام بن محمد ٥٩ - ٧١ - ٨٢ - ٨٦ - ٩٧ - ٩٨ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٥ - ١٠٦
هوارة السوس ٧١

فهرس الاماكن

حرف «الالف»

آزغار ٥٠

آزمور ٤٩ - ٦١ - ١٠٣

آسفى ١٢- ٦١- ٨٦- ٩٧- ١٠١ - ١٠٥

آصرو ١١٦ - ١١٧

آصيلا ٤٦ - ٦١ - ٩٦

آعليل ١٠٨

آعريس ١٣١

آغمات ٥٥ - ٥٦ - ٦٦

آكدير ٢٠

آنفا ٤٩ - ٦١ - ٦٩ - ٨٢ - ٩٩

أبو الجعد ٥٩

أبو الجلود ١٧٣

أجدال ٣٥

أرض تامسنا ٩٨

أرض سلا ١٥٥

اسبانيا ٢٣

الأسكندرية ١٢٤ - ١٣٣

أشبونة ٣٦ - ٣٧

اصطنبول ١٤٠

أم الربيع ١١٧

حرف «البـاء»

باب آيلان ١٦٦

باب بنى مسافر ١٧٣

باب البوغاز ١١٣

الباب الجديد ١٤ - ١٧٣

باب دكالة ٦٩ - ١٠١

باب الفتوح ١٧٣

باب المحروق ١٩٠

باب منصور العلج ١٣٦

برج مارتيل ١١

بستان النيل ١٠٢

بسيط آدخسان ١٣٤

بسيط آزغار ٣٩

بسيط كريكرة ٤١

بلاد آيت ومالو ١١٣

بلاد آيت يسرى ٤٣

بلاد أولاد ابى السباع ٥٠

بلاد البرازيل ٣٧

بلاد تونس ١١٨

بلاد الحوز ١٨ - ٩٤ - ١٠٢

بلاد الحياينة ٩١ - ١٠٨

بلاد درعة ١٠٧

بلاد الريف ١٠٧ – ١١٤ – ١٢٥
بلاد سفيان ٤٧ – ٤٨ – ١٥٧ – ١٥٩
بلاد السوس ٣٥
بلاد السويد ١٩
بلاد الشاوية ١٦
بلاد العرب ١١٩ – ١٢٠ – ١٢١
١٣٣
بلاد الغرب ١٦ ١٥٥ – ١٥٩
بلاد غصاوة ٩٥
بلاد غمارة ٢٥
بلاد فركلة ١٣١
بلاد الفرنسيس ٢٥
بلاد القبلة ٣٥ – ٥٠
بلاد القنادسة ٦٤
بلاد الكفر ٧٠
بلاد المشرق ٦٦
بلاد المغـــرب ١١ – ٧٠ – ١٠٦ –
١١١ – ١٤٨
بلاد النجليز ١٩
بلاد النصارى ١١١
بلاد الهبط ٨٦ – ٩١
بلين ٣٧
البوغاز ٦٢
بيت المقدس ٥٨
حرف «التـاء»
تاجناوت ٢٦
تادلا ١٩ – ٢٧ – ٣٠– ٤١– ٤٣ –
٤٤ – ٤٩ – ٥٠ – ١١٣ – ١١٤ –
١٣٤ – ١٣٧
تاركوت ٨٢
تارودانت ٤٩ – ٥٧ – ٧٥ – ١٦٣
تـازا ١٦ – ١٨ – ٢٥ – ٦٢ – ١٠٨
١٥٧
تاسماكت ٤٢ – ٤٣ – ١١٦
تافودانت ٥١
تافيلالت ١٢ – ٥١ – ٥٢ – ٥٨ – ٧٠
– ٧٦ – ١٣٢ – ١٥٥ – ١٦٤
تامدارت ٤٨
تامسنا ١٣ – ٣٠ – ١٢٩ – ١٧٤
تدغة ١٠٨
تطاوين ١١ – ١٢ – ٢٥ – ٣٢ – ٤٠
– ٦١ – ٦٢ – ٧٦ – ٩٦ – ١٥١ –
١٥٢ – ١٥٣ – ١٥٥ – ١٥٧ – ١٥٩
تلمسـان ٧٤ – ٧٥ – ٩٢ – ٩٣ –
١١٠ – ١١١ – ١٤٠ –
توات ١١٣ –
تونس – ٩٢ – ١١٨ – ١١٩
تيط ٤٩ – ٦١ – ٦٩ – ١٠١ – ١٠٣
تيقيط ٤٢
تيكرارين ١١٣
حرف الثـاء
ثغر الجديدة ٣٠

ثغر سلا ٢١
ثغر الصويرة ٢٠
ثغر العرائش ٢٢ – ٢٦
ثنية الكلاوى ٥٣

حرف الجيم

جارت ٢٥
جامع الاشراف ٤
جامع السنة ٦٩
جامع المنصور ٦٩ – ٨٣
جبال آيت ومالو ٤١
جبال غمارة ١٥ – ٩٥
جبال غياثة ١٦
جبل آيت يسرى ٢٧
جبل بنى يزناسن ٩٢
الجبل ٥٠ – ٨٦
جبل الزيت ٩٢
جبل سلفات ٢٧ – ٥٠ – ٩١
جبل صاغو ١٣٢
جبل طارق ٢٤ – ١٣١
جبل فازاز ١٣٩
الجديدة ٣٥ – ٣٦ – ٣٧
الجزائر ٣٩– ٥٨– ٩٢– ١٣١– ١٣٣
جزيرة العرب ١١٩
جزيرة مالطة ١٢٤

حرف الحاء

الحجاز ٣٤ – ٥١ – ٥٧ – ١١٩ – ١٢٠ – ١٢١ – ١٢٤
الحجرة النبوية ٥٨
الحجر الواقف ٩١ – ١٥٩
الحرمان الشريفان ٥٧ – ٧٠ – ٩٣ – ١١٩ – ١٢٠ – ١٢١ – ١٢٤
الحوز ٧٠ – ١٥٦ – ١٥٩
حومة باب حساين ١٧٣
الحياينة ٤٨ – ٦٢

حرف الخاء

الخندق ١٠٨
الخنق ١٣٢
خولان ١٧٣

حرف الدال

دار ابن زيان ١٥٠
دار البحر ١٧٣
الدار البيضاء ٩٨
دار الحرم ٥
دار الدبيغ ٥ – ١٤ – ٦٤
دار الرخاء ١٥
درب الدروج ١٦٠
درعة ١٠٨ – ١٣٢

الدعماء ٤٩
دمنات ٤٩

حرف الراء

رأس الماء ١٧١
رباط الفتح ١٢ ـ ١٩ ـ ٣٠ ـ ٣٢ ـ ٣٥ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٥٩ ـ ٦٥ ـ ٦٩ ـ ٨٧ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ٩٩ ـ ١٠٢ ـ ١٤٢ ـ ١٥٣ ـ ١٥٥
الرتب ٦٤ ـ ١٠٨
رجراجة ٥٤
ريصانة ١٥٣
الريف ٩٢

حرف الزاى

زاوية أبى الجعد ٥٩
زاوية أهل الدلاء ٤٢ ـ ٤٣
الزاوية التهامية ٩١
زاوية زرهون ٨٣
زاوية الشرادى ١٠١ ـ ١٦٣
زاوية المولى ابراهيم ١٠١
زرهون ٤٦ ـ ٥٨ ـ ٧٤ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٨٤
زقاق الحجر ١٤٩
زيز ١٠٨ ـ ١٣٢

حرف السين

السانية ٤٥
سبتة ١١ ـ ٢٤ ـ ٨٢
سبو ١٥٩
سجلماسة ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٦٣ ـ ٨٧ ـ ٩٢ ـ
سلا ١٢ ـ ٢٢ ـ ٢٩ ـ ٤٦ ـ ٦٩ ـ ٧٣ ـ ٨٣ ـ ٨٤ ـ ٨٧ ـ ١٥٣ ـ ١٥٤ ـ ١٧١
السوس ٥٠ ـ ٥٥ ـ ٥٧ ـ ٧٥ ـ ١٠٠ ـ ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ ١٣٢ ـ ١٦٣
سوق الاحد ١٥٦
سوق الاربعاء ٤٨ ـ ١٥٧
سوق الخميس ١٥٧
سيدى قاسم ٤٨

حرف الشين

الشام ٣٤ ـ ١١٩ ـ ١٢٠ ـ ١٢٤

حرف الصاد

الصحراء ٥٢ ـ ١١٣ ـ ١١٥ ـ ١٣١ ـ ١٥٧ ـ ١٦٠ ـ
صحراء فكيك ١٩
صفرو ١٥ ـ ١١٥ ـ ١٣٧ ـ

الصفصافة ٥ ـ ١٤
الصويرة ٢٤ ـ ٣٠ ـ ٣٢ ـ ٤٠ ـ ٤٩ ـ ٥٤ ـ ٥٥ـ ٦١ـ ٦٩ـ ١٢٩ ـ ـ ١٤٨ ـ ١٥٥ ـ ١٦٤

حرف الضاد

ضريح ابن اسمعيل ٦٩
ضريح ابن حرزهم ٢٥ ـ ٦٩
ضريح ابن حمدوش ٤٦
ضريح ابن صالح ٦٩
ضريح ابن عاشر ٢٢
ضريح ابن عثمان ٦٩
ضريح ابن على ٢٥
ضريح ابن عيسى ٦٩
ضريح أبى سرغين ١٥ ـ ٢٥
ضريح أبى العباس السبتى ٦٩ ـ ٩٧
ضريح أبى عبد الله التاودى ٢٥ـ ٦٩
ضريح ادريس الازهرى ٢٥ـ ٥٨ ـ ٨٧ ـ ١٥٨
ضريح ادريس الاكبر ٤٦
ضريح التباع ٦٩
ضريح الحسنين ٥٨
ضريح عبد السلام بن مشيش ٦٥ ـ ٧٥
ضريح عبد الوهاب التازى ١٨٢
ضريح على الشريف ٥٨ ـ ٦٩
ضريح الغزوانى ٦٩
ضريح ميمون الصحراوى ٦٩

حرف الطاء

طالعة سلا ٨٣
طرابلس ٣٤ ـ ١٣٣
طنجة ١١ ـ ٢٨ ـ ٣٠ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ٦٩ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ١٢٤ ـ ١٣٣ ـ ١٥١ ـ ١٥٣ ـ ١٥٤ ـ ١٥٦ ـ ١٧٣

حرف الظاء

ظهر المهراس ١٥١

حرف العين

العدوتان ٦١
العرائش ٦ ـ ١٢ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٣٠ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٦١ ـ ٧٦ ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ٩٦ ـ ١٥١ ـ ١٥٦ ـ ١٥٧
العراقان ١٢٤
العراق ١٢٠
عين ابى عكاز ١٦٢
عين دادة ١٦١
عين زورة ١١٤
العيون ٩٣

حرف الغين

الغرب ١٨ ـ ٢٥ ـ ٥٠ ـ ٥٣ ـ ٧٠ ـ ١٠٩

حرف الفـاء

الفائجة ١٠٧
فاس ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ١٠ - ١٥ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٣٩ - ٤٨ - ٥٢ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٩ - ٧٥ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٧ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٦ - ١٠٨ - ١١٣ - ١١٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٣١ - ١٣٩ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٦ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦٥ - ١٧٠
فاس الجديد ٤ - ٥ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٨ - ٣٢ - ٥٠ - ٨١ - ١٤٣ - ١٥٠ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٦٢ - ١٧٣
فركلة ١٠٨
فشتالة ٦٢

حرف «القاف»

قاعة الزيت ٧
قاعة السمن ٧
القبالة ٧٥
قبور الاشراف ٨٣
قرية أبى صمغون ٦٣
القسطنطينية ١٧ - ٦٠ - ١٧٣
القصابى ١٣٢
قصبة آدخسان ٤٢
قصبة آكراى ١٣٦
قصبة تادلا ٤٣
قصبة الدار البيضاء ٦٩
قصبة مراكش ٨٣
القصر ٢٩
قصر كتامة ٤٨ - ١٤٢ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٦ - ١٧٠
القصور ١٣٠
القلعة ١٢٢
قنطرة الرصيف ١٧٣
قنطرة واد حصار ١٧٣
قنطرة وادى سبو ٦٩ - ١٥٣ - ١٥٧ - ١٧٣

حرف «الكاف»

الكدية الاسماعيلية ١٥١
الكرغلية ٧٤
الكعبة ٥٨

حرف «اللام»

لمطة ١٥

حرف «الميم»

ماازاكان الثانية ٣٧
مائة بير وبير ١٠٥
مدرسة باب الجيسة ٦٩
مدرسة الدار البيضاء ٦٩
مدرسة الصهريج ٦٩
المدرسة العنانية ١٥٠ – ١٧٣
مدرسة الوادى ١٧٢
مدغرة ١٠٨
مدينة آزمور ١٠١
مدينة آنفا ٩٨ – ٩٩
مدينة الصويرة ٦٩
مدينة فضالة ٦٩
المدينة المنورة ٣٤ – ٥٧ – ١٥٨
مراكش ٤ – ٦ – ١٠– ١١– ١٢ – ١٤– ١٥ – ١٦ – ١٧ – ١٨ – ١٩ – ٢٠ – ٢٤ – ٢٥ – ٢٦ – ٢٧ – ٢٨ – ٢٩– ٣٢– ٣٣– ٣٥ – ٣٩ – ٤٥ – ٤٦ – ٤٧ – ٤٨– ٤٩– ٥٠– ٥١ – ٥٣ – ٥٤ – ٥٥– ٥٩ – ٦٥–٦٦ – ٦٩ – ٧٤ – ٨٢– ٨٣– ٨٤– ٩٧ – ١٠١– ١٠٢– ١٠٤– ١٠٥– ١٠٦ – ١٠٩– ١١٦– ١٢٩– ١٣٢– ١٣٣ – ١٣٤– ١٤٢– ١٤٣– ١٤٨– ١٥٠ – ١٥١– ١٥٣– ١٥٩– ١٦٠– ١٦١ – ١٦٢ – ١٦٣ – ١٦٦
مرتيل ١١ – ١٥٧
مرسى الصويرة ١٦٥
مرسى طنجة ١١٣
مرسى العدوتين ٢٠
مرسى العرائش ٢٠ – ٢١ – ٣٢
مستودع القرويين ١٧
مسجد آسفى ٦٩
مسجد آصيلا ١٧٣
مسجد أبى الجعد ١٧٣
المسجد الاعظم ١٧٣
مسجد تازا ٦٩
مسجد الديوان ١٧٢
مسجد الرصيف ١٧٢
مسجد الشرابليين ١٧٢
مسجد صفرو ١٧٣
مسجد العرائش ٦٩
مسجد القصبة ٩٤ – ١٧٣
مسجد الملوك ٦٩
مسجد وجدة ١٧٣
المشتهى ٤٦ – ٧٠
المشرق ٥٤– ٥٨– ٦٢– ٦٣– ٧٥ – ٩٢– ٩٣– ١٣٣
مشرع مسيعيدة ٢٦ – ٤٨ – ١٥٩

مصر ٣٤ ـ ٥٨ ـ ٩٢ ـ ١٢٠ـ ١٢٤
المغرب ٢٥ـ ٢٩ـ ٣٥ـ ٤٩ـ ٥٠ ـ
٥١ـ ٥٥ـ ٥٨ـ ٥٩ ـ ٦١ ـ ٦٦ ـ
٦٩ـ ٧٠ـ ٨١ـ ٨٣ ـ ٨٥ـ ٨٦ ـ
٨٦ ـ ١١١ ـ ١١٦ـ ١٢٠ـ ١٢١ ـ
١٢٤ـ ١٢٨ـ ١٣٣ـ ١٣٤ـ ١٣٧ ـ
مكة ٣٤ ـ ٥٨ ـ ٧٥ ـ ٩٢ ـ ١٢٣
مكناسة ٣ـ ٤ ـ ٥ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ
١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ـ ١٦ـ ١٧ ـ
١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢٧ـ ٢٨ـ ٢٩ ـ
٣٢ ـ ٣٩ ـ ٤١ـ ٤٣ـ ٤٤ـ ٤٦ ـ
٤٧ـ ٥١ـ ٥٢ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٨١ ـ
٨٢ ـ ٨٣ـ ٨٤ـ ٨٥ـ ٩١ـ ١١٣ ـ
١١٦ـ ١٢٤ـ ١٣٣ـ ١٣٤ـ ١٣٦ ـ
١٣٧ـ ١٣٨ـ ١٤١ـ ١٤٢ـ ١٤٣ ـ
١٥٠ ـ ١٥٣ ـ ١٧٣
ملاح تطاوين ١٥٤
المنصورية ٤٧ ـ ٤٩
المهدومة ١٤٢
المهدية ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٤٩ ـ ٦١

حرف «النون»

ندرومة ٩٢
نهر سبو ٩١

حرف «الهاء»

الهند ١٤٠

حرف «الواو»

وادي أبي صفيحة ١٥٥
وادي أم الربيع ٤١ ـ ٤٢ ـ ١٠٠
١٢٩
وادي تاقبالت ٤٣
وادي الدردار ٢٦
وادي سبو ٤٨ ٥٠
وادي سيدي حرازم ١٧٣
وادي فاس ١٤
وادي كثير ٦٤
وادي كريكرة ٣٩
وادي ملوية ١١٣ ـ ١٣١
وادي النجاة ١٤٢
وادي نفيس ٥٥ ـ ٥٦
وادي النفيفيخ ٤٧
وادي ويسلن ١٤
وجدة ٦٢ ـ ٧٤ ـ ٩٣
ورغة ١٥٩
وزان ٩٥
وهران ٩٢ ـ ١٠٩

حرف الياء

اليمن ٥٧ ـ ١٤٠